

فِيهِ
الدُّعَاءُ وَالتَّعَوُّذَاتُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

رقم الإيداع: ١٠٨٨٢ / ٢٠٠١

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ

طَبْعَةٌ مَزِيدَةٌ وَمُنَقَّحَةٌ

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

مَكْتَبَةُ مَكَّةَ

- طنطا : ١٠ شارع طه الحكيم مع شارع هداية - بجوار التأمينات الاجتماعية
- طنطا : ميدان البطراويشي

ت: ٠٤٠٣٣٥٦٦٩٦ / محمول: ٠١٢٢٣٤٨٩٨٥٣ / ٠١٠٠٠٩٥٣٣٥٥

Facebook / maccabooks

فِئْتُهُ

الدُّعَاءُ وَالتَّحَوُّلَاتُ

تَأْلِيفُ

فَضِيلَةَ الشَّيْخِ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ

مُصْطَفَى بْنِ الْقَدَوِيِّ

مَكْتَبَةُ مَكَّةَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢).

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

*** وبعد:** فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

*** أما بعد:**

فإن الدعاء عبادة من أجل العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه ﷻ، وقربة من أفضل القربات.

ثم إن الدعاء مفتاح لكل خير، ومغلاق لكل شر، ومجلبة لكل نفع، ودفع لكل ضرر.

بل إن الابتلاءات التي يبتلى بها العباد من أمراض وأسقام والخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات من أجل مقاصد حمل العباد على الدعاء والتضرع، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤]. وكما قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا

فَتْهُ الدِّينِ وَالْتَّوَكُّلِ

تَضَرَّعُوا ﴿[الأنعام: ٤٣]﴾. وكما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ
مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]. فقبل أن يحل بك البلاء وينزل بك
الضرر، بادر بالاستغفار والدعاء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ مَّعَدَّ بِهِمْ وَهُمْ
يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

فلذلك، ولغيره فقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة التي تحث على الدعاء
وترغب فيه وتبين آدابه وأحكامه وفضائله ومواطنه وآثاره وصيغته وألفاظه، إلى غير
ذلك مما يتعلق به، فأردت مستعيناً بالله، سائلاً إياه التوفيق أن أبين في هذا الكتاب شيئاً
مما يتعلق بالدعاء مُغلبًا جانب الفقه والأحكام والآداب على غيره من الجوانب.
فمن يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدين^(١) كما قال النبي ﷺ، فالفقيه العامل يعمل
قليلاً ويؤجر كثيرًا.

ألا ترى أن الرجل قد يتصدق بصدقة فيتضاعف أجرها إلى ضعفين أو إلى عشرة
أضعاف، أو إلى عشرين ضعفًا؛ بل قد يتضاعف إلى سبعمئة ضعف؛ بل إلى أضعاف
كثيرة؛ بل تأتي الصدقة التي تعدل التمرة من الكسب الطيب، تأتي يوم القيامة كالجبل
العظيم!! وكل ذلك -بعد توفيق الله وقبوله للعمل- ينبني على الملابس المحيطة
بهذه الصدقة.

فهل تصدق بها المتصدق مُريدًا بها وجه الله، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا
أَبْغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٩، ٢٠]، لا يريد من أحدٍ عليها جزاء ولا شكورًا، أم تصدق
بها مريدًا بها وجوه الناس وثواب الناس!!؟

هل هذه الصدقة جاءت من كسب طيب أم من كسب خبيث مشتبه!!؟
وهل أنفق هذه النفقة وصدره منشرح بها وسعيدٌ بإنفاقها ونفسه ثابتة بذلك، كما
قال تعالى: ﴿وَتَنَبَّيْتُمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦٥] أم أنفقها وهو كاره متضرر!!؟

(١) البخاري (٧١)، ومسلم (حديث ١٠٣٧) من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

وكذلك هل وضعها في يد قريب محتاج أم في يد رجل لا تربطه به قرابة؟!
فالصدقة على القريب صدقة وصلة، والصدقة على البعيد صدقة.

وكذلك فهل وضعها في يد مسكين متعفف لا يسأل الناس إلحافاً، أم في يد طماع مليء؟!؟

وكذلك هل ستر على الفقير أثناء العطاء حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه أم أنه فضح الفقير عند العطاء؟

وهل صاحب هذه الصدقة رياء أم لم يصحبها رياء؟
وهل تصدق بها في وقت الاحتياج إليها أم في وقت الاستغناء عنها؟
وكذلك فمن العلماء من يرى أن التصدق في بلد الله الحرام له جميل الأجر وعظيم الثواب.

وكذلك فهل أتبع هذه الصدقة باليمن والأذى أم أتبعها بمعروفٍ من القول وجميل المغفرة؟!؟

ثم هل سأل الله القبول لهذه الصدقة، أم لم يسأل؟!
فهذه وغيرها أسباب تضاعف العمل، ومن ورائها يحدث التفاوت في الثواب وتضعيف الأجور!

وهكذا سائر الأعمال كالصلاة والصيام والحج والعمرة:
فقد ينصرف الرجل من صلاته ما كُتِبَ له إلا عشرها، وقد ينصرف ما كُتِبَ له إلا نصفها، وقد ينصرف ما كُتِبَ له إلا ثلثها أو رُبُعها، وقد ينصرف وصلاته مردودة عليه.
ولله الأمر من قبل ومن بعد، ولكن ثم أسباب:

فهل صلى مرئياً؟

وهل أحسن الوضوء وأسبغه؟

وهل طهر ثيابه؟

وهل خرج مبكراً إلى المساجد ينتظر الصلاة؟

وهل أتمَّ الركوع والسجود؟

وهل خشع في صلاته؟

وهل استحضر عظمة الله فيها؟

وهل جمع قلبه عند تلاوة القرآن وتفكر فيه وتدبر؟

وهل أحسن في متابعه الإمام؟

وهل سأل الله القبول؟

فهذه وغيرها أمور تتسبب في تضعيف أجر الصلاة، ومن ثمَّ يحدث التفاوت في ذلك.

وكذلك فالدعاء تتفاوت فيه الأجور، ويحظى بعضه بالقبول والآخر بالردِّ والحرمان.

فهل دعا المرء ربه منيباً إليه؟!

هل دعاه خوفاً وطمعاً؟!

هل دعاه تضرعاً وخفية؟!

هل دعاه مخلصاً له الدين؟!

هل دعا بدعوة صالحة أم بدعوة فيها إثمٌ وقطيعة رحم؟!

هل طيب المطعم والمشرب والملبس وغُذي بالحلال؟!

هل اعتدى في الدعاء؟

هل قدم المقدمات المناسبة للدعاء؟

هل تحرى أوقات الإجابة؟

هل دعا بقلب موقن بالإجابة، حسن الظن بالله، أم دعا بقلب ساهٍ غافلٍ لاهٍ؟!

هل سارع في الخيرات، وقدم الصالحات مع الدعاء؟

هل جاء الدعاء بعد عمل صالح؟!

هل دعا بجوامع الكلم؟

وكذلك فهل هناك مظلوم دعا عليه أو ما يزال يدعو؟
ثم هل سأل الله القبول؟
فهذه وغيرها أسباب أيضًا لها بلا شك تأثير في الدعاء، وإلى ربنا المنتهى في كل شيء.

فكما سلف فالفقيه يعمل قليلاً ويؤجر كثيرًا.
والفقه يتأتى من مشربنا كتاب ربنا سبحانه وتعالى وسنة نبينا ﷺ، ثم النظر في أقوال علماء أهل الفضل والعلم والإحسان، بعد النظر في دعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَةٌ﴾ [الأنعام: ٩٠].
فكان لزامًا أن نفقه أمر الدعاء حتى نحظى بجميل الإجابة ولا نخيب ولا نشقى بالردّ والحرمان!!

* هذا، ومن فضل الله قد طبع كتاب فقه الدعاء عدة طبعات وعند العديد من دور النشر في مصر وغيرها من فضل الله ولكن في هذه الطبعة وبين يديها مررت على كتاب الله ﷻ وعلى كثير من سنة رسول الله ﷺ الثابتة الصحيحة، واستخرجت منها ما عساه أن يكون قد فاتني في الطبعات السابقة وأودعته هاهنا بتوفيق من الله ﷻ وفضل منه، فأضفت ما يحتاج إليه المقام ونقحت ما يحتاج إلى تنقيح، والتوفيق من الله ﷻ، وبالله الكريم المنان.

* هذا، ولما كان الاستغفار نوعًا من أنواع الدعاء، وهو دعاء بمحو الذنوب ومغفرتها، والستر عليها، وعدم المؤاخذه بها، فمن ثم فقد أضفت ما يتعلق بالاستغفار من فقه وآداب وصيغ، وفضائل، وفوائد، وأوقات ومواطن، وبيان بعض موانع المغفرة، وقدمت لأبواب الاستغفار بذكر بعض ثمرات الطاعة ثم ذكر آثار المعاصي، وذلك لتهييج العباد على الاستغفار، فأسأل الله أن يجعلنا من التوابين ومن المتطهرين.

* هذا، وألفت النظر إلى أن أبواب الاستغفار التي أوردتها في هذا الكتاب كانت

فقه الدعاء والتعوذات

ولم تزل مطبوعة في رسالة صغيرة مستقلة لمن أرادها، ولكنني أردت أن لا يخلو هذا السفر (الكتاب) سفر الدعاء من أبواب الاستغفار إذ هو لصيق به.

* هذا، والتعوذات أنواع من الأدعية كذلك، وهي أدعية بصرف الشر، ومن معاني الاستعاذة بالله اللجوء إلى الله والاستجارة به كي يعصمنا من الفتن والشور عموماً ومما نتعوذ به في كل مقام.

فلذا أودعت هذا الكتاب كتاب «فقه الدعاء» أبواب الاستعاذة سائلاً الله أن يعيذني والمسلمين والمسلمات من الشرور والآثام.

* هذا وقد تحررت -بفضل الله- الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، وكذلك الآثار الثابتة الصحيحة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، واجتزأت في التخريج والعزو بالقدر الكافي المؤدي للغرض، فالكتاب موجه إلى عموم المسلمين، فلم أر أن يثقل بالتخريجات.

هذا وثمَّ أبواب كانت تحتاج إلى بحث بصورة أوسع، وإن شاء الله تأتي مباحثها في طبعات لاحقة لهذا الكتاب^(١).

فإلى موضوعنا موضوع الكتاب -ألا وهو «فقه الدعاء»- أتجه سائلاً ربي ﷻ أن ينفعني به والمسلمين، وأن يفقهنا جميعاً في الدين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو عبد الله مصطفى العدوي

منية سمنود - أجا - دقهلية



(١) هذا ولي رسالة صغيرة اسمها «من فقه الدعاء» لمن أراد شيئاً مختصراً في هذا الباب، وبالله التوفيق.

الدعاء عبادة

فكما أن المصلي يثاب على صلاته.

والمصدق يثاب على صدقته.

والصائم كذلك والمعتمر والحاج كل هؤلاء يثابون على فعلهم، فكذلك الداعي يثاب على دعائه سواء أُجيب هذا الدعاء أو تأخرت الإجابة، فكلما رفع الداعي يديه إلى السماء قائلاً: يا رب يا رب، وكلما اجتهد في الدعاء وواصل أثابه الله على دعائه.

ومما يدل على أن الدعاء عبادة ما يلي:

* ما أخرجه الترمذي من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال ^(١): سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

* وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ ^(٤٨) فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ [مريم: ٤٨، ٤٩].
ففي صدر الآية: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ ثم جاء بعد ذلك ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ فدل ذلك على أن الدعاء عبادة.

* وكذلك في أحد أقوال المفسرين لقول الفتية أصحاب الكهف: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ [الكهف: ١٤]. أي لن نعبد غيره.

كل هذا يفيد أن الدعاء عبادة.

فعلى ذلك، فإن من يدعو ربه، كما أمره الله، فإنه يثاب بإذن الله - وإن لم تظهر له الإجابة - وذلك لأنه في عبادة كما أن الصائم في عبادة، والمصلي في عبادة، والحاج في عبادة، والمجاهد في عبادة، و... فكذلك الداعي في عبادة على تفاوت في الدرجات،

(١) الحديث أخرجه الترمذي (٣٧٤ / ٥)، وأبو داود (٣٥٩)، وأحمد (٢٧١ / ٤)، وغيرهم، وسنده صحيح.

فلهذا كان من اللازم التنبيه على شيء من فقه هذه العبادة.

فرب رجل يكد ويجد ويجتهد طلباً للرزق، ولا يُوفق له؛ بل يجد فوق كده وجده واجتهاده خسارةً في ماله، وآخر لا يكد نفس الكد ولا يجتهد نفس الاجتهاد؛ بل يعمل بعض الشيء لكنه يدعو ربه ﷻ بدعوة توافق ساعة إجابة فيستجيب الله تعالى له.

وآخر يدور بابنه على الأطباء، وينفق الآلاف يتغني لولده الشفاء، ولا يُشفى الولد، وآخر يمرض ولده نفس المرض فيدعو بدعوة يستجيب الله الشافي لها فيشفى الولد بإذن الله.

وثالث يبحث عن زوجة تقرُّ بها عينه، ويبحث ولكنه ينسى دعاء الله فلا يوفق، وآخر يطلب من ربه، ويجتهد بعض الاجتهاد في ذلك فيوفقه الله لكل خير ويسر له سبله.

وليس معنى هذا التَّوَكُّلُ، وترك طلب الرزق، وأسباب الشفاء، كلا؛ بل المراد ألا ينسى المؤمن دعاء ربه ﷻ في كل وقت وحين، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



ومن أهمية العلم بفقهاء الدعاء

* لما تقدم من أن الدعاء عبادة لا بد أن تصرف تلك العبادة - كغيرها من العبادات - لله وحده، إلا أنه قد زلت أقدام قوم جهلوا فقه الدعاء فانزلقوا إلى مزالق الشرك والابتداع والاعتداء، وجلب العنت لأنفسهم ولغيرهم، وكان القليل هم الذين اقتفوا أثر رسول الله ﷺ في هذا الباب.

* * *

شرك أقوام في باب الدعاء

* فزلت أقدام قوم شهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله بالسنتهم فدعوا غير الله سبحانه، فدعا فريق رسول الله ﷺ، ودعا آخرون علياً والحسن والحسين، ودعا آخرون البدوي، والجيلاني، وأباطير وغير هؤلاء من المخلوقين، فزلت أقدام هؤلاء الداعين، وكفروا لفعلمهم هذا، وهم لا يشعرون، فقد قال الله - جل ذكره -: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴾ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿ [الأحقاف: ٥، ٦].

فالذي يكشف الضرّ ويجيب المضطرّ هو الله ﷻ وحده لا شريك له

وهذا أصل عظيم، لا ينبغي أن نغفل عنه، ولا أن نتناساه، وقد دلت عليه عشرات؛ بل مئات الأدلة منها:

* قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٧].

فَتْهُ الدِّعَاءُ وَالتَّعَوُّذَاتِ

* وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ لَعََلَّوْهُمُ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

* وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَ﴾ [الإسراء: ٦٧].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَجَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

* وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

* وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

* وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِي ۗ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨].

* وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣) **إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** [فاطر: ١٣، ١٤].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤]... الآيات.

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٦].

* وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۚ أَمْوتُ غَيْرِ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل: ٢٠، ٢١].

* * *

وقد ضربت الأمثال لبيان بطلان دعاء من يدعون غير الله

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].

فضرب مثل للرجل المشرك الذي يدعو غير الله، فمثله كمثل شخص يقف على شاطئ نهر ويمد يديه سائلاً الماء أن يصعد إليه كأنه يقول يا ماء اصعد أريد أن أشربك والماء لا يصعد إليه ولا يستجيب له.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].
وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾

[البقرة: ١٧١].

أي ومثل الكفار الذين يدعون غير الله كمثل راعٍ يرعى بهيمة فيشتتها ويسبها وهي لا تعي ما يقول ولا تفهم ما يقول:
هذه أحد الوجوه في تفسيرها



ابتداع آخرين في هذا الباب

* ابتداع آخرون من المتصوفة في الدِّين وفي أمر الدعاء، فتركوا الدعاء مطلقاً وقالوا: إن دعاءك لربك اتهامٌ له، واحتجوا بالأثر الموضوع الذي لا أصل له، ألا وهو المنسوب إلى الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما جاءه جبريل عليه السلام فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فقال جبريل: فسل ربك، فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي، وفي لفظ للعوام: علمه بحالي يُعْنِي عن سؤالي. وهذا خبر لا أصل له كما تقدم، ثم هو معارض بعمومات الشرع، كالأيات

المتقدمة وغيرها، وكذلك حال رسول الله وسائر رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وما كانوا عليه من دعاء، والخليل ﷺ يقول: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿[إبراهيم: ٤٠، ٤١]. ويقول ﷺ أيضًا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (٨٣) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿(٨٤) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ (٨٥) وَاغْفِرْ لَائِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿(٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٣-٨٧].

فحرم هؤلاء أنفسهم خيراً كثيراً وجلبوا لأنفسهم نكداً عظيماً بحيودهم وابتعادهم عن كتاب ربهم وهدى نبيهم ﷺ.



(١) استغفاره لأبيه المشرك متعقب بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

والدعاء مفتاح لكل خير ومغلاق لكل شر

وفيه جلب لكل نفع ودفع لكل ضرر

* فهل اجتبى الله آدم عليه السلام، وتاب عليه وهداه إلا بعد أن تلقى آدم من ربه كلمات فدعاه بها؟!!

* وهل فتحت أبواب السماء بماء منهمر، وفجرت الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر، وحمل نوح عليه السلام على ذات ألواح ودسر إلا بعد أن دعا ربه: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ [القمر: ١٠].

وكذلك بعد أن دعا فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

* وخليل الله إبراهيم عليه السلام هل أنجاه الله من النار إلا بعد قوله: حسبنا الله ونعم الوكيل؟!!

وهل بشر بغلام حلیم إلا بعد دعائه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠].
وهل أنعم الله عليه وأنجاه وزوجته سارة -عليها السلام- من الجبار وكف الله يد الكافر الجبار عنها إلا بعد دعاء إبراهيم وسارة عليهما السلام^(١)؟!!

* وكذلك هاجر عليها السلام التي هي أم نبي الله إسماعيل عليه السلام ومن ذريته نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هل ساقها الله لسارة^(٢) إلا بعد دعاء سارة: اللهم كف يد الكافر؟!!

وهل نال إبراهيم عليه السلام هذه المراتب العلية، والثناء الحسن -ومنه أننا نصلي عليه في كل صلاة- إلا بعد دعائه: ﴿وَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

(١) وسيأتي الحديث بذلك إن شاء الله .

(٢) ثم بعد ذلك وهبتها لزوجها إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

* ولوط عليه السلام هل أنجاه الله، وأهلك أعداءه إلا بعد دعوته: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩].

* ويونس عليه السلام هل أنجاه الله من الغم إلا بعد أن نادى في الظلمات: ﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

* وأيوب عليه السلام هل كشف الله ما به من ضرر^(١) إلا بعد دعوته: ﴿إِنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

* وداود عليه السلام هل قتل جالوت، وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء إلا بعد أن دعا هو ومن معه من المؤمنين: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

* وسليمان عليه السلام هل سخرت له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد؟! وهل أسأل الله له عين القطر، وأفهمه لغة الطير والنمل، إلى غير ذلك مما من الله به عليه، وأنعم إلا بعد أن دعا فقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنِّ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]؟! * وزكريا عليه السلام هل وهب الله له يحيى، وأصلح له زوجه إلا بعد أن دعا فقال:

﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩]؟!

وبعد أن دعا فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]؟!

* وهل حفظ الله مريم وابنها، وذهب الشيطان يطعن فطعن في الحجاب، ولم يُصبها بأذى، وهل جعلها الله وابنها آية للعالمين إلا بعد أن دعت أمها فقالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]؟!

(١) وليس معنى ذلك أن الله لا يكشف الضر إلا بعد دعاء العبد، فقد يكشف الله الضر بلا دعاء، وقد ينصر بلا دعاء، وقد يرزق بلا دعاء، ولكن الدعاء من باب الأسباب والمسببات كما هو معلوم، والله تعالى أعلم.

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

* ونبينا محمد ﷺ يدعو الله فيقول: «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ، بَعْمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ أَوْ بَعْمَرِ بْنِ هِشَامٍ». فيهدي الله عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ويبلغ من المكانة ما بلغ.

* ويدعو لابن عباس (رضي الله عنهما): «اللَّهُمَّ فَقِّهْ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»^(١)، فيبلغ من العلم مبلغاً لا يُبارى ولا يُدرك، حتى إن ابن مسعود (رضي الله عنه) يقول: (لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل)^(٢). ويقول ابن مسعود أيضاً: (نعم ترجمان القرآن ابن عباس)^(٣).

* وأنس بن مالك (رضي الله عنه) لما دعا له رسول الله ﷺ بقوله: «اللَّهُمَّ أَرْزُقْهُ مَالاً وَوَلَدًا، وَبَارِكْ لَهُ»، قال: فإني لمن أكثر الأنصار مَالاً، وحدثني ابنتي أمينة أنه دفن لصلبي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة^(٤).

* وأم حرام بنت ملحان تحظى بدرجة الشهادة في سبيل الله بفضل دعوة رسول الله ﷺ لها^(٥).

* وتأتي قبيلة دوسٍ مُسلمة بفضل قول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ»^(٦). ولأن المنتهى إلى الله في جميع الأمور، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] لزمنا أن نتجه إليه في جميع أمورنا ونسأله جميع احتياجاتنا. فلكوننا ندرك أن المهتدي من هداه الله، والموفق من وفقه الله:

كما قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِىٰ﴾ [الكهف: ١٧]، وكما قال أهل

(١) بهذا اللفظ عند أحمد (١/ ٣٢٨)، وسنده حسن، وانظر تخريجه في كتابنا «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

(٢) موقوف صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٢٦٨).

(٣) موقوف صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٢٦٩).

(٤) البخاري (حديث ١٩٨٢).

(٥) انظر: البخاري (٢٧٨٨، ٢٧٨٩)، ومسلم (١٩١٢).

(٦) انظر: البخاري (٤٣٩٢)، ومسلم (٢٥٢٤).

الإيمان: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وكما قال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨].

فمن ثمّ فلنسأل الله الهداية ولنلتمس منه التوفيق.

*** وأيضاً فالسابق بالخيرات، إنما سبق بإذن الله:**

كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

فمن ثمّ فلنسأل الله أن يجعلنا من السابقين بالخيرات.

*** ولأن المعصوم من عصمه الله، والمحموظ من حفظه الله:**

قال يوسف الصديق عليه السلام: ﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[يوسف: ٣٣].

ومن ثمّ فلنسأل الله أن يعصمنا من الزلل، وأن يحفظنا من السوء والمكروه.

*** وكما أن خزائن كل شيء بيديه سبحانه وتعالى:**

كما قال عليه السلام: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾.

[الحجر: ٢١].

وكما قال عليه السلام: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧].

فمن ثمّ فلنسأل الله الذي نريد، ولنطلب منه الذي نرجو، ولنلتمس منه مزيد

الفضل والإحسان.

*** وكذلك فحافضة فرجها، والحافضة لغيب زوجها، إنما كان ذلك منها بعون الله:**

كما قال تعالى: ﴿فَالصِّدِّيقُ قَنِينْتُ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾.

[النساء: ٣٤].

فمن ثمّ فلنسأل الله أن يعينها على حفظ ما أمرها الله بحفظه، وأن يرزقها العفة

والطهر والنقاء.

*** ولأن الوهاب هو الله: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾** (٤٩) **أَوْ**

يُزَوِّجُهُمْ ذُرِّيَّاتًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

فمن ثَمَّ فلنسأل الله الذرية الصالحة.

*** والصابر إنما صبره بالله ﷻ:** إذ الله قال: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

[النحل: ١٢٧].

فمن ثَمَّ فلنسأل الله الصبر على البلاء، ونطلب منه العون على ذلك، وكذلك كل الأمور، فالذي يسلط قومًا على قوم هو الله، والذي يكف يد قوم عن آخرين هو الله، والذي ينصر هو الله، والشافى هو الله، والذي يكشف الضر هو الله، والذي يعز ويذل هو الله، والذي يرفع ويخفض هو الله، والمثبت من ثبته الله، وهكذا كل الأمور.

فمن ثَمَّ لزمنا أن نتجه إلى ربنا وإلهنا ومالكنا وخالقنا ورازقنا ومدبر أمرنا فسأله كل ما نريد، ونطلب منه أن يصرف عنا كل ما نكره، ونسأله أن يكشف كل كرب، وأن يجلب كل فرج، نسأله الأمن والأمان، والسلامة والإيمان، والدَّرَجَاتِ العُلى، والنعيم المقيم.

فكان لابد من السؤال، لابد من الدعاء والإلحاح فيه، والإخلاص ممثلين أمر ربنا، والآداب التي أدبنا به، ونقلها إلينا رسولنا محمد ﷺ.



مزيد من الحث على الدعاء

والأمر به والترغيب فيه

* قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].
* وقد قال النبي ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١). ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي....﴾.

* وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].
* وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٥٥ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦].

* وأخرج الترمذي^(٢) بإسناد حسن إلى سلمان الفارسي، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ حَيِّيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ».

وهذا حديث عظيم في الحث على الدعاء كذلك، حث الله سبحانه وتعالى فيه على طلب الهداية منه، وطلب الطعام، وطلب الكسوة، وبين ربنا سبحانه أن مسألتنا وعطاءه لنا لن ينقص شيئاً مما عنده سبحانه:

* وأخرج الإمام مسلم^(٣) في «صحيحه» من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ

(١) الترمذي (٣٧٤ / ٥)، وهو صحيح، وأحمد (٢٧١ / ٤) وغيرهما.

(٢) الترمذي (مع التحفة ٥٤٤ / ٩) وقد أعلّاه بعض العلماء.

(٣) مسلم (حديث ٢٥٧٧).

فِيهِ الدُّعَاءُ وَالتَّعَوُّذَاتُ

فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهِدُونِي أَهْدِكُمْ.

يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُمْ.
يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.
يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.

يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي.
يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.

يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».

قَالَ سَعِيدٌ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ.



فليكن ذكر الله ودعاؤه دوماً على لسانك

هذا الكليم موسى عليه السلام أمعن النظر في كلماته ودعواته لما قتل نفساً بغير حق قال: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿[القصص: ١٥، ١٦].

ثم يقول: ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧]، ويقول أيضاً لما جاءه رجلٌ من أقصا المدينة يحذره فيقول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١]، ويقول كذلك في رحلته: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

ويقول كذلك في بلاد مدين بعد أن سقى للمرأتين، ولما تولى إلى الظل: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

ولما اتفق مع العبد الصالح على الزواج من ابنته يقول: ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨].

فذكر الله ودعاؤه يصاحبه على الدوام.

ومن أدعيته لما كلف بالذهاب إلى فرعون: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [القصص: ٣٣].

ويقول داعياً ربه لأخيه هارون بالرسالة: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾، ويدعو لنفسه ولأخيه بقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[الأعراف: ١٥١].

ويقول في أدعية: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧)

فَتْهُ الدُّعَاءُ وَالتَّعَوُّذَاتِ

يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰذُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾.

[طه: ٢٥ - ٣٠].

فكل شأنه ذكرٌ ودعاء ﴿٣٢﴾.

والخليل ﷺ من عظيم شأنه الدعاء

فمن دعواته: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

ومن دعواته: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠].

ومن دعواته، هو وصادق الوعد إسماعيل: ﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

ومن دعواته قوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ومن دعواته لأهل الحرم: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

[البقرة: ١٢٦].

ومن دعواته: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩].

ونبيُّ الله نوح ﷺ من شأنه الدعاء

قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

ومن دعواته: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾.

ومن دعواته: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦].

ومن دعواته: ﴿إِنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ [القمر: ١٠].

وانظر إلى هذا النظم الجميل الحسن الرائع في هذه الآيات المباركات: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فانظر إلى قوله جل ذكره: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾، ثم إلى قوله بعد ذلك: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]. فالذي له الخلق والأمر هو الذي يجيب الدعاء. وبعد ذلك أيضًا انظر، واستفد من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].



مقدمات وأنواع من التوسلات بين يدي الدعاء

وينبغي للسائلين عموماً أن يقدموا مقدمات بين يدي مسائلهم.
وهذه مقدمات ينبغي أن يتقدم بها الداعي قبل دعائه، وهي مقدمات حسنة ومستحبة، نذكر منها ما يلي:

*** حمد الله، وتمجيده، والثناء عليه، والصلاة على النبي ﷺ بين يدي الدعاء:**

فينبغي أن يحمد الداعي ربه ﷻ، ويشني عليه بما هو له أهل، ويمجده كذلك، ويصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو الله بما شاء، وذلك لما أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي^(١) بسند حسن، من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه، قال: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَلَ هَذَا»، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: -أَوْ لغيره- «إِذَا صَلَّي أَحَدُكُمْ، فَلْيُبْدِ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ ﷻ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدَ بَمَا شَاءَ».

*** ويتأيد هذا أيضاً بما في سورة الفاتحة؛ ففي «صحيح مسلم»^(٢) من حديث أبي هريرة: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمَدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ٣]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَدَنِي عَبْدِي (وَقَالَ مَرَّةً فَوْضَ إِلَيَّ عَبْدِي) فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ**

(١) أحمد في «المسند» (١٨/٦)، وأبو داود (١٦٢/٢)، والنسائي (٤٤/٣)، والترمذي (٤٤٩/٩) بسند حسن.

(٢) مسلم (حديث ٣٩٥).

عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿[الفاتحة: ٦، ٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

فانظر كيف أن قول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وهو دعاء جاء بعد حمد الله، والثناء عليه وتمجيده، فمن ثم إذا قال العبد: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿[الفاتحة: ٦، ٧]، قال الله ﷻ: «هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

* وذكر أنس حديث الشفاعة^(١)، وفيه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «.. فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدٌ، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعُ، وَسَلْ تُعْطَ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُتْنِي عَلَى رَبِّي بِنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعْلَمُنِيهِ» قَالَ: «ثُمَّ أَشْفَعُ فَيُحَدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ فَتَادَّةٌ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمُ مِنَ النَّارِ، وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّلَاثَةَ: فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدٌ، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعُ، وَسَلْ تُعْطَ» قَالَ: «فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُتْنِي عَلَى رَبِّي بِنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعْلَمُنِيهِ»، قَالَ: «ثُمَّ أَشْفَعُ فَيُحَدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ».

فجاءت شفاعته رسول الله ﷺ، ودعاؤه بعد سجوده لله، وحمده، والثناء عليه.

* وعن ابن عباس رضيهما ﷺ قَالَ: قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ مِثْلُكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ،

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٤٠)، ومسلم (حديث ١٩٣).

(٢) البخاري (حديث ٦٣١٧)، ومسلم (حديث ٧٦٩).

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُ عَنِّي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، -أَوْ- لَا إِلَهَ غَيْرُكَ».

فجاء الدعاء بالمغفرة بعد الثناء على الله ﷻ والإقرار التام له بالعبودية.

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(١).

فجاء قوله -عليه الصلاة والسلام-: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي». بعد قوله: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ».

* وعنهما أيضًا رضي الله عنهما قالت -وقد سئلت بأيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ- قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(٢).

فجاء الدعاء بالهداية بعد الإقرار بالربوبية لله سبحانه وتعالى وحده.

* ومن هذا الباب دعاء الاستخارة^(٣) أيضًا:

(١) البخاري (مع الفتح ٢/ ٢٨١)، ومسلم (مع النووي ٤/ ٢٠١).

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٦/ ٥٦)، وهذا الحديث قد حكم عليه أبو الفضل بن عمار الشهيد بالاضطراب، في كتاب «علل الأحاديث في كتاب الصحيح لمسلم بن الحجاج» (ص ٨٢، ط: دار الهجرة، تحقيق: على حسن)، ووجه إعلاله بالاضطراب أنه من رواية عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير، وروايته عنه ضعيفة، والله أعلم.

(٣) حديث الاستخارة في البخاري (٦٣٨٢).

فيأتي الدعاء بعد صلاة الركعتين، والثناء على الله، والإقرار له بالعلم والقدرة وتجرد العبد عن قدرته (أي عن قدرة نفسه) بقوله: «فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ».

ثم يأتي بعد ذلك الدعاء: «اللَّهُمَّ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي...».

فيأتي الدعاء بعد الصلاة لله والثناء على الرَّبِّ سبحانه وتعالى.

* **ومن هذا الباب أيضًا:** قول النَّبِيِّ ﷺ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ: فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ: فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقِمْنَ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»^(١).

فانظر كيف جاء الدعاء في السجود بعد تعظيم الرَّبِّ في الركوع.



(١) مسلم (مع النووي ٤/١٩٦).

سؤال الله ﷻ والتوسل إليه بأسمائه الحسنى

* وتارة يكون الدعاء مشفوعاً بأسماء الله الحسنى، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

هكذا قال ربنا سبحانه وتعالى، وبهذا أمر، وهذا الآية تحمل معنيين:

المعنى الأول: ولله الأسماء الحسنى، فسموه بها، فهو الله، الملك، القدوس، السلام، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر.... إلى آخر الأسماء التي سمى الله بها نفسه، أو سماه بها نبيه ﷺ.

فقد كان أهل الشرك يلحدون في أسماء الله فاشتقوا العزى من اسم العزيز، واشتقوا اللات من الله.

أما أنتم يا أهل الإيمان، فسموا الله بما سمى بها نفسه، وبما سماه نبيه ﷺ. وهذا المعنى الأول.

أما المعنى الثاني: ولله الأسماء الحسنى فاسألوه بها.

وعلى هذا المعنى الثاني، فنسأله سبحانه قائلين: يا رحمن، يا وهَّاب، يا رزَّاق، يا سميع، يا مُجيب، وهكذا مع باقي الأسماء.

وقد كان النبي ﷺ يقول: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيبَ قَلْبِي ..». الحديث. وسيأتي.

ولكن هنا أمرٌ ينبغي التفطن له، وهو اختيار اسمٍ من أسماء الله موافق للمسألة التي نريدها ونسألها.

فإذا سألنا الله الرزق، فلنسأله باسمه الرَّازِق، وإذا سألناه الرحمة، فلنسأله باسمه

الرَّحِيمِ وباسمه الرحمن، وإذا سأله المغفرة، فلنسأله باسمه الغفور... وهكذا باقي المسائل.

ولهذا أدلته المتعددة المتكاثرة من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ.
ولفظ الجلالة (الله) جامع لهذا كله، فإذا قلت: يا الله ارزقني، أو اللهم^(١) ارزقني، أو اللهم انصرني، أو اللهم اهدنا، ونحو ذلك، فكله مستحبٌ أيضًا.
* فنبئُ الله موسى ﷺ يسأل ربه فيقول: ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

[الأعراف: ١٥٥].

* ويقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.
[الأعراف: ١٥١].

* وعيسى ﷺ، يقول: ﴿رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤].
* ويعقوب ﷺ، يقول: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

[يوسف: ٩٨].

* وسليمان ﷺ، يقول: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.
[ص: ٣٥].

* وأهل الإيمان يقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، ويقولون: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.
[المؤمنون: ١٠٩].

* وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].
* ومن ذلك قول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمِ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ»^(٢).

(١) والله: معناها: يا الله.

(٢) البخاري (مع الفتح ٦/١٥٦)، ومسلم في المغازي (مع النووي ٨/٢).

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

* ومن ذلك قول النبي ﷺ: «أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا بِشِفَاؤِكَ، شِفَاءٌ لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»^(١).

* وقوله ﷺ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ»^(٢).

قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. أي اطلبوا منه بأسمائه فيُطلب بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رزاق ارزقني، يا هادي اهديني، يا فتاح افتح لي، يا تَوَّابُ تَبِّ عليّ، وهكذا، فإن دعوت باسم عامّ قلت: يا مالك ارحمني، يا عزيز احكم لي، يا لطيف ارزقني، وإن دعوت بالأعمّ الأعظم فقلت: يا الله، فهو متضمنٌ لكل اسم، ولا تُقَلُّ: يا رزاق اهديني، إلا أن تريد يا رزاق ارزقني الخير، قال ابن العربي: وهكذا، رتب دعاءك تكن من المخلصين.

قلتُ: فمن هنا يظهر خطأ من دعا فقال: (وأذَلَّ الشُّرْكَ والمُشْرِكِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ)، فكيف يكون الإذلال بالرحمة؟! إن الرحمة تكون بها النجاة كما في قول موسى عليه السلام: ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: ٨٦].

فلينتبه لمثل هذا، والموفق من وفقه الله.

وهذا مثالٌ من أمثلة التوسلات بالأسماء الحسنى والصفات العليا بين يدي الدعاء والمسألة إذا سألت ربَّك المغفرة:

فلا مانع من أن تقول: يا غافر الذنب، ويا قابل التوب، يا عزيز يا غفار، يا حلِيم يا غفور، يا غفور يا رحيم، يا غفور يا تواب.

قلت -وقولك الحق-: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ

(١) البخاري (مع الفتح ١٠/ ١٣١) ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٨٠).

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢).

رَحْمَةً إِلَهٍ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿[الزمر: ٥٣].

وقلت في كتابك الكريم: ﴿وَلِيَّ لَغْفَارٍ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾.

[طه: ٨٢].

علمنا من كتابك الكريم أنك تقبل التوبة عن عبادك وتعفو عن السيئات.

فقد قلت -وقولك الحق-: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾

[الشورى: ٢٥]، وقلت: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ

اللَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

علمنا أنك تحب التوابين، علمنا أنك ذو رحمة واسعة.

دعوتنا لتغفر لنا، فقلت: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقلت: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

[النساء: ١١٠].

علمنا أنك تريد أن تتوب علينا، إذ قلت في كتابك الكريم: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ

عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

أنت يا ربَّ أهلٍ للتقوى، وأهلٍ للمغفرة، لا يغفر الذنوب إلا أنت.

تفرح بتوبة عبادك التائبين، وأوبة أوليائك المذنبين.

يا ربَّ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، وما أسرفت،

وما أنت أعلم به مني.

وتسأل المغفرة لذنوبك التي ارتكبت، ولا تأمك التي اقترفت.

* وفي مسألة الرِّزْق، لا بأس أن تقول:

وارزقنا وأنت خير الرازقين.

وتقول: يا ربَّ علمنا أن خزائن كلِّ شيء بيدك، كما قلت في كتابك الكريم:

﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِنْدَ خَزَائِنِهِ﴾ [الحجر: ٢١].

وكما قلت: ﴿وَلِلَّهِ خَزَايِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المنافقون: ٧].

يا ربِّ، أنت الغنيُّ، وأنت الرِّزَّاق ذو القوة المتين، لك ما في السموات، وما في الأرض، يا ربِّ، أنت تبسط الرِّزْق لمن تشاء وتقدر، يا ربِّ، يداك ملأى سحَّاء الليل والنهار، أنت ربُّ كريم، وأنت واسعٌ عليم.
إلى غير ذلك من الوارد في هذا الباب، ثم تطلب الرِّزْق، وتسأله ربَّك سبحانه وتعالى.

ويلحق بهذا الباب قول النبي ﷺ: «أَلْظُّوا بِنَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(١).
وقوله: «أَلْظُّوا» أي: الزموا هذا، واثبتوا عليه، وأكثروا من قوله، والتلفظ به في دعائكم^(٢).



(١) أخرجه أحمد (١٧٧/٤)، وغيره من حديث ربيعة بن عامر رضي الله عنه، سمعت النبي ﷺ فذكره، وهو صحيح، وله شاهد الصواب فيه الإرسال، أخرجه الترمذي (٣٥٢٥)، وغيره، وشاهد آخر ضعيف عند الترمذي أيضًا (٣٥٢٤).
(٢) نقلًا عن «لسان العرب».

التوسل إلى الله بفضله وسابق إحسانه ورحمته

* فمن هذا القبيل: قول زكريا عليه السلام: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۖ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۖ﴾ [مريم: ٤-٦].

فهذا نوع من أنواع الدعاء قُدم بالتوسل إلى الله بسابق إحسانه وإجابته، كما قال ابن القيم رحمته الله في «التفسير القيم»: فقد قيل: إنه دعاء المسألة. والمعنى إنك عودتني إجابتك وإسعافك ولم تشقني بالرد والحرمان، فهو توسل إليه بما سلف من إجابته وإحسانه، كما حكي أن رجلاً سأل رجلاً وقال: أنا الذي أحسنت إلي وقت كذا وكذا، فقال: مرحباً بمن توسل إلينا بنا، وقضى حاجته.

قلت: فكان زكريا -عليه الصلاة والسلام- يقول لربه عز وجل: يا رب، يا دائم العطاء يا من تكرممت علي، ولم ترد دعواتي، ولم تجعلني من قبل محروماً، ولم تجعلني من قبل شقياً بالرد والحرمان استجب دعوتي فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب راضياً.

* ومن هذا أيضاً قول أولي الألباب الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، فتوسلوا إلى الله بسابق إحسانه إليهم، وهو هدايته إياهم فكأنهم يقولون: يا ربنا، يا من مننت علينا بالهداية، وتفضلت علينا بها لا تزغ قلوبنا بعد هذه الهداية، ففي هذا اعترافٌ بسابق الجميل، وعدم كفران للنعم والإحسان، وكتقريب لهذا نوضح بعض ما ذكره ابن القيم فنقول: وبالله التوفيق:

لو أن رجلاً جاء يطلب منك أن تتصدق إليه، وتعطيه مائة جنيه مثلاً فأعطيته ثم جاءك من العام المقبل، وقال لك -متوسلاً إليك بسابق إحسانك-: أنا الذي أعطيتني

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

في العام الماضي مائة جنية، فحينئذ تعلم من حاله أنه ليس من النوع الذي يكفر الإحسان وينسى المعروف فحينئذ تعطيه وأنت منشراح الصدر راضٍ عنه وعن شكره للمعروف، والله المثل الأعلى.

ومن ذلك:

* قول الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

* وقول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

* وقول الخليل عليه السلام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [٣٩] رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٩-٤١].

فقدمت الملائكة ثناء على ربها عليه السلام.

وقدم يوسف عليه السلام اعترافاً بالفضل، وثناءً على الله، وقدم إبراهيم حمداً وشكراً، كل ذلك بين يدي الدعاء.

الاعتراف بالذنب بين يدي الدعاء:

* قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرْتَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

[القصاص: ١٦].

وقال أبو بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(١).

(١) البخاري (مع الفتح ٢/ ٣١٧)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٢٨).

* وكذلك ففي سيد الاستغفار:

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»^(١).

تنزيه الرب ﷻ بين يدي الدعاء:

فمن ذلك قول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[آل عمران: ١٩١].

فنزَّهوا الرَّبَّ ﷻ عن الخلق بالباطل، ثم سألوه النجاة والوقاية من النار.

الاستسلام وإظهار الضعف والعجز بين يدي الدعاء:

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فينبغي أن يظهر الداعي ضعفه وانكساره بين يدي ربه سبحانه وتعالى قبل دعائه، وهاهو زكريا عليه السلام يظهر ضعفه، وانكساره، فيقول: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]. فهذا هو حال من الضعف بين يديك. وكذلك يتبرأ يوسف عليه السلام من الحول والقوة إلا بالله، فيقول: ﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

* ومن ذلك، قول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا﴾.

[الممتحنة: ٥].

* وكذلك، قول قوم موسى: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥، ٨٦].

(١) البخاري (مع الفتح ٩٧/١١).

توسَّل إلى الله بصالح الأعمال:

* وأحياناً يكون الدعاء مسبوقاً بالتوسل إلى الله تعالى بصالح الأعمال:

ومن ذلك، قول المؤمنين: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، فتوسلوا إلى الله سبحانه بما سلف من إيمانهم به، واتباعهم لرسوله ﷺ. وكذلك قولهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا بِمَا فَاغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦].

* ومن هذا القبيل أيضاً، قول المؤمنين: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، فتوسلوا إلى الله سبحانه بإجابتهم لمنادي الإيمان.

* وقولهم كذلك: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

* وأخرج البخاري ومسلم^(١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ، لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصَّدْقُ، فَلِيدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرْقٍ مِنْ أُرْزُ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَتَيْتُ عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرْقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرْقٌ مِنْ أُرْزُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرْقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ. فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بَلْبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا، وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغُونَ مِنَ الْجُوعِ، فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدْعُهُمَا،

(١) البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

فَيَسْتَكِنَّا لِشَرِّبَيْتِهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَاَنْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ.

فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمَكَّنْتَنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفْضُ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا».

وعموماً فإنه ينبغي أيضاً أن يصاحب الدعاء بالأعمال الصالحة، من صدقات وصلوات وتلاوة وذكر وغير ذلك، فإن الأعمال الصالحة سببٌ في إجابة الدعوة:

* قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَدِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فمع دعائهم، كانوا يسارعون في الخيرات.

* وكذلك فعباد الرحمن، يبيتون لربهم سجداً وقياماً، ويقولون: ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

فدعائهم مع سجودهم وقيامهم.

* وكذلك إبراهيم الخليل وولده إسماعيل عليهما السلام يرفعان القواعد من البيت، ويقولان: ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

فمع بنائهم المسجد، ورفعهم القواعد يدعوان ويسألان القبول ويسألان الإسلام لهما ولذريتهما بقولهما: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ...﴾ [البقرة: ١٢٨].

* وفي صحيح مسلم^(١)، من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي، قال: كُنْتُ أبيتُ مَعَ

(١) مسلم (حديث ٤٨٩).

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوُضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ».

الاستنصار بدعاء الصالحين والضعفاء:

* أخرج البخاري ومسلم^(١)، من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، يَغْزُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فَيْكُم مِّن رَّأَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: فَيْكُم مِّن رَّأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِتْنًا مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فَيْكُم مِّن رَّأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ».

* وقال النبي ﷺ: لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا رَأَى سَعْدٌ أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ سِوَاهُ: «يَا سَعْدُ وَهَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضَعْفَائِكُمْ»^(٢).

* وقال النبي ﷺ: «ابْغُونِي ضَعْفَاءَ كُمْ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ»^(٣).
* وعند النسائي^(٤) رواية بلفظ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعْفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ».

فإذا خرج الخارج يقول: يا رب إني أقوم على أطفال صغار، وأنفق على عجزة ضعفاء، وأكفل أرامل وأيتامًا - كل ذلك مع إظهار الضعف لله، والحاجة إليه -، فيا رب ارزقني برزق هؤلاء، فبمشيئة الله سيُجاب إلى طلبه، وستقضى له حاجته.

(١) البخاري (حديث ٣٦٤٩)، ومسلم (حديث ٢٥٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٨٩٨).

(٣) أخرجه الترمذي (١٧٠٢) بسند صحيح من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وأخرجه أيضًا أبو داود (٢٥٩٤)، والنسائي (٤٦ / ٤٥) وغيرهم.

(٤) النسائي (٤٥ / ٦).

بيان سبب الدعوة التي يُدعى بها

* وهناك في بعض الأحيان، يستحب أن تبين سبب الدعوة التي تدعو بها، وفي هذا خيرٌ من وجوه:

أحدها: أن فيه اتباعاً وتأسياً بمن قبلنا من أهل الصلاح.

الثاني: أن في ذكر سبب الدعوة نوعاً من أنواع التوسل بهذا السبب.

الثالث: أن بيان سبب الدعوة يجعل الشخص يراجع نفسه في الدعوة، وهل سببها مشروع، أم غير مشروع، ومن ثم هل الدعوة مشروعة، أو غير مشروعة.

وتم فوائده أخرى في بيان سبب الدعوة، وهذا بعض الأدلة الواردة في هذا الصدد.

* يدعو نبيُّ الله نوح عليه السلام على قومه، فيقول: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، ثم يُعلِّل ذلك ببيان خوفه على المؤمنين الذي معه فيقول: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

* وكذلك نبيُّ الله إبراهيم عليه السلام يدعو لأهله الذين تركهم عند بيت الله الحرام، فيقول: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. فسأل الله لهم الرزق؛ لعلهم يشكرون.

* ونبيُّ الله موسى عليه السلام يقول: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

فيعلل دعوته بالطمس على أموالهم، بأن هذه الأموال تحملهم على إضلال العباد عن طريق الله سبحانه وتعالى.

* ويقول أيضاً: ﴿وَلَحُلَّ عُقْدَةٍ مِّن لِّسَانِي﴾ (٢٧) **﴿طه: ٢٧، ٢٨﴾**. ويقول كذلك: ﴿وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (٢٩) **﴿هزرون﴾** أَخِي (٣٠) **﴿أشدد به﴾** أَزْرِي (٣١) **﴿وأشركه في أمري﴾** (٣٢) **﴿كَي سَحِكَ كَثِيرًا﴾** (٣٣) **﴿ونذكرك كثيراً﴾** [طه: ٢٩ - ٣٤].

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

* ونبيُّ الله عيسى عليه السلام يقول: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ﴾ [المائدة: ١١٤].

فسأل المائدة للدلالة على صدقه فيما يخبر به عن الله ﷻ، وسأل المائدة؛ لتكون عيداً يُشكر فيه الرَّبُّ سبحانه وتعالى، ويُعظَّم فيه الرَّبُّ ﷻ.

* وزكريا عليه السلام يقول: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ أَلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥، ٦]. فسأل الولد كي يرث العلم والنبوة، وقد كان يخشى من بني عمومته ألا يقيموا الدين كما قال: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِ ۖ﴾ [مريم: ٥].

* ونبينا محمد ﷺ يدعو يوم بدر فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّ تُهْلِكُ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبِدْ فِي الْأَرْضِ».

* وكذلك فقد جاء الصَّحَابِيُّ يقول لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هَلَكَتِ الْمَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثَنَا... الحديث، وقد تقدم.

فذكر سبب الدعاء سائغٌ ومستحبٌ في كثير من الأحيان!

وعليه فإذا دعوت وقلت: اللهم ارزقني فأني أرغب في حج بيتك المحرم، وأرغب في إنشاء المساجد وأحب كفالة الأيتام، وأحب أن أتصدق بهذه وجوه حسان كلها بإذن الله.

وإن قلت كذلك: اللهم ارزقني ولداً صالحاً يعلم الناس كتابك وسنة نبيك محمد ﷺ فهذا أيضاً وجه حسن.

وكذلك إذا قلت: يا رب أريد التعفف فارزقني بزوجة صالحة.

وإن قلت: اللهم اشفني مما أَلَمَّ بي أشهد لك جنازة، وأعود لك مريضاً، وأنكأ لك عدواً، ونحو ذلك... فهذه كلها وجوه حسان وموفقة، والله تعالى أعلم.

وأيضاً فيجوز الدعاء بلا مقدمات:

وقد ورد كم هائل من الدعوات عن رسول الله ﷺ فيه أن النبي ﷺ دعا بلا

مقدمات، وسنذكر كثيرًا منها في ثنايا كتابنا هذا إن شاء الله تعالى، ونجتزئ من ذلك في هذا المقام بما:

أخرج مسلم ^(١) في صحيحه، من حديث عبد الله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى».



(١) مسلم (حديث ٢٠٨٧).

تطبيب المطعم والمشرب والملبس حتى يجاب الدعاء

* أخرج مسلم في صحيحه^(١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا...» الحديث، وقد تقدم. وفيه: «ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يُمْدِدْ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»

* فيأتي مَنْ يدعو ربه وهو آكل لأموال اليتامى ظلماً، فيأكل في بطنه ناراً وهو لا يشعر فيدعو ويدعو فأنى يستجاب لمثل هذا؟!!

* ويأتي آخر يدعو ربه، ويدعو وهو آكل للربا، أو شاهد عليه، أو كاتبه، أو موكله، فيدعو ولا يستجاب، ولا يعرف ما السبب وراء ذلك، والسبب لا يخفى على أولي الأبواب.

* ويأتي ثالث من المصورين أو الذين يأكلون من الكذب على المسلمين والدجل عليهم وغشهم والتجسس عليهم والوشاية بينهم وتسريب المخدرات والخمور إليهم، ونشر الفاحشة فيهم، فيدعو ويدعو ويدعو، فلا يستجاب لمثل هذا، ولا يشعر إلا وهو مبتلى في ولده وفي زوجته وفي أمواله، وفي بدنه بالأسقام والأوجاع والأوبئة^(٢)، والمسكين لا يعرف ما السبب وراء ذلك كله؟ ألا وهو عدم تطبيب المطعم والمشرب وتحري الحلال من ذلك كله.

* * *

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) والمؤمن قد يتلى بشيء من ذلك، ولكن فرق بين هذا وذاك، فتلك الابتلاءات رفعا لدرجات المؤمنين وخطا لخطاياهم، أما هي للكافرين فانتقام من العزيز الجبار.

ما يقوله من يريد الاجتهاد في الدعاء

* والتوفيق للدعاء فضل من الله يؤتیه من يشاء؛ لأن الموفق من وفقه الله، فجديرٌ بالعبد، أن يسأل ربه التوفيق، كما قال نبي الله شعیب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨].

وكذلك؛ لأن المهتدي من هداه الله، فلا يهتدي شخص إلى الطيب من القول إلا إذا هداه الله، قال تعالى: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤]. وكذلك فالموفق للدعاء من وفقه الله، ومن ثمّ فلنسأل الله العون على الدعاء، والتوفيق له، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَتَحِبُّونَ أَنْ تَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ؟ قُولُوا: اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى شُكْرِكَ، وَذِكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» ^(١).

وتأمل قوله تعالى: ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]. فمن الذي ألهم آدم أن يقول هذه الكلمات، وهي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

إن الذي ألهمه هذه الكلمات هو الله تعالى.

* وإذا علمت أن السبق إلى الخيرات بإذن الله كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]. سألت الله أن يجعلك من السابقين بالخيرات.

* وإذا علمت أن الصبر من الله، ولا قدرة لك عليه إلا إذا صبرك الله، كما قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]. من ثمّ ستسأل الله الصبر.

* وإذا علمت المرأة أن قدرتها على حفظ نفسها من الوقوع في الحرام هو بحفظ الله تعالى لها، سألت الله أن يحفظها، فقد قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنَاطُتُ

(١) أحمد في «المسند» ٢٠ (٢/ ٢٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً وسنده صحيح.

حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴿[النساء: ٣٤].

وتأمل هذه الآية في امتحان المهاجرات، إذ يقول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَهُنَّ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجَّرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ﴿[المتحنة: ١٠]. فقله جل ذكره: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ فيه الحثُّ على سؤال الله التوفيق أثناء امتحان المهاجرات، فقد تخذع امرأة الممتحن لها، ولكن الصّحايات الكريّمات حاشاهن من ذلك. ولا شك ولا ريب؛ أن أحسن الأدعية وأكملها وأنفعها وأطيبها، تلك الواردة في كتاب الله ﷻ، وفي صحيح سنة رسول الله ﷺ.



ارتفاع الهمم في الدعاء

* وينبغي أن ترتفع الهمم في الدعاء، فإن الله لا يتعاضمه شيء؛ فيدُهُ مَلَأَى سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَخَزَائِنُهُ لَا تَنْفَدُ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ، فَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعِزِّمْ بِالْمَسْأَلَةِ، وَلِيُعْظِمَ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاضَّمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»^(١).

* وأخرج البخاري^(٢) في صحيحه، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ النَّبِيُّ وَلَدَ فِيهَا»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ، كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ» أَرَاهُ قَالَ: «فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، -وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».

* وأخرج مسلم^(٣) في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: اللَّهُمَّ أَمْتَعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي: مُعَاوِيَةَ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعْجَلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتَ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ».

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٧٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً.

(٢) البخاري (حديث ٢٧٩).

(٣) مسلم (حديث ٢٦٦٣).

فَتْهُ الدَّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

* وأخرج الحاكم وغيره^(١)، بإسناد حسن عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَعْرَابِيٍّ فَأَكْرَمَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَعَهَّدْنَا اثْنَيْنَا». فَأَتَاهُ الْأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا حَاجَتُكَ؟». فَقَالَ: نَاقَةٌ بَرَحِلَهَا، وَيَجْلِبُ لَبَنُهَا أَهْلِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَزَ هَذَا، أَنْ يَكُونَ كَعَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ». فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: مَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «إِنَّ مُوسَى، حِينَ أَرَادَ أَنْ يَسِيرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ ضَلَّ عَنْهُ الطَّرِيقُ، فَقَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّ يُونُسَ عليه السلام حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ أَنْ لَا نُخْرِجَ مِنْ مِصْرَ؛ حَتَّى تُنْقَلَ عِظَامُهُ مَعَنَا. فَقَالَ مُوسَى: أَيُّكُمْ يَدْرِي أَيْنَ قَبْرُ يُونُسَ؟ فَقَالَ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: مَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَكَانَ قَبْرِهِ، إِلَّا عَجُوزُ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مُوسَى، فَقَالَ: دُلِّينَا عَلَى قَبْرِ يُونُسَ، قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ؛ حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي. فَقَالَ لَهَا: مَا حُكْمُكَ؟ قَالَتْ: حُكْمِي أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ. فَكَانَتْ كَرِهَ ذَلِكَ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: أَعْطِهَا حُكْمَهَا، فَأَعْطَاهَا حُكْمَهَا، فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحِيرَةٍ مُسْتَنْقَعَةٍ مَاءً، فَقَالَتْ لَهُمْ: أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ. فَلَمَّا أَنْضَبُوا، قَالَتْ لَهُمْ: احْفَرُوا فَحَفَرُوا، فَاسْتَخَرُوا عِظَامَ يُونُسَ، فَلَمَّا أَنْ أَقْلَوْهُ مِنَ الْأَرْضِ إِذِ الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ».

تحري أوقات الإجابة

* وينبغي أن يُكثر العبدُ من الدعاء في كل وقت وحين، فالله سميع قريب مجيب؛ ولكن عليه أن يخصص الأوقات التي حث رسول الله على الدعاء فيها بمزيد من الاهتمام، فالإجابة فيها أرجى، والدعاء فيها أسمع، والقبول فيها أقرب، والله وحده المستعان، ومن هذه الأوقات ما يلي:

(١) الحاكم (٢/ ٤٠٤، ٥٧١) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

قلت (مصطفى): وإن كان الإسناد حسناً، إلا أن في نفسي منه شيئاً أيضاً، فلتنظر كتب العلل، بمزيد من البحث والتدقيق، وإنما أوردته لسلامة سنده، وسلامة معنى الجزء المستدل به، وهو ارتفاع الهمة في الدعاء. والله أعلم.

الثالث الأخير من الليل:

- * وذلك لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِينَ ^(١)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».
- * وأخرج مسلم ^(٢) من حديث جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً، لَا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ».
- * وفي رواية لمسلم ^(٣): «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لَا يُؤَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ».
- وكذلك فهناك ساعة يوم الجمعة يستجاب فيها الدعاء.
- * قال النبي ﷺ: «فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ، لَا يُؤَافِقُهَا مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ» ^(٤). وَقَالَ بِيَدِهِ، قُلْنَا: يُقَلِّلُهَا، يُزِيدُهَا.
- وقد تعددت أقوال العلماء في تحديد هذه الساعة، فورد عند مسلم من حديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، -في شأن ساعة الجمعة- سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ» ^(٥).
- إلا أن هذا الحديث معلول، ولا يصح ^(٦)، وقد أعلَّه الحافظ الدارقطني -رحمه الله تعالى-، وذكر الحافظ ابن حجر أيضًا، أنه أعلَّ بالاضطراب والانقطاع ^(٧).
- * وورد حديث آخر في تحديدها، وإسناده صحيح، إلا أن له علة أيضًا، وهو

(١) البخاري (مع الفتح ١١/١٢٨)، ومسلم (مع النووي ٦/٣٦).

(٢) مسلم (مع النووي ٦/٣٦).

(٣) مسلم (٦/٣٦).

(٤) البخاري (مع الفتح ١١/١٩٩)، ومسلم (مع النووي ٦/١٣٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٥) مسلم (مع النووي ٦/١٤٠)، وأبو داود (حديث ١٠٤٩).

(٦) أعني حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧) انظر الفتح (٢/٤٢٢)، وكتاب «التتبع» للدارقطني تعليق شيخنا مقبل بن هادي رَحِمَهُ اللَّهُ.

فَتْهُ الدَّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «يَوْمُ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ - يُرِيدُ سَاعَةً - لَا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ ﻋَظِيمَ شَيْئًا، إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ ﻋَظِيمَ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»^(١).

وهذا أقرب الأقوال في تحديدها^(٢)، ومع ذلك فينبغي أن يجتهد الشخص في الدعاء يوم الجمعة عموماً.

الدعاء بين الأذان والإقامة

* وذلك لقول النبي ﷺ: «الدَّعْوَةُ لَا تُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، فَادْعُوا»^(٣).

وكذلك حين تقام الصلاة:

* وذلك لقول النبي ﷺ: «سَاعَتَانِ لَا تُرَدُّ عَلَى دَاعٍ دَعْوَتُهُ، حِينَ تُقَامُ الصَّلَاةُ، وَفِي الصَّفِّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٤).

* أخرجه الترمذي بسند صحيح لغيره، وله متابع بلفظ: «سَاعَتَانِ تُفْتَحُ فِيهِمَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ: عِنْدَ حُضُورِ الصَّلَاةِ، وَعِنْدَ الصَّفِّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٥).

(١) أبو داود (٦٣٦/١)، والنسائي (٥٧٢/٢).

(٢) ذكر الحافظ في تحديد تلك الساعة في كتاب الجمعة حوالي ٤٠ قولاً - أربعين قولاً - وقال في الفتح (١٩٩/١١): ... واتفق لي نظير ذلك في ليلة القدر، وقد ظفرت بحديث يظهر منه وجه المناسبة بينهما في العدد المذكور وهو ما أخرجه أحمد وصححه ابن خزيمة من طريق سعيد بن الحارث، عن أبي سلمة قال: قلت: يا أبا سعيد إن أبا هريرة حدثنا عن الساعة التي في الجمعة فقال: سألت عنها النبي ﷺ فقال: «إني كنت أعلمتها ثم أنسيتها كما أنسيت ليلة القدر». وفي هذا الحديث إشارة إلى أن كل رواية جاء فيها تعيين وقت الساعة المذكورة مرفوعاً وهم والله أعلم.

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٥/٣)، وأبو داود (٣٥٨/١)، والترمذي (٦٤/١) مع تحفة الأحوذى وقال: حسن

صحيح غريب، وغيرهم، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه ابن حبان (موارد الظمان ٢٩٧).

(٥) أخرجه ابن حبان (موارد الظمان ٢٩٨).

وكذلك يستحبُّ عند السجود:

* لقول النبي ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»^(١).

ومن أوقات استحباب الدعاء أيضًا، الدعاء بعد الصلاة:

وذلك للآتي:

* قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧]، وقد ورد في تفسيرها أثر ابن عباس رضي الله عنه، بإسناد ضعيف عند الطبري أنه قال: فإذا فرغت مما فرض عليك من الصلاة فسل الله وارغب إليه، وانصب له، وورد عن قتادة بإسناد صحيح في تفسيرها - عند الطبري - أنه قال: أمره إذا فرغ من صلاته أن يبالغ في دعائه.

* واستدل القائلون بمشروعية الدعاء بعد الصلاة أيضًا بقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(٢).

* واستدلوا أيضًا، بما أخرجه مسلم من حديث علي رضي الله عنه، أن رسول الله كان إذا سلّم قال: «اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٣).

* وما أخرجه مسلم^(٤) أيضًا من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبَلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ (أَوْ تَجْمَعُ) عِبَادَكَ».

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٤ / ٢٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه أبو داود (٢ / ١٨٠)، والنسائي (٣ / ٥٣)، وابن السني (١١٦)، وأحمد (٥ / ٢٤٥، ٢٤٧)، وابن حبان (٢٣٤٥).

(٣) أخرجه مسلم (٧٧١) ص (٥٣٦).

(٤) أخرجه مسلم (٧٠٩).

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

* وما أخرجه البخاري^(١) من طريق عمرو بن ميمون الأودي، أنه قال: كَانَ سَعْدٌ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، كَمَا يُعَلِّمُ الْمُعَلِّمُ الْغُلَمَانَ الْكِتَابَةَ، وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُمْ دُبُرَ الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

* واستدلوا أيضًا بحديث أبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: «جَوْفَ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ»^(٢). إلا أن هذا الحديث ضعيف خاصة قوله: «وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ». فهو من طريق عبد الرحمن بن سابط عن أبي أُمَامَةَ، ولم يسمع من أبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* وقد ورد هذا الحديث من طرق عن أبي أُمَامَةَ عن عمرو بن عبسة مرفوعًا، ومن طرق عن عمرو بن عبسة مرفوعًا، وكل هذه الطرق عن عمرو بن عبسة فيها مقال، ومع ذلك ليس فيها: «وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ»

* واستدلوا أيضًا بعمومات ألا وهي: أن الدعاء يشرع بعد الأعمال الصالحة، ومنها الصلاة، وذلك كدعاء الاستخارة وغيره.

* وقد أجاب قائلو هذا القول على أدلة المانعين للدعاء بما حاصله أن حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا سَلَّمَ لَمْ يَقْعُدْ إِلَّا مَقْدَارَ مَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ..» الحديث^(٣) المراد منه نفي الجلوس على هيئة المصلي قبل أن يسلم، فهو يجلس على هيئة المصلي هذا القدر: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ. تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ..». ثم يلتفت إلى أصحابه.

* وأجابوا على القول القائل بأن دبر الشيء منه بما حاصله: أن دبر الشيء قد يكون منه أحيانًا، وأحيانًا آخر يكون خارجًا عنه، فالنبي ﷺ لما علّم أصحابه التسبيح

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٥)، والترمذي (مع التحفة ١٠/ ١٤)، والنسائي (ج ٧ باب التعوذ).

(٢) أخرجه الترمذي (حديث ٣٤٩٩)، والنسائي (في عمل اليوم والليلة) (١٠٨).

(٣) أخرجه مسلم (ص ٤١٤) حديث (٥٩٢).

والتحميد والتكبير ثلاثاً وثلاثين دبر كل صلاة، يعلم الجميع أن المراد بعد انتهاء الصلاة والتسليم منها، وكذلك حثه عليه الصلاة والسلام على قراءة آية الكرسي^(١) دبر كل صلاة عند من صححه فإنما المراد منه بعد الصلاة.

أما القائلون بمشروعية الدعاء بعد الصلاة، فمنهم الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - فقد قال في «الأم»: «أستحب للمصلي منفرداً، وللمأموم أن يطيل الذكر بعد الصلاة، ويكثر الدعاء رجاء الإجابة بعد المكتوبة.

وقال النووي في «المجموع»: ويستحب أن يدعو أيضاً بعد السلام بالاتفاق.

قلت: ويظهر لي أنه أراد اتفاق الشافعية، والله أعلم.

وقال ابن قدامة في «المغني»: ويستحب ذكر الله، والدعاء عقيب سلامه، ويستحب من ذلك ما ورد به الأثر.

ودعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجاب:

* أخرج الإمام مسلم^(٢) في «صحيحه» من طريق صفوان وهو ابن عبد الله بن صفوان، وكانت تحته الدرداء، قال: قدمت الشام، فأتيت أبا الدرداء في منزله، فلم أجده، وجدت أم الدرداء، فقالت: أتريد الحج العام، فقلت: نعم، قالت: فادع الله لنا بخير، فإن النبي ﷺ كان يقول: «دعوة المرء المسلم لأخيه، بظهر الغيب مستجابة»^(٣)، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل». قال: فخرجت إلى السوق، فلقيت أبا الدرداء، فقال لي مثل ذلك يرويه، عن النبي ﷺ.

* وعند مسلم^(٤) كذلك من طريق طلحة بن عبيد الله بن كريز، عن أم الدرداء،

(١) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (حديث ١٢١).

(٢) مسلم (حديث ٢٧٣٣).

(٣) بظهر الغيب، أي: في غياب المدعو له أو في سره.

(٤) مسلم (حديث ٢٧٣٢).

فَتْهُ الدُّعَاءُ وَالتَّعَوُّذَاتِ

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ، يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ».

ودعوة المظلوم مستجابة:

* أخرج البخاري ومسلم ^(١)، من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ».

* وهذا صالحٌ مظلوم قد استجاب الله دعاءه، وهو الصحابي الكريم سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه.

* أخرج البخاري ^(٢) من حديث جابر بن سمره رضي الله عنه، قَالَ: شَكَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه، فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَارًا، فَشَكُّوا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ فَإِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَخْرَمَ عَنْهَا، أَصَلِّي صَلَاةَ الْعِشَاءِ، فَأَرْكَدُ فِي الْأُولَيْنِ وَأُخَفُّ فِي الْآخِرَيْنِ، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا - أَوْ رَجَالًا - إِلَى الْكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَدْعُ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أَسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا، فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ.

قَالَ سَعْدٌ: أَمَّا وَاللَّهِ لَا دَعْوَةَ بَثَلَاثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءٌ وَسُمْعَةٌ، فَأَطْلَ عُمُرَهُ، وَأَطْلَ فَقْرَهُ، وَعَرَّضْهُ بِالْفِتَنِ.

وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ.

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ

(١) البخاري (حديث ٢٤٤٨)، ومسلم (حديث ١٩).

(٢) البخاري (حديث ٧٥٥)، وأصله عند مسلم (حديث ٤٥٣).

لَيَتَعَرَّضَ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ.

وكذلك فالصائم دعاءه مستجاب:

* أخرج ابن ماجه بإسناد حسن، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللَّهُ
دُونَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ»^(١).

* * *

(١) ابن ماجه (حديث ١٧٥٢).

وعمومًا فيستحب الدعاء

بين يدي الأعمال الصالحة وفي ثناياها وعقبها

* فعباد الرحمن: ﴿يَسْتُوبِكْ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ﴿[الفرقان: ٦٤، ٦٥].
فانظر كيف جاء دعاؤهم مع صلاتهم.

* وكذلك فالخليل إبراهيم يرفع القواعد من البيت ومعه ولده إسماعيل ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

* وكذلك ذكر الله أنبياءه عليهم صلوات الله وسلامه، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].
فدعاؤهم مع مسارعتهم في الخيرات.

وبين يدي الجهاد دعاء:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].
وكذلك قال تعالى: ﴿وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ^(١) ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿.

[آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].

(١) لما علموا أن عدوهم قد يتسلط عليهم بسبب ذنوبهم، وكذلك فذنوبهم قد توهنهم وتضعف قوتهم سألوا ربهم المغفرة لذنوبهم؛ بل واعترفوا بإسرافهم في أمرهم وسألوا ربهم المغفرة أيضًا، ثم سألوه الثبات والنصر.

وعند الخروج للصلاة دعاء:

* أخرج البخاري ومسلم ^(١) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - واللفظ لمسلم -، أَنَّهُ رَقَدَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَيْقَظَ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿إِنِّكَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَنْتِ لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، فَقَرَأَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، فَأَطَالَ فِيهِمَا الْفِيَّامَ وَالرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، سِتَّ رَكَعَاتٍ، كُلَّ ذَلِكَ يَسْتَاكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيَقْرَأُ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ، ثُمَّ أَوْتَرَ بِثَلَاثٍ، فَأَذَنَ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللَّهُمَّ اعْطِنِي نُورًا».

وعند دخول المسجد دعاء، وعند الخروج منه دعاء:

* أخرج مسلم ^(٢) في صحيحه، من حديث أَبِي حُمَيْدٍ، أَوْ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ».

وعقب الأذان دعاء:

* وأخرج الإمام مسلم ^(٣) في صحيحه من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

(١) مسلم (ص ٥٣٠) وانظر البخاري (١١/١١٦).

(٢) مسلم (مع النووي ٥/٢٢٤).

(٣) مسلم (مع النووي ٥/٨٥).

فَتْهُ الدَّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

* وأخرج الإمام البخاري ^(١) من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

* وأخرج أبو داود ^(٢) بإسناد حسن لغيره، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْمُؤَذِّنِينَ يَفْضُلُونَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ كَمَا يَقُولُونَ فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ تُعْطَهُ».

وبين الأذان والإقامة دعاء كما قدمنا.

وبعد تكبيرة الإحرام هناك دعاء الاستفتاح ^(٣).

(١) البخاري (مع الفتح ٨ / ٣٣٩).

(٢) أبو داود (١ / ٣٦٠).

(٣) وله صيغ متعددة صحيحة، عن رسول الله ﷺ والتنويع مستحب، بمعنى أن المصلي يستحب له أن يذكر هذا مرة وهذا مرة، وإن كان الذي يغلب حديث أبي هريرة رضي الله عنه لصحته، واتفاق البخاري ومسلم على إخراجها، ولفظه: «اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ تَقْنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا تَقْنِي الثُّوبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنَ خَطَايَايَ بِالْثَّلَجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرْدِ». أخرجه البخاري (٢ / ٢٢٧)، ومسلم (مع النووي ٥ / ٩٦).

* وهناك دعاء آخر في «صحيح مسلم» (مع النووي ٦ / ٥٧) من حديث علي رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي، فَاعْفُ رِي دُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

وفي رواية عند مسلم أيضًا: كان رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة كَبَّرَ ثم قال: «وجهت وجهي..»، وقال: «وأنا أول المسلمين».

وعند مسلم (حديث رقم ٦٠٠) أيضًا من حديث أنس، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ فَدَخَلَ الصَّفَّ، وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفْسُ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ قَالَ: «أَيُّكُمْ الْمُتَكَلِّمُ»

والفاتحة أيضًا متضمنة للدعاء:

فإذا قال العبد: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قال الله تبارك وتعالى: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل، كما ورد في الحديث القدسي عند مسلم وغيره.
بل وفي ثنانيا القراءة أيضًا كان النبي ﷺ إذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ^(١):
وقد حَمَلَ بعض العلماء ذلك على صلاة النافلة في الليل، وقال النووي في شرح مسلم: فيه استحباب هذه الأمور لكل قارئ في الصَّلاة وغيرها، ومذهبنا استحبابه للإمام والمأموم والمنفرد.



بِالْكَلِمَاتِ؟» فَأَرَمَ الْقَوْمَ [أَرَمَ الْقَوْمُ: أي سكتوا]، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ بِأَسَا» فَقَالَ رَجُلٌ: جِئْتُ وَقَدْ حَفَزَنِي النَّفْسُ فَقُلْتُهَا، فَقَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا يَتَنَدَّرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا».

ومن أدعية الاستفتاح كذلك ما أخرجه ابن ماجه (حديث ٨٠٤) بإسناد حسن، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَسْتَفْتِحُ صَلَاتَهُ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ». وَتَمَّ أَدْعِيَةُ أُخَر.

(١) وفي رواية لأبي داود (٥٤٣/١) من حديث حذيفة: وما مرَّ بآية رحمة إلا وقف عندها فسأل، ولا بآية عذاب إلا وقف عندها فتعوذ، أما اللفظ الذي ذكرناه فهو عند مسلم (حديث ٧٧٢) من حديث حذيفة رضي الله عنه فقد أخرج مسلم الحديث وفيه: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رُكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ رَأَى مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ.

ومن الدعاء مع الأعمال الصالحة

قوله تعالى لبني اسرائيل: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٨]. أي قولوا: يا رب حطّ عنا خطايانا واغفرها لنا.

وفي الركوع تمجيد وتعظيم اللرب^(١):

وفي السجود دعاء^(٢).

وكذلك بين السجدين دعاء^(٣).

وهناك قنوت بعد الركوع في الملمات والنوازل والشدائد والمصائب، ومن أهل العلم من يرى القنوت عامًّا بعد القيام من الركوع في الركعة الثانية مع صلاة الفجر^(٤).

وكذلك فالقنوت في الوتر مشروع^(٥).

وكذلك فبعد الانتهاء من التشهد، وقبل التسليم يتخير المصلي من الدعاء أعجبه إليه^(٦)، واتباع الوارد أولى ويبدأ به.

ويُردفُ بغيره عند من شاء، ما لم يكن فيه إثم ولا قطيعة رحم، ثم بعد التسليم من الصلاة استغفار وتعوذ وذكر ودعاء.

(١) أخرج مسلم (مع النووي ١٩٦/٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «... فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعِظْمُوا فِيهِ الرَّبَّ ﷻ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاَجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقِمْنَ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ».

(٢) عند مسلم (مع النووي ٢٠٠/٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ».

(٣) عند ابن ماجه (٨٩٧) بسند صحيح، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي... رَبِّ اغْفِرْ لِي».

(٤) ذلك ثابت في جملة مواطن، وانظر كتابنا «الأذكار»، وكذلك كتابنا «مفاتيح الفقه في الدين».

(٥) ذلك ثابت في جملة مواطن، وانظر كتابنا «الأذكار»، وكذلك كتابنا «مفاتيح الفقه في الدين».

(٦) انظر البخاري (مع الفتاح ٣٢٠/٢)، ومسلم (مع النووي ١١٥/٤).

وكذلك، فكما قدمنا فدعاء الصائم مستجاب، وقد قدمنا الخبر في ذلك عن رسول الله ﷺ.

ومن تعار من الليل له دعاء مستجاب أيضاً:

* أخرج البخاري ^(١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَعَارَ ^(٢) مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، - أَوْ دَعَا -، اسْتَجِبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ».

الدعاء لمن قدم معروفاً أو أراد أن يقدمه:

* ومن شكر الناس الدعاء لهم إذا عرضوا تقديم معروف أو قدموه:
قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه - لما قال سعد بن الربيع وكان سعد ذا غنى، فقال لعبد الرحمن: أَقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَأَزْوَجُكَ - بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُونِي عَلَى السُّوقِ .. الحديث ^(٣).

الدعاء للأشخاص في ثنايا الحديث معهم والحديث عنهم:

* قال النبي ﷺ، وهو يشتري الجمل من جابر: «أَتَبِيعُنِيهِ بِكَذَا وَكَذَا وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَكَ؟» ^(٤).

وقال النبي ﷺ: «أُرِيتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَنْزَعُ بِدَلْوٍ بَكْرَةً عَلَى قَلْبٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَتَزَعُ ذُنُوبًا، أَوْ ذُنُوبَيْنِ نَزَعًا ضَعِيفًا، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ..» ^(٥). الحديث.

(١) البخاري (مع الفتح ٣ / ٣٩).

(٢) التعار: يقظة مع صوت. قاله الأكثر (فتح ٣ / ٣٩)، والبعض ذكر أنها الاستيقاظ، والبعض تعار: انتبه، والبعض: تقلب على الفراش ليلاً مع كلام.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٠٤٩).

(٤) مسلم (حديث ١٠٨٩).

(٥) البخاري (حديث ٣٦٨٢)، ومسلم (٢٣٩٣).

وكذلك فيستحبُّ الدعاء في الليالي المباركة والأيام الطيبة وكذلك الأماكن الطيبة المباركة

فيستحبُّ الدعاء في ليلة القدر.
ويستحبُّ الدعاء يوم عرفة، وخاصة بعرفات^(١).
وكذلك عند المشعر الحرام يستحبُّ الدعاء.
وكذلك بعد رمي الجمرة الصغرى، وبعد رمي الجمرة الوسطى، في أيام التشريق الثلاثة.

كما يستحبُّ الدعاء أثناء الطَّواف وعلى الصَّفا والمروة، بل وفي الكعبة أيضًا.
وكذلك فالمواطن التي يُظن حضور الملائكة فيها يستحب فيها الدعاء:
* فقد قال النبي ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا»^(٢).

وقال النبي ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»^(٣). وذلك لما دخل النبي ﷺ على أبي سلمة، وَقَدْ شَقَّ بَصْرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «لَا تَدْعُوا...».
الحديث.

(١) انظر ذلك فما بعده في أبواب الحج، وخاصة في حديث جابر الطويل في وصف حجة النبي ﷺ، وذلك عند مسلم (ص ٨٨٦ ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي).

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٥٠)، ومسلم (مع النووي ٤٦/ ١٧).

(٣) مسلم (مع النووي ٦/ ٢٢٢).

وكذلك الدعاء في مكة:

* فحتى أهل الشرك كانوا يرون أن الدعاء مستجاب فيها، ولما دعا عليهم رسول الله ﷺ فيها استجاب الله دعاءه، ففي البخاري^(١) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جُزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَأَنْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ، وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أَغْنِي شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ.

قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ، وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ. قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ.

ثُمَّ سَمَى: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ ابْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ» -وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ-، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرَغِي، فِي الْقَلْبِ، قَلْبٍ بَذَرٍ.

وكما أن الدعوات تشرع في الأماكن المباركة والأوقات الطيبة وعند حضور الملائكة، فكذلك تشرع التعوذات^(٢) في أماكن الشرِّ والفساد، وأوقات الفتن وعند

(١) البخاري (حديث ٢٤٠)، وأصل الحديث عند مسلم كذلك (١٧٩٤).

(٢) قال ابن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «تَفْسِيرِهِ» (ج ١ ص ١٥): والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله، والالتصاق بجناحه من

شر كل ذي شر، والعيادة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير كما قال الممتنبي:

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُوْمَلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّنْ أَحَاذِرُهُ

لَا يَجْبِرُ النَّاسَ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهِيضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ

ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للهم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتطيب له وتهيؤ لتلاوة كلام الله.

وهي استعانة بالله ﷻ، واعتراف له بالقدرة، وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين

فَتْهُ الدِّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

مظنة حضور الشياطين، ومن كل ما يُخشى منه الضرر في الدنيا أو الدين.
فقد كان النبي ﷺ، إذا دخل الخلاء، قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ»^(١).

وقال ﷺ: «وَإِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهْيَ الْحِمَارِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»^(٢).

* وأخرج أبو داود^(٣)، بإسناد صحيح، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ نُبَاحَ الْكِلَابِ، وَنَهْيَ الْحُمُرِ بِاللَّيْلِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ، فَإِنَّهُمْ

الباطن الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه، ولا يقبل مصانعة، ولا يدارى بالإحسان، بخلاف العدو من نوع الإنسان كما دلت على ذلك آيات القرآن.
ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه؛ فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا أمر الله تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه، ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن؛ لأنه لا يقبل رشوة، ولا يؤثر فيه جميل؛ لأنه شرير بالطبع ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه.

وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن لا أعلم لهن رابعًا:

قوله سبحانه وتعالى في الأعراف: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من البشر، ثم قال: ﴿وَمَا يَزْعَمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [٩٦] وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ [٩٧] وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ [المؤمنون: ٩٦-٩٨].
وقال تعالى في سورة حم السجدة: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [٣٢] وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا ذُرِّيٌّ عَظِيمٌ [٣٣] وَمَا يَزْعَمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [فصلت: ٣٤-٣٦]. ثم شرع رحمه الله في تفسير معنى الشيطان.

(١) البخاري (مع الفتح ١/ ٤٢٤)، ومسلم (حديث ٣٧٥)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا والمراد بالخُبْث: ذكران الشياطين، والخبائث: إناثهم.

(٢) البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٥٠).

(٣) أبو داود (٣٣٢/ ٥).

يَرَيْنَ مَا لَا تَرَوْنَ».

* وكذلك فلما كان الشيطان يحضر عند الغضب، فقد شرع لنا التعوذ عند الغضب، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

* وفي الصحيحين^(١) من حديث سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَدَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَحْدُ». فَاِنْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: «تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ» فَقَالَ: أَتَرَى بِي بَأْسٌ، أَمْ جُنُونٌ أَنَا، أَذْهَبَ.

* ولما كان الشيطان يحضر عند الولادة، فيطعن المولود في خاصرته شرع تعويذ الصبيان، ففي الصحيحين^(٢)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ، إِلَّا نَحَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ نَحْسَةِ الشَّيْطَانِ، إِلَّا ابْنُ مَرْيَمَ وَآمَةُ».

ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

* وقد كان النبي ﷺ يعوذ الصبيان؛ ففي صحيح البخاري^(٣)، من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَآمَةٍ».

* ولما كان الشيطان يحاول إفساد القراءة على قارئ القرآن شرع لقارئ القرآن التعوذ بالله من الشيطان بين يدي القراءة.

(١) البخاري (مع الفتح ١٠ / ٤٦٥)، ومسلم (مع النووي ١٦ / ١٦٣).

(٢) البخاري (حديث ٣٤٣١)، ومسلم (حديث ٢٣٦٦) واللفظ لمسلم.

(٣) البخاري (مع الفتح ٦ / ٤٠٨).

فَتْهُ الدِّينِ وَالْتَّوَكُّلِ

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

* وأخرج مسلم^(١) من حديث عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَائَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتَّقِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا». قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي.

ويتعوذ بالله عند وسوسة الشياطين:

* لما أخرجه البخاري ومسلم^(٢) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَسْتَهْ».

* وكان النبي ﷺ يتعوذ، فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَالْهَدْمِ، وَالْغَرَقِ، وَالْحَرِيقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَحَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا»^(٣).

* وكان النبي ﷺ، يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَشَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ»^(٤).

وهذا بابٌ واسعٌ جدًا^(٥)، ومن أراد المزيد منه، فليراجع إلى كتب الاستعاذة.

والاستعاذة تكون بالله أو بأسمائه وصفاته:

* أما الاستعاذة بالله، فعموم النصوص المتقدمة وغيرها يشهد له.

* أما الاستعاذة بأسمائه سبحانه:

(١) مسلم (مع النووي ١٤ / ١٨٩).

(٢) البخاري (مع الفتح ٦ / ٣٣٦)، ومسلم (مع النووي ٢ / ١٥٤).

(٣) أخرجه النسائي (٨ / ٢٤٩) بسند صحيح من حديث أَبِي الْيَسْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

(٤) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧ / ٣٨).

(٥) اقتصرنا منه على القدر الكافي المؤدي للغرض، وبالله التوفيق.

فمنها: قول مريم عليها السلام: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِن كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨].
أما الاستعاذة بصفات الله ﷻ فمن شواهد ما أخرجه البخاري ^(١) من حديث جابر
ابن عبد الله ﷺ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ
فَوْقِكُمْ﴾، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، فَقَالَ: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكَ﴾، فَقَالَ النَّبِيُّ
ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: ﴿أَوْ يَلْسَكُمُ شَيْعًا﴾ [الأنعام: ٦٥]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا
أَيْسَرُ».

*** وفي الباب أيضًا:** ما ورد من تعليم النبي ﷺ أن يقول: «أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَقُدْرَتِهِ
مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ، وَأُحَازِرُ» ^(٢).



(١) البخاري (مع الفتح ٣٨٨ / ١٣) حديث (٧٤٠٦).

(٢) أصل الحديث عند مسلم (مع النووي ١٨٩ / ١٤) من حديث عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، أَنَّهُ شَكَاهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ: سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَازِرُ».

طرف من أدب الدعاء

تقدم ذكر طرف من أدب الدعاء في ثنايا الأبواب المتقدمة، وهذا مزيد من أدب الدعاء.

الإخلاص في الدعاء

* قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].
 * وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَيْفَةً وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَجَبْنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣].

فالإخلاص في الدعاء مع التضرع سبب في تفريج الكربات، وإجابة الدعوات، من ثم أُجيب دعوة المضطر.

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّ لَهُ مَعَ اللَّهِ...﴾ [النمل: ٦٢].

فالمضطر الذي أفلقته الكروب وتعسر عليه المطلوب.

المضطر هو المكروب المجهود، وهو الذي أحوجه المرض، أو الفقر، أو أحوجته النوازل إلى اللجوء والتضرع إلى الله.

هذا المضطر يكون أشدَّ إخلاصًا، وأقوى تضرعًا إلى الله سبحانه وتعالى من غيره، فرغبته أقوى، ودعاؤه أخضع، ومن ثمَّ فدعاؤه أقرب للإجابة من غيره.

* وانظر إلى أثر الإخلاص في الدعاء، فيما أخرجه مسلم في صحيحه، من حديث

أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا، أُعْطِيَهَا، وَلَوْ لَمْ تُصِبه» ^(١).

* وعند مسلم، كذلك من حديث سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» ^(٢).

* * *

(١) مسلم (مع النووي ٥٥ / ١٣).

(٢) مسلم (مع النووي ٥٥ / ١٣).

مساعات على إجابة الدعوات

منها، وكما سلف مصاحبة الدعاء بالأعمال الصالحة قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ومنها صدق النوايا، قال تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨ وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: ١٨، ١٩].

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥].

ومن تأثير النوايا الحسنة في إجابة الدعاء

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥].

فإرادة الحكمين للإصلاح - والإرادة محلها القلب - سبب في التوفيق بين الزوجين بإذن الله.

وقد قال شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُريدُ إِلَّا الْإِصْلَاحُ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨].

اليقين مع الدعاء

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّآ لَمُدْرَكُونَ ۝١١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ [الشعراء: ٦١، ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وقال الرسول ﷺ: «مَا ظَنُّكَ بِأَنْتَيْنِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا».

وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢].

وقال السحرة بعد إيمانهم: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[الشعراء: ٥١].

* * *

التضرع في الدعاء

* فالتضرع وصدق اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى من أسباب الإجابة؛ بل من

أعظمها، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

* وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنعام: ٤٣].

* وقد قدّمنا أنه مقصد من مقاصد الابتلاء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ

فَمَا اسْتَكَانُوا لَهُمْ وَمَا يَنْضَعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

* * *

الاستسلام بين يدي الدعاء

أُخِذَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي بَيَانِ حَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٣٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿[البقرة: ٢٨٥-٢٨٦].

* وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُ نَبِيِّ اللَّهِ نُوْحٍ ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

* وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

* وَقَوْلُ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى الْكَلِيمِ ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

* وَقَوْلُهُ ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦].

* وَقَوْلُ أَهْلِ الْإِيمَانِ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا ثَوْرَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[التحريم: ٨].

* وَقَوْلُ نَبِيِّ اللَّهِ يُونُسَ ﷺ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[الأنبياء: ٨٧].

وَمِنْ أَدْعِيَةِ الرَّسُولِ ﷺ: بِالْمَغْفِرَةِ مَا يَلِي:

سيد الاستغفار:

* أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ ^(١) مِنْ حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَيِّدُ

(١) البخاري (مع الفتح ١١ / ٩٧).

الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»

أوفق الدعاء:

أخرج الإمام أحمد^(١)، بسند صحيح، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: «إِنْ أَوْفَقَ الدُّعَاءَ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، يَا رَبِّ، فَاغْفِرْ لِي ذَنْبِي، إِنَّكَ أَنْتَ رَبِّي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». ثنا^(٢) رَوْحٌ، ثنا شُعْبَةُ، ثنا ابْنُ أَبِي حُسَيْنٍ الْمَكِّيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ.

ومن فضل الدعاء بدعوة ذي النون:

* قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلُظًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

* وأخرج الحاكم^(٣)، بإسناد صحيح لشواهده^(٤) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ، إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، إِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ بِهَا».

(١) أحمد في المسند (٢/ ٥١٥).

(٢) القائل: حدثنا هو الإمام أحمد رحمته الله.

(٣) الحاكم (١/ ٤٠٥) وقال: هذا حديث صحيح، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) وانظر: تلك الشواهد في كتابنا: «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة».

إخفاء الدعاء

* ويستحب - في الجملة - إخفاء الدعاء، وعدم إظهاره إلا في المواطن التي ورد أن النبي ﷺ كان يُظهر فيها دعاءه^(١)، أو المواطن التي تدعو الحاجة إلى إظهار الدعاء فيها.

أما إخفاء الدعاء فمن أدلته ما يلي:

* قول الله تبارك وتعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.
[الأعراف: ٥٥].

* وقد ذكر الله في كتابه نبياً كريماً رضي عن فعله وزكاه وهو زكريا عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَّاءٍ خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣].

* وكان النبي ﷺ يقوم من الليل، إذا غلب على ظنه أن عائشة، قد نامت فيفزع إلى الصلاة سائلاً ربه مستغفراً، ويتجه إلى بقيع الغرقد يدعو هنالك للأموات.
* أخرج الإمام مسلم^(٢) في صحيحه، من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفَرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدَيَّ عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».
* وأخرج مسلم^(٣) في صحيحه أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: لَمَّا كَانَتْ

(١) ذلك - والله أعلم - كالقنوت في الصلوات والنوازل والاستسقاء وخطب الجمعة والأعياد، وقول آمين في الصلاة، والأدعية العامة، وكل ما ورد نحوه عن رسول الله ﷺ، وعموماً فالنفل في الغالب يُخفى، والفرض يُجهر به، فصلاة النفل في البيت أفضل، وصلاة الفرض في المسجد أوجب.

(٢) مسلم (حديث ٤٨٦).

(٣) مسلم (ص ٦٧).

لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِي، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثِمًا ظَنَّ أَنَّ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ، وَتَقَنَّنْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ، حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ فَقَامَ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرَوَلْ فَهَرَوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ^(١)، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ، فَقَالَ: «مَا لَكَ؟ يَا عَائِشُ، حَشِيًّا رَابِيَةً^(٢)». قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، قَالَ: «لَتُخْبِرَنِي أَوْ لِيُخْبِرَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعْتَنِي.

ولإخفاء الدعاء جملة من الفوائد:

ذكرها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى^(٣) فقال:

وفي إخفاء الدعاء فوائد عظيمة:

أحدها: أنه أعظم إيمانًا؛ لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع دعاءه الخفي، وليس كالذي قال: إن الله يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا.

وثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم، ولهذا لا تخاطب الملوك، ولا تسأل برفع الأصوات، وإنما تخفض عندهم الأصوات، ويخفض عندهم الكلام بمقدار ما يسمعون، من رفع صوته لديهم مقتوه، والله المثل الأعلى، فإذا كان ربنا يسمع الدعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به.

ثالثها: أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولُبُّه ومقصوده.

(١) الإحضار: العدو، أي: فعدوت عدوًا.

(٢) أي مرتفعة البطن تنهجين وتنفسين بسرعة.

(٣) «التفسير القيم».

فإن الخاشع الذليل الضارع إنما يسأل مسألة مسكين ذليل، قد انكسر قلبه، وذلت جوارحه، وخشع صوته، حتى إنه ليكاد تبلغ به ذلته ومسكنته، وكسرتة، وضراعتة إلى أن ينكسر لسانه فلا يطاوعه بالنطق، فقلبه سائل مبتهل، ولسانه لشدة ذلّه وضراعتة ومسكنته ساكت، وهذه الحالة لا يتأتى معها رفع الصوت بالدعاء أصلاً.

ورابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

وخامسها: أنه بلغ في جمعية القلب على الله في الدعاء، فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته، فكما خفض صوته كان أبلغ في حمده وتجريد همته وقصده للمدعو، سبحانه وتعالى.

وسادسها: وهو من النكت السريّة البديعة جدًّا - أنه دالٌّ على قرب صاحبه من الله، وأنه لا اقترابه منه، وشدة حضوره يسأله مسألة أقرب شيء إليه. فيسأله مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد، ولهذا أثنى سبحانه وتعالى على عبده زكريا بقوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]. فكلما استحضر القلب قرب الله تعالى منه، وأنه أقرب إليه من كل قريب، وتصور ذلك أخفى دعاء ما أمكنه، ولم يتأت له رفع الصوت به؛ بل يراه غير مستحسن، كما أن من خاطب جليسا له يسمع خفي كلامه، فبالغ في رفع الصوت استهجن ذلك منه، والله المثل الأعلى سبحانه.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بعينه بقوله في الحديث الصحيح - لما رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير، وهم معه في السفر - فقال: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِي رَاحِلَتِهِ».

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

[البقرة: ١٨٦]. وهذا يدل على إرشادهم للمناجاة في الدعاء، لا للنداء الذي هو رفع الصوت، فإنهم عن هذا سألوا، فأجيبوا بأن ربهم - تبارك وتعالى - قريب لا يحتاج في

دعائه وسؤاله إلى النداء، وإنما يُسأل مسألة القريب المناجى، لا مسألة البعيد المنادى.

وهذا القرب من الداعي هو قرب خاص، ليس قرباً عاماً من كل أحد، فهو قريب من داعيه، وقريب من عباده، و«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ». وهو أخص من قرب الإنابة، وقرب الإجابة، الذي لم يُثبت أكثر المتكلمين سواه؛ بل هو قرب خاص من الداعي والعابد، كما قال النبي ﷺ راوياً عن ربه -تبارك وتعالى-: «مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا». فهذا قربه من عبده.

وأما قربه من داعيه وسائله، فكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]. فيه الإشارة والإعلام بهذا القرب.

وأما قربه -تبارك وتعالى- من محبته فنوع آخر وبناء آخر، وشأن آخر، كما قد ذكرناه في كتاب «التحفة المكية» على أن العبارة تنبؤ عنه، ولا يحصل في القلب حقيقة معناه أبداً، لكن بحسب قوة المحبة وضعفها يكون تصديق العبد بهذا القرب.

وإياك ثم إياك أن تعبر عنه بغير العبارة النبوية، أو يقع في قلبك غير معناها ومرادها فتزل بك قدماً بعد ثبوتها، وقد ضعف تمييز خلائق في هذا المقام وساء تعبيرهم فوقعوا في أنواع من الطامات والشطح، وقابلهم من غلظ حجابهم، فأنكر محبة العبد لربه جملة وقربه منه، وأعاد ذلك إلى مجرد الثواب المخلوق، فهو عنده المحبوب القريب ليس إلا.

وقد ذكرنا من طرق الرد على هؤلاء وهؤلاء في كتاب التحفة أكثر من مائة طريق. والمقصود هاهنا: الكلام على هذه الآية.

وسابعها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال، فإن اللسان لا يمل والجوارح لا تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته فإنه يكلُّ لسانه وتضعف بعض قواه.

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

وهذا نظير من يقرأ ويكرر رافعاً صوته، فإنه لا يطول له ذلك بخلاف من يخفض صوته.

وثامنها: أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات والمضعفات، فإن الداعي إذا أخفى دعاءه لم يدر به أحدٌ فلا يحصل له هناك تشويش، ولا غيره، وإذا جهر به تفتنت له الأرواح الشريرة، والباطولية الخبيثة من الجن والإنس، فشوشت عليه، ولا بد، ومانعته وعارضته، ولو لم يكن من ذلك إلا أن تعلقها به يفرق عليه همته، فيضعف أثر الدعاء لكفى، ومن له تجربة يعرف هذا. فإذا أسر الدعاء وأخفاه أمن هذه المفسدة.

وتاسعها: أن أعظم النعم هو الإقبال على الله، والتعبد له، والانقطاع إليه، والتبتل إليه، ولكل نعمة حاسد على قدرها، دقت أو جلت، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة، فأنفس الحاسدين المنقطعين متعلقة بها، وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد، وأن لا يقصد إظهارها له. وقد قال يعقوب ليوسف: ﴿لَا تُقَصِّصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥].

وكم من صاحب قلب وجمعيّة وحال مع الله قد تحدث بها، وأخبر بها فسلبه إيّاها الأغيار، فأصبح يقلب كفيه.

ولهذا يوصي العارفون، والشيوخ بحفظ السرّ مع الله وألا يطلعوا عليه أحداً، ويتكتمون به غاية التكتّم كما أنشد بعضهم في ذلك:

من سارروه فأبدى السرّ مجتهدا لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
وأبعدوه فلم يظفر بقربهم وأبدلوه مكان الإنس إيحاشا
لا يأمنون مديعاً بعض سرهم حاشا ودادهم من ذلكم حاشا

والقوم أعظم شيء كتماناً لأحوالهم مع الله، وما وهب الله لهم من محبته، والأنس به وجمعيّة القلب عليه، ولا سيما للمبتدي والسالك. فإذا تمكن أحدهم،

وقوي وثبتت أصول تلك الشجرة الطبية التي أصلها ثابت وفرعها في السماء في قلبه بحيث لا يخشى من العواصف، فإنه إذا أبدى حاله وشأنه مع الله ليقترن به، ويؤتم به لم يبال. وهذا باب عظيم النفع وإنما يعرفه أهله.

وإذا كان الدعاء المأمور بإخفائه، يتضمن دعاء الطلب والثناء والمحبة والإقبال على الله فهو من أعظم الكنوز التي هي أحقُّ بالإخفاء والستر عن أعين الحاسدين وهذه فائدة شريفة نافعة.

وعاشرها: أن الدعاء، هو ذكر للمدعو سبحانه متضمن للطلب منه، والثناء عليه بأسمائه وأوصافه، فهو ذكر وزيادة، كما أن الذكر سمي دعاء لتضمنه الطلب كما قال النبي ﷺ: «أفضل الدعاء الحمد لله». فسمى: «الحمد لله» دعاء، وهو ثناء محض؛ لأن الحمد يتضمن الحب والثناء.

والحب أعلى أنواع الطلب للمحبوب، فالحامد طالب لمحبوبه، فهو أحق أن يسمى داعياً من السائل الطالب من ربه حاجة ما.

فتأمل هذا الموضع، فإذا تأملته لا تحتاج إلى ما قيل: إن الذّكر متعرض للنوال وإن لم يكن مصرحاً بالسؤال، فهو داع بما تضمنه ثناؤه من التعرض، كما قال أمية بن أبي الصلت في ممدوحه:

أذكر حاجتي، أم قد كفاني حياؤك؟ إن شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء

وعلى هذه الطريقة، التي ذكرناها نفس الحمد والثناء؛ متضمن لأعظم الطلب، وهو طلب المحب، فهو دعاء حقيقة؛ بل أحق أن يسمى دعاء من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه.

والمقصود: أن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه.

وقد قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾

[الأعراف: ٢٠٥]، فأمر تعالى نبيه أن يذكره في نفسه.

قال مجاهد وابن جريج: أمر أن يذكره في الصدر بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت أو الصياح.

وقد تقدم، حديث أبي موسى: كنا مع النبي ﷺ في سفر فارتفعت أصواتنا بالتكبير فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ^(١)؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ».

وتأمل كيف قال في آية الذكر: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وفي آية الدعاء: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، فذكر التضرع فيهما معًا. وهو التذلل والتمسكن والانكسار، وهو روح الذكر والدعاء، وخص الدعاء بالخفية؛ لما ذكرنا من الحكم وغيرها. وخص الذكر بالخفية؛ لحاجة الذاكر إلى الخوف، فإن الذكر يستلزم المحبة ويشمرها ولا بد. فمن أكثر من ذكر الله؛ أثمر له ذلك محبته، والمحبة ما لم تقرن بالخوف، فإنها لا تنفع صاحبها؛ بل قد تضره؛ لأنها توجب الإدلال والإنسباط، وربما آلت بكثير من الجهال المغرورين إلى أنهم استغنوا بها عن الواجبات، وقالوا: المقصود من العبادات، إنما هو عبادة القلب، وإقباله على الله، ومحبته له، وتألّفه له. فإذا حصل المقصود، فلاشتغال بالوسيلة باطل. ولقد حدثني رجل أنه أنكر على رجل من هؤلاء خلوة له ترك فيها حضور الجمعة، فقال له الشيخ: أليس الفقهاء يقولون: إذا خاف على شيء من ماله، فإن الجمعة تسقط عنه؟ فقال له: بلى. فقال له: فقلب المريد أعز عليه من ضياع عشرة دراهم، أو كما قال. وهو إذا خرج ضاع قلبه، فحفظه لقلبه عذر مسقط للجمعة في حقه.

فقال له: هذا غرور؛ بل الواجب عليه الخروج إلى أمر الله، وحفظ قلبه مع الله.

(١) اربعوا أي: ترفقوا بأنفسكم.

فالشيخ المربي العارف يأمر المريد بأن يخرج إلى الأمر، ويراعي حفظ قلبه، أو كما قال.

فتأمل هذا الغرور العظيم كيف آل بهؤلاء إلى الانسلاخ عن الإسلام جملة، فإن من سلك هذا المسلك انسلخ عن الإسلام العام، كانسلاخ الحية من قشرها، وهو يظنُّ أنَّه من خاصَّة الخاصَّة. وسبب هذا عدم اقتران الخوف من الله بحبه وإرادته، ولهذا قال بعض السلف: مَنْ عبد الله بالحب وحده، فهو زنديق، وَمَنْ عبده بالخوف وحده فهو حروريٌّ. وَمَنْ عبده بالرجاء وحده فهو مُرجئ. وَمَنْ عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن.

وقد جمع تعالى هذه المقامات الثلاث بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فابتغاء الوسيلة هو محبته الداعية إلى التَّقَرُّبِ إليه، ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف، فهذه طريقة عباده وأوليائه.

وربما آل الأمر بمن عبده بالحب المجرد إلى استحلال المحرمات، ويقول: المحبُّ لا يضرُّه ذنب، وقد صَنَّف بعضهم في ذلك مصنفًا، وذكر فيه أثرًا مكذوبًا «إذا أحبَّ الله العبد لم تضرَّه الذُّنوب». وهذا كذب قطعًا منافٍ للإسلام.

فالذُّنوب تضرُّ بالذات لكل أحد كضرر السُّمِّ للبدن، ولو قدر أن هذا الكلام صح عن بعض الشيوخ، وأما رسول الله ﷺ - فمعاذ الله من ذلك - فله محمل، وهو أنه إذا أحبه لم يدعه حبه إياه إلى أن يصير على ذنب؛ لأن الإصرار على الذنب منافٍ لكونه محبًّا لله، وإذا لم يصير على الذنب؛ بل بادر إلى التوبة النصوح منه، فإنه يمحى أثره، ولا يضره الذنب، وكلما أذنب وتاب وأتاب إلى الله زال عنه أثر الذنب وضرره، فهذا المعنى صحيح.

والمقصود: أن تجريد الحبِّ والذكر عن الخوف يوقع في هذه المعاطب، فإذا اقترن بالخوف جمعه على الطريق ورده إليها كلما شرد، فكأن الخوف سوط يضرب به مطيته؛

لئلا يخرج عن الدرب، والرجاء حاد يحدوها يطيب لها السير، والحب قائدها وزمامها الذي يسوقها. فإذا لم يكن للمطية سوط ولا عصا تردها إذا حادت عن الطريق، وتركت تركب تعاسيف خرجت عن الطريق وضلت عنها، فما حفظت حدود الله ومحارمه. وما وصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته، فمتى خلا القلب عن هذه الثلاثة فسد فسادًا لا يرجى صلاحه أبدًا، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه.

فتأمل أسرار القرآن وحكمته في اقتران الخيفة بالذكر، والخفية بالدعاء، مع دلالاته على اقتران الخيفة بالدعاء والخفية بالذكر أيضًا، فإنه قال: ﴿وَأَذْكُرُّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ فلم يحتج بعدها أن يقول: «خفية» وقال في الدعاء: ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، فلم يحتج أن يقول في الأولى: ادعوا ربكم تضرعًا وخفية، فانتظمت كل واحدة من الآيتين، للخيفة والخفية والتضرع أحسن انتظام، ودلت على ذلك أكمل دلالة.

وذكر الطمع الذي هو الرجاء في آية الدعاء؛ لأن الدعاء مبني عليه، فإن الداعي، ما لم يطمع في سؤاله ومطلوبه لم تتحرك نفسه لطلبه، إذ طلب ما لا طمع فيه ممتنع. وذكر الخوف في آية الذكر لشدة حاجة الخائف إليه كما تقدم، فذكر في كل آية ما هو اللائق بها والأولى بها من الخوف والطمع، فتبارك من أنزل كلامه شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين.



استقبال القبلة عند الدعاء

ويستحبُّ للشخص، أن يستقبل القبلة عند دعائه، وكلما كانت الدعوة من الأهمية بمكان كبير تأكد هذا الاستحباب، ولا بأس أن يدعو الشخص أحياناً غير مستقبل القبلة، وهاهي بعض الأدلة على ذلك:

أولاً: الأدلة على مشروعية استقبال القبلة واستحباب ذلك:

* أخرج مسلم^(١)، في صحيحه، من حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ. ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ^(٢): «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبُدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ، مَا دَامَ يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِداؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِداؤه، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَذَلِكَ^(٣) مُنَاشِدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُدْكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ.

* وعند مسلم^(٤) كذلك من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيان حجة النبي ﷺ: ... ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخَرَاتِ^(٥)،

(١) مسلم (مع النووي ١٢ / ٨٤) حديث (١٧٦٣).

(٢) يهتف بربه: يناديه ويستغيث به.

(٣) كذاك بمعنى: كفاك.

(٤) حديث جابر عند مسلم (١٢١٨).

(٥) الصخرات: هي صخرات في أسفل جبل الرحمة بعرفات.

وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ.

* وفي الصحيحين^(١) من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى المصلى لصلاة الاستسقاء، فاستسقى واستقبل القبلة...

ويجوز الدعاء أيضًا غير مستقبل القبلة:

* أما الأدلة على دعائه غير مستقبل القبلة، فهي فوق الحصر، وقد أوردنا قدرًا كبيرًا منها في ثانيا هذا الكتاب.

ومنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوْذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»^(٢)، ولم يرد أنه استقبل القبلة.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، ...»^(٣) الحديث، وغير ذلك كثيرًا جدًا.

* * *

(١) البخاري (حديث ١٠٢٥)، ومسلم (حديث ٨٩٤).

(٢) البخاري (مع الفتح ٤٣٦/٦)، ومسلم (في الزكاة ١٣/٣٧)، وأحمد (٤١١/١).

(٣) مسلم (مع النووي ٤٠/١).

رفع اليدين في الدعاء

ورفع اليدين في الدعاء مشروع، بل ومستحب في كثير من الأحيان، ويتأكد الاستحباب كلما عظمت الدعوة التي يدعو بها الشخص.

* وتقدم أن نبينا محمداً ﷺ: «مَدَّ يَدَيْهِ وَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ»^(١).

* وكذلك في الصحيحين^(٢) أن النبي ﷺ دعا بماء فتوضأ به، ثم رفع يديه، فقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدِ أَبِي عَامِرٍ». قال أبو موسى: وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطِيهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ».

وعند الترمذي^(٣) بإسناد حسن، من حديث سلمان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ».

* وكذلك عند مسلم^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا...». فذكر الحديث، وفيه: ذَكَرَ الرَّجُلُ، يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ... الحديث، وقد تقدم.

* وفي «الصحيحين»^(٥)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ، -وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ-، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغْنِنَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) البخاري (مع الفتوح ١١/ ١٨٧)، ومسلم (مع النووي ١٦/ ٥٩).

(٣) الترمذي (مع التحفة ٩/ ٥٤٤).

(٤) مسلم (مع النووي ٧/ ٩٩ حديث ١٠١٥).

(٥) البخاري (حديث ١٠١٤)، ومسلم (مع النووي ١/ ٦٩٤).

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

أَغْنَيْنَا، قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلَا قَرَعَةٍ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ، وَلَا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعْتُ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةً مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: فَلَا وَاللَّهِ، مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سَبْتًا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ، -وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ-، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمَسِّكْهَا عَنَّا. قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوِّلْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْأَكَامِ، وَالظَّرَابِ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَايِبِ الشَّجَرِ». قَالَ: فَانْقَلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ.

أما الذي ورد عن أنس رضي الله عنه في «الصحيحين»^(١) أن رسول الله ﷺ كان لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء، فإنه كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، فإذا أن يحمل على نفي صفة معينة من صفات الرفع، أي: لا يبالغ في رفع يديه إلا في الاستسقاء حتى يرى بياض إبطيه، وإما أن يحمل على أن أنسًا قال بالذي قد علم، وغيره علم ما لم يعلم، ونقل ما لم ينقل، والثاني أظهر لأنه قد ثبت أن النبي ﷺ رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه في مواطن آخر قدمنا بعضها، والله أعلم.



(١) البخاري (مع الفتح ٦/ ٥٦٧)، ومسلم (مع النووي ٦/ ١٩٠).

الإكثار من الدعاء

وتعظيم الرغبة فيما عند الله ﷻ

وينبغي أن نكثر من الدعاء، ونعظم الرغبة فيما عند الله سبحانه وتعالى.

* وذلك لقول النبي ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ، يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُ السُّوءَ بِمِثْلِهَا»، قَالُوا: إِذَا نُكْثِرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ»^(١).

ولا يرد علينا في باب الإكثار من الدعاء، ما ورد عن رسول الله ﷺ، من قوله: -لما قال له نبي الله موسى: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف- «إِنِّي اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي ﷻ؛ وذلك الأمر قد قُضِيَ، إِذْ قَالَ: «إِنَّهُ لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ إِنَّهَا خَمْسٌ وَإِنَّهَا خَمْسُونَ»^(٢).

وهذا الإكثار، لا يتنافى مع الإجمال الذي أشار إليه النبي ﷺ، بقوله: «أَجْمَلُوا فِي

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٨) بسند حسن.

(٢) أخرج ذلك مسلم في حديث الإسراء والمعراج (حديث ١٦٢) ففيه: «فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَتَرَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفَّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي. فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وَبَيْنَ مُوسَى ﷺ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُمْ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ. قَالَ: فَتَرَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ».

طَلَبِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(١).

فقد يُجمل الشخص في الطلب، ويكرر الدعوة التي أجمل فيها، فتكون الدعوة شاملة جامعة، ويكررها الشخص مرارًا، فلاختصارها يسهل على الشخص ترديدها وتكريرها.

وقد كان النبي ﷺ «يُعْجِبُهُ الْجَوَامِعُ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدْعُو مَا بَيْنَ ذَلِكَ»^(٢).

فربَّ دعوة واحدة تشمل مئات الدعوات.

* فدعوة من الدعوات التي كان النبي ﷺ يكثر منها، كقوله: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(٣). تشمل خيري الدنيا والآخرة.

* ودعوة كقوله عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي، فِيمَنْ هَدَيْتَ»^(٤) تقوم مقام مئات الدعوات.

* وأيضًا، فلا مانع من التفصيل إن احتيج إليه.



(١) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٣/٢)، وقال: حديث صحيح، وانظر أيضًا ابن ماجه (٢/٧٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٤٨/٦)، بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتحة ١١/١٩١)، ومسلم (مع النووي ١٦/١٧) من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».

وفي رواية أبي داود: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا...»

(٤) صحيح أخرجه أحمد (١٩٩/١)، وأبو داود (١٤٢٥) وغيرهم من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما، قال: علمني رسول الله ﷺ أن أقول في التوثر: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ...».

طرف من الدعوات الجامعة

من كتاب الله^(١) ومن سنة رسول الله ﷺ

* مدار الدعوات التي يدعو بها العبد على طلب الصَّلاح والسلامة والأمن في الدنيا والآخرة، ولذلك كانت أكثر دعوة يدعو بها النبي ﷺ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(٢).

وكان صلوات الله وسلامه عليه يسأل ربه العافية، والمعافاة في الدنيا والآخرة.

* وفي صحيح مسلم^(٣) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»

وذمَّ الله سبحانه وتعالى من اقتصر في دعائه على طلب الدنيا فقط، وأثنى ﷺ على من سأل خيري الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ الْكَاسِرِينَ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾^(٤) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا

(١) وهناك أدعية موظفة مخصوصة بأزمنة وأماكن ومناسبات، الأولى أن تذكر في أماكنها وأزمنتها ومناسباتها، كدعاء دخول المسجد، والخروج منه، ودعاء الجماع ودعاء دخول البلدة، ودعاء السفر وأدعية الركوب ونحو ذلك، فالأولى أن يُدعى بكل دعاء في محله، وهذا موجود في كتب الأذكار عموماً، وانظر كمًّا منه في كتابي: «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة».

(٢) البخاري (مع الفتحة ١١ / ١٩١)، وسلم من حديث أنس، ولفظه: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». وفي بعض الألفاظ: «اللهم آتنا..»

(٣) مسلم (مع النووي ١٧ / ٤٠).

حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿البقرة: ٢٠٠، ٢٠١﴾.

وفي الجملة، فالإجمال في الدعاء أولى من التفصيل كما قدمنا، وهذه طائفة من الأدعية المباركة كما وعدنا.

طلب الهداية من الله ﷻ

* قال الله تعالى في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»^(١). أي: اطلبوا هدايتي أوفقكم لها.

* وفي كل صلاة ندعو، فنقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿الفاتحة: ٦، ٧﴾.

* والخليل إبراهيم ﷺ، يقول: ﴿لَنْ يَهْدِيَ رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ ﴿الأنعام: ٧٧﴾، وموسى ﷺ، يقول - وهو خارج من بلاده متوجهاً إلى مدين -: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿القصص: ٢٢﴾.

* وقد علم النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما أن يقول في الوتر^(٢): «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ».

* ومن دعاء النبي ﷺ بالهداية، ما أخرجه مسلم^(٣) في صحيحه من حديث عبد الله ابن مسعود، عن النبي ﷺ: أنه كان، يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى».

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٩٩، ٢٠٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٧٥) واللفظ له، وغيرهما، وانظر تخريجه في كتابي «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة».

(٣) مسلم (مع النووي ٤٣/ ١٧).

* وفي صحيح مسلم ^(١) أيضًا من حديث عليٍّ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي، وَسَدِّدْنِي، وَادْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ ^(٢) الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادَ تَسْدِيدَ السَّهْمِ» ويجوز الدعاء للمشركين بالهداية:

أخرج البخاري ومسلم ^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَدِمَ طِفْلٌ بَنُ عَمْرِو عَلَى الرَّسُولِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ يَدْعُو عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأَتِ بِهِمْ».

* وأخرج مسلم ^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَاسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ، فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَاسْمَعْتَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ، اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ». فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعْتُ أُمِّي خَشَفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاعْتَسَلْتُ وَلَبِسْتُ دِرْعَهَا، وَعَجَلْتُ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَارْجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبْشِرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ، وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا.

(١) مسلم (مع الفتح ٤٣/١٧).

(٢) قوله: واذكر بالهدى هدايتك الطريق، والسداد سداد السهم، كأنه من قول النبي ﷺ لعليٍّ يُذكره معنى الهداية، ومعنى السداد، فكأنه قال له: قل: اللَّهُمَّ اهْدِنِي وسددي، وحثه على تذكر معنى الهداية، فقال له: واذكر بالهدى الذي تسأله ربك هدايتك في طريقك.. ففي هذا إرشاد إلى تفهيم معنى الدعوات التي يدعو بها الأشخاص، والله أعلم.

(٣) البخاري (مع الفتح ١١/١٩٦)، ومسلم (مع النووي ١٦/٧٧).

(٤) مسلم (مع النووي ١٦/٥١).

ويجوز الدعاء عليهم كذلك:

* قال نبي الله موسى ﷺ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

* وقال نوح ﷺ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. ثم بيّن سبب ذلك، فقال: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

* وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ»^(١). فعلى ذلك إن رُجي من الكفار إيمان دعونا لهم بالهداية، وإن اشتد ظلمهم، وازداد بغيتهم جاز الدعاء عليهم، وبالله التوفيق:

ولا يحوز الاستغفار للمشركين:

* قال تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

* وإذا احتج أحد بقول إبراهيم ﷺ: ﴿وَاعْفِرْ لِي﴾ فإن الجواب عليه بأن الله قال: ﴿وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]. ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤].

* وأخرج مسلم^(٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَرْوَرَ قَبْرَهَا فَأْذَنْ لِي».

* وفي الصحيحين^(٣) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) مسلم (مع النووي ٤٥/٧).

(٣) البخاري (مع الفتح ٣٣٣/٨)، ومسلم (مع النووي ١٥/١٦٧).

ابْنُ أَبِي ابْنِ سُلُوفٍ، دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَثَبْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُصَلِّيَ عَلَى ابْنِ أَبِي، وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: أَعَدَّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «أَخْرَجْتَنِي يَا عُمَرُ» فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: «إِنِّي خَيْرْتُ فَأَخَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ بِهَا». قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمُكُثْ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى نَزَلَتِ الْإِيتَانِ مِنْ بَرَاءَةَ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا...﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُمْ فَسِقُوتٌ﴾ [التوبة: ٨٤] قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

* وفي الصحيحين^(١) أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، لَمَّا تُوَفِّي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يَكْفُنُ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُصَلِّيَ عَلَيْهِ، وَقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا خَيْرَنِي اللَّهُ فَقَالَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠]، وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ». قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ. قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤].

الدعاء بتثبيت القلوب والأقدام، والثبات على أمر الله ورسوله:

* قال أولو الألباب: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

* وقال أهل الإيمان أيضًا: ﴿رَبَّنَا أَعِزِّ لَنَا دُثُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

وقالوا كذلك: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

(١) البخاري (مع الفتح ٨/ ٣٣٣)، ومسلم (مع النووي ١٥/ ١٦٧).

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

الْكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٢٥٠﴾، وقالوا أيضًا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

[الأعراف: ١٢٦]

* وفي مسند أحمد^(١)، من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيعَهُ أَزَاعَهُ» وَكَانَ يَقُولُ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ، وَالْمِيزَانَ بِيَدِ الرَّحْمَنِ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ».

* وفي صحيح مسلم^(٢)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

سؤال الله المغفرة

* والدعاء بالمغفرة، من أكثر الأدعية الواردة في كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، ومن هذه الأدعية ما يلي:

* قول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧].

* وقولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

* وقولهم: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المتحنة: ٤، ٥].

* * *

(١) أحمد في المسند (٤/ ١٨٢).

(٢) مسلم (حديث ٢٦٥٤).

مزید من الدعوات^(١) الواردة عن رسول الله ﷺ

* أخرج البخاري ومسلم^(٢)، من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - أَوْ: لَا إِلَهَ غَيْرُكَ -».

* وأخرج البخاري ومسلم^(٣)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَدِّي وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

* وعند مسلم^(٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ

(١) هذه فقط بعض الدعوات، وكما نبهنا، فثم أدعية أخرى، وأدعية موظفة مخصوصة ليس هذا الكتاب محلها.

(٢) البخاري (حديث ١١٢٠)، ومسلم (مع النووي ٥٤ / ٦).

(٣) البخاري (مع الفتح ١٩٦ / ١١)، ومسلم (حديث ٢٧١٩).

(٤) مسلم (٢٧٢٠).

رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ».

* وأخرج مسلم ^(١) في صحيحه، من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: عَلَّمَنِي كَلَامًا أَقُولُهُ، قَالَ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ». قَالَ: فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي».

* وأخرج مسلم ^(٢) في صحيحه، من طريق أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ، عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهِؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي».

* * *

(١) مسلم (١٩/١٧).

(٢) مسلم (مع النووي ٢٠/١٧).

طلب العلم النافع

والتعوذ بالله من علم لا ينفع

* قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

* وقال النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم ^(١)، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا، أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا».

* * *

(١) مسلم (مع النووي ١٧ / ٤١).

سؤال الله الشفاء

- * قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ [الشعراء: ٨٠].
- * قال أيوب عليه السلام: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].
- * وفي الصحيحين ^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بِهِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا».

وهل يدعو الشخص بالشفاء أم يترك الدعاء؟

- * أخرج البخاري ومسلم ^(٢)، من طريق عطاء بن أبي رباح، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السُّودَاءُ، أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتَ صَبِرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ». فَقَالَتْ: أَصْبِرْ، فَقَالَتْ: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا.

ولا يفهم من هذا الحديث، أن ترك الدعاء بالشفاء، وأن عدم الأخذ بأسبابه هو الأفضل في كل الأحوال؛ بل التداوي مشروع، ولذلك جاءت الأحاديث عن رسول الله ﷺ تحث على التداوي، وترشد إلى أنواع من العلاج، وقد تداوى رسول الله ﷺ، وأمر بالتداوي، فعند البخاري، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً» ^(٣).

(١) البخاري (مع الفتح ١٠ / ١٣١) ومسلم (مع النووي ١١ / ٧٦).

(٢) البخاري (مع الفتح ١٠ / ١١٤) ومسلم (مع النووي ١١ / ١٣١).

(٣) البخاري (حديث ٥٦٧٨).

- * وأشار الحافظ ابن حجر، في شرح هذا الحديث إلى عدة طرق للفظه: «تَدَاوُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، إِلَّا السَّامَ»^(١).
- * وعند مسلم^(٢) من حديث جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﷻ».
- * وفي صحيح مسلم^(٣)، أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ إِلَى أَبِي بَنٍ كَعْبٍ طَبِيبًا فَقَطَعَ مِنْهُ عِرْقًا، ثُمَّ كَوَاهُ عَلَيْهِ.
- * وفي الصَّحِيحَيْنِ، كَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ احْتَجَمَ^(٤)، وَأَعْطَى الْحَجَّامَ أَجْرَهُ، وَاسْتَعَطَ^(٥).
- * وأرشد النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْعَسَلِ؛ بَلْ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ كَذَلِكَ: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، وأرشد رسول الله ﷺ إِلَى الْعِلَاجِ بِأَبْوَالِ الْإِبِلِ وَالْبَانِهَا، وَاسْتَعْمَلَ

(١) السَّامُ: هو الموت.

(٢) مسلم مع النووي كتاب الطب (٥/ ٥١ ط. الشعب).

(٣) مسلم (مع النووي ٥/ ٥٤)، وقال النووي هنالك: في هذا الحديث، إشارة إلى استحباب الدواء، وهو مذهبنا، وجمهور السلف، وعامة الخلف.

قال القاضي: في هذه الأحاديث، جمل من علوم الدين والدنيا، وصحة علم الطَّبِّ، وجواز التطيب في الجملة، واستحبابه بالأموال المذكورة في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم، وفيها ردٌّ على من أنكر التداوي من غلاة الصوفية، وقال: كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ وَقَدَرٍ، فلا حاجة إلى التداوي.

وحجة العلماء هذه الأحاديث، ويعتقدون أن الله تعالى هو الفاعل، وأن التداوي هو أيضًا من قدر الله، وهذا كالأمر بالدعاء، وكالأمر بقتال الكفار، وبالتحصن، ومجانبة الإلقاء باليد إلى التهلكة، مع أن الأجل لا يتغير، والمقادير لا تتأخر ولا تتقدم عن أوقاتها، ولا بد من وقوع المقدرات. والله أعلم

(٤) أخرج ذلك البخاري (٥٦٩١)، ومسلم (٥٥/ ٥٥ ط. الشعب).

(٥) **قال الحافظ في «الفتح»:** قوله: (واستعط) أي استعمل السعوط، وهو أن يستلقي على ظهره، ويجعل بين كتفيه ما يرفعهما؛ لينحدر رأسه ويقطر في أنفه ماءً أو دهنًا فيه دواء مفرد - أو مركب - ليتمكن بذلك من الوصول إلى دماغه لاستخراج ما فيه من الداء بالعطاس.

النَّبِيُّ ﷺ الرقى، ودعا للمريض ورقاه جبريل ﷺ وكل ذلك ثابت في الصَّحَّاحين، وغيرهما^(١).

* وقال أيوب ﷺ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

فالحاصل - والله تعالى أعلم -: أن المرض منه ما يؤثر على عبادة الشخص وعلى حقوق العباد، فمثل هذا يلزم التداوي له، وطلب الشفاء من الله، والبحث عن سبل العلاج، فعلى سبيل المثال تزوج شابُّ بفتاة، ثم أصيب بضعف في الباءة، فلم يستطع إعفاف زوجته فهل يُترك على هذا الحال بما يؤول إلى زوجته بالشرِّ والفساد!!
وآخر مريض بالجشاء والانتفاخ فيتجشأ، فيخرج من فمه ما يؤذي المصلين، وثُمَّ دواء للجشاء، فهل يُترك ويدع الدواء، ويؤذي المصلين برائحة فمه الكريهة مع إمكانية التداوي؟!

فمثل هذه الأنواع التي تؤثر على حقوق الآخرين، وعلى عبادة الشخص يلزم أن يتداوى منها الشخص، أمَّا ما كان من الأمراض ليس له تأثير على عبادة الشخص، ولا على حقوق العباد، وكان تحمله ممكناً فمثل هذا قد يكون الصَّبر عليه في بعض الأحيان أولى، لحديث المرأة التي كانت تُصرع، والله تعالى أعلم.



(١) انظر: أبواب الطب والمرض من البخاري ومسلم.

طلب الولد، والدعاء بصلاح الذرية^(١)

- * قال نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠].
- * وقال عليه السلام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٣١) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿[إبراهيم: ٣٩-٤١].
- * وقال عليه السلام: ﴿كَذَلِكَ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].
- وقال عليه السلام: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].
- * وقال إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].
- * وقال زكريا عليه السلام: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]، وقال أيضًا: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٦]، وقال عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].
- * وقال امرأة عمران، لما وضعت مريم عليهما السلام: ﴿...وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ

(١) وينبغي أن يكون هناك مع الدعاء عمل صالح من الآباء، فصالح الآباء ينتفع به الأبناء قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضَعُفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩].

وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿[آل عمران: ٣٦].

* وقال الذي بلغ أشده، وبلغ أربعين سنة: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

* وعباد الرحمن يقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

* وقالت أم سليم: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَسُ خَادِمُكَ، ادْعُ اللَّهَ لَهُ، قَالَ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أُعْطِيَتْهُ»^(١).

وقال موسى ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

* * *

(١) البخاري (مع الفتح ١١/١٨٢)، ومسلم (مع النووي ١٦/٣٩).

مزيد من الدعوات الجامعة من الكتاب والسنة

- * ﴿رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].
- * ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].
- * ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.
- [آل عمران: ٥٣].
- * ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي ^(١) وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.
- [الأعراف: ١٥١].
- * ﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيدُني مَا يُوعَدُونَكَ ﴿١٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْني فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.
- [المؤمنون: ٩٣، ٩٤].
- * ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْني بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ
- ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْني مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاعْفِرْ لِإِخِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٣-٨٩].
- * ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩].
- * ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّيَّتِي إِنَّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].
- * ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْني بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].
- * ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١].
- * ﴿رَبِّ انصُرْني عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

(١) هذا إذا كان لك أخ تشركه معك في دعائك.

فِثَةُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

* ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَكُفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

* ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩١].
* ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا
وَمَقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

* ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس: ٨٥، ٨٦].
* ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ^(١) وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨٧﴾﴾

[الممتحنة: ٥].

* وقال الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٩].

* * *

(١) فيها وجهان للعلماء: أحدهما: لا تسلطهم علينا فيصرفونا عن ديننا.
والثاني: لا تسلطهم علينا فيظنوا أنهم على الحق لما يهزموننا فيصرفوا عن الدين بسبب ذلك.

دعاء الله ﷻ ألا نكون مع الظالمين

في الدنيا ولا في الآخرة ولا إذا نزل عليهم العذاب

قال تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَكَ ۝١٣ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٩٣، ٩٤].

فمن معانيها يا رب إذا أنزلت على الظالمين والمشركين العذاب فلا تعذبني معهم، وقال موسى ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥]، ومن دعاء أهل الإيمان، الذي نقرأه دائماً في سورة الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

* والمستضعفون المؤمنون، يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ۖ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

* وقال موسى ﷺ: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥].

* وقال لوط ﷺ: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩].

سؤال الله ﷻ أن نكون من الصالحين ومع الصالحين

* قال سليمان ﷺ: ﴿وَادْخُلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

* وقال أهل الإيمان من الحواريين: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

* وأيضاً قال مؤمنو أهل الكتاب: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٤].

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

- * وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].
- * وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى».

الدُّعَاءُ بِالثَّبَاتِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْوَفَاةِ عَلَيْهِ

- * قال الخليل إبراهيم عليه السلام، وابنه إسماعيل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ...﴾ [البقرة: ١٢٨].

- * وقال سحرة فرعون لما آمنوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾.

[الأعراف: ١٢٦]

- * وقال أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

وَمِنْ سُؤَالِ اللَّهِ ﷻ الثَّبَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ

- * دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام لنفسه ولذريته بالثبات، وخوفه على نفسه من أن يتحول لتارك للصلاة، ومن أن يعبد الأصنام!!

- * لقد قال الخليل عليه السلام: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ [الأنعام: ٨٠]. فهذا احترامٌ حسن جداً

- * ونحوه قول شعيب عليه السلام إذ قال له قومه: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ (٨٨) قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّشَنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا...﴾ [الأعراف: ٨٨، ٨٩].

- وارجع إلى دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]. وقوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠]. فيخشى الخليل على نفسه من ترك الصلاة، وكذا يخشى من عدم قبول دعائه، فيقول: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءً﴾ [إبراهيم: ٤٠].

* وقال الصِّدِّيقُ يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

[يوسف: ١٠١].

* وخشي يعقوب عليه السلام على بنيه، فقال لهم موصيًا: ﴿يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].
وكانت أكثر يمين النبي ﷺ: «لا وَمُقَلَّبِ الْقُلُوبِ».

الدُّعَاءُ بتوضيح معالم الدين

قال الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام: ﴿وَأَرْنَا مَنَاسِكَنا وَتَبَّ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٢٨]، ومن ذلك دعاء: «اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».
وفي قولهما: ﴿وَتَبَّ عَلَيْنَا﴾ بيان لعدم القنوط، واليأس من رحمة الله.

الدُّعَاءُ بين يدي لقاء العدو

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].
وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].
وقال تعالى: ﴿وَكَايْنِ مَنِ نُبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٦١) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].
وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

* وعند الإمام أحمد، بسند صحيح أن النبي ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ: «اللَّهُمَّ

بِكَ أُحَاوِلُ، وَبِكَ أَصَاوِلُ، وَبِكَ أَقَاتِلُ».

* وفي الصَّحَّاحِينَ، من حديث ابنِ أَبِي أَوْفَى، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا عَلَى الْأَحْزَابِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ، مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابِ، وَزَلِّزْلُهُمْ»^(١).
وفي رواية: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ»^(٢).

* * *

(١) البخاري (مع الفتح ١١/١٩٣)، ومسلم (٤٧/١٢).

(٢) البخاري (مع الفتح ١١/١٥٦)، ومسلم (في المغازي ٢/٨).

صور من الدعاء وإن لم تكن صريحة

أحياناً يأتي الدعاء في صورة غير صريحة، ولكنه بلا ريب دعاء، وقد يتضمن نفس الدعاء توسلاً إلى الله ببعض صور التوسل، فمن ذلك

* قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [الفصل: ٢٤]. فيتضمن: بين حاله، مع الإشارة الواضحة إلى بيان فضل الله وواسع رحمته

* وقول أيوب عليه السلام: ﴿مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. فتضمن أدباً مع الله مع الإشارة إلى واسع رحمة الله كذلك ولطفه بعباده.

* وقول الخليل عليه السلام: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

* ومن ذلك، دعاء يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

* وقوله: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣].

وقوله: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَأَلَّه خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

وقوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

* وقول يونس عليه السلام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. [الأنبياء: ٨٧].

* وقول عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

* وقول نوح عليه السلام: ﴿وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

فِيهِ الدُّعَاءُ وَالتَّعَوُّذَاتُ

* وقول الأبوين آدم وحواء عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

ومن ذلك، قول رسول الله ﷺ لأبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقوله: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا».

ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقول نوح عليه السلام: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَاءَ أَنْهَامِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُوتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩].



أدعية تستل من الآيات

وإن لم تكن بلفظها

مثاله: اللَّهُمَّ آتِنِي حُجَّتَكَ الَّتِي تُؤَيِّدُنِي بِهَا عَلَى الْحَقِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣].

آخر، اللَّهُمَّ خَلِّصْنَا مِنْ أَهْلِ الظُّلْمِ وَالْفُسَادِ، واقطع دابرهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُطِّعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]،

وإن كانت هناك أدعية أصرح، ولكن من باب التنويع، مثال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١].

آخر، رَبِّ لَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا الْكُفَّارَ فَيَفْتِنُونَا عَنْ دِينَا، قَالَ أَصْحَابُ الْخَلِيلِ ﷺ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة: ٥].

آخر، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي دَوْمًا مُتَذَكِّرًا لِلدَّارِ الْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: ٤٦].

ما يقوله من خوفه قوم

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤]،

ما يقوله من خاف قومًا

* قَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ مُوسَى ﷺ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ ﴿[القصص: ٢١]﴾،

* وقال تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴿[التوبة: ٤٠]﴾.

* وقال سبحانه: ﴿فَمَاءٌ آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُومٌ بِاللَّهِ فَاعْلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس: ٨٣-٨٦].

وقال الغلام المؤمن، المذكور في حديث الأخدود: «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ»^(١).



(١) مسلم (مع النووي ١٨ / ١٣٠).

مواصلة الدعاء وتكريره

وعدم اليأس من رحمة الله ﷻ

فينبغي أن يواصل الداعي دعاءه^(١) ويكرّره وهو مأجورٌ على ذلك، ومُجاب إلى مسألته بإذن الله:

* ففي الصّحيحين، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فيقول: دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي»^(٢).

* وفي رواية لمسلم، من حديث أبي هريرة أيضًا، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ». قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِسْتِعْجَالُ؟ قال: «يقول: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِبْ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدْعُ الدُّعَاءَ»^(٣).

* ورسولنا ﷺ يوم بدر استقبل القبلة، ثم مدّ يديه، فجعل يهتف بربه: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتَفُ بِرَبِّهِ، مَا دَامَ يَدِيهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِذَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِذَاؤَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ

(١) والدعاء نوع دواء، والدواء حتى دواء الدنيا، قد لا تكفي جرعة منه، ولا جرعتان، ولا ثلاث؛ بل ولا عشر لشفاء المريض، إلا إذا أراد الله الشفاء، وكذلك فالدعاء ينبغي أن يتكرر.

(٢) البخاري (حديث ٦٣٤٠)، ومسلم (مع النووي ٥١ / ١٧).

(٣) مسلم (مع النووي ٥٢ / ١٧).

رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ.. ﴿[الأنفال: ٩]﴾^(١).

* وقد سحر النبي ﷺ فدعا ودعا^(٢).

* **ومن ذلك**، قول النبي ﷺ لعثمان بن أبي العاص، لما شكَا إليه وجعًا يجده في جسده منذ أسلم: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»^(٣).

* وكذلك آخر أهل الجنة دخولًا الجنة، وخروجًا من النار، رجل يقول: «يَا رَبِّ، لَا تَجْعَلْنِي أَشَقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالْدُّخُولِ فِيهَا»^(٤).

ثم إن النبي ﷺ كان يكرر الدعاء ويواصل:

* فمن تكريره الدعاء، دعاؤه على قريش، بقوله: «اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِقُرَيْشٍ»^(٥). ثلاث مرات.

(١) مسلم (حديث ١٧٦٣).

(٢) البخاري (حديث ٥٧٦٣)، ومسلم (حديث ٢١٨٩).

(٣) مسلم (حديث ٢٢٠٢).

(٤) البخاري (حديث ٦٥٧٣)، ومسلم (حديث ١٨٢).

(٥) أخرج ذلك البخاري (حديث ٢٤٠)، ومسلم (مع النووي ١٢ / ١٥٠) من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ النَّبْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَأَنْبَغَتْ أَشَقَى الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ، وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أَغْنِي شَيْئًا، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ. قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ، وَيُجِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِقُرَيْشٍ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَى: «اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْنِكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ» وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَخْفَظْ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرَعَى، فِي الْقَلْبِ قَلْبٍ بَدْرٍ.

* وقال النبي ﷺ^(١): «اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا»، وذلك لما أتاه رجل وهو قائم على المنبر يخطب، فقال: يا رسول الله، هلك المواشي، وانقطعت السبل فادع الله أن يغثنا.

* وكان النبي ﷺ، إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً^(٢).

أما عدم اليأس من رحمة الله ﷻ فقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]:

* وهذا نبيُّ الله يعقوب ﷺ، ما زال يدعو ويدعو فذهب بصره واشتد روعه وألقي ولده في الجبِّ، ولا يدري عنه شيئاً، وأخرج الولد من الجبِّ، ودخل قصر العزيز إلى أن شبَّ، وترعرع ثم راودته المرأة عن نفسها، فأبى وعصمه الله، ثم دخل السجن فلبث فيه بضع سنين، ثم أخرج من السجن، وكان على خزائن الأرض، ومع طول هذا الوقت كله، ويعقوب يقول لبنيه: ﴿أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

* ونبيُّ الله أيوب عليه السلام، لبث به بلاؤه ثمانية عشر عاماً؛ حتى رفضه القريب والبعيد، وعجز الأطباء عن مداواته، ومع ذلك لا ييأس من رحمة الله؛ بل يقول: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. فيكشف الله ما به من ضرر، ويشني الله عليه خير ثناء، فيقول سبحانه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

* * *

(١) البخاري (مع الفتح ٥٠١/٢)، ومسلم (مع النووي ٦٩٤/١).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٧٩٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وهذا لا يطرد، فقد ورد في عدة أحاديث أن النبي ﷺ دعا فلم يكرّر دعاءه.

النهي عن الاستعجال في الدعاء

* وأخرج البخاري ومسلم^(١) (واللفظ لمسلم)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي».

* وفي لفظ لمسلم: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ». قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: «يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِبْ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ».

* * *

(١) البخاري (حديث ٦٣٤٠)، ومسلم (مع النووي ١٧ / ٥١).

كلمة جامعة لابن القيم في صفة الدعاء المستجاب

قال رحمه الله في كتابه «الجواب الكافي»:

وَإِذَا جَمَعَ مَعَ الدُّعَاءِ حُضُورَ الْقَلْبِ، وَجَمْعِيَّتَهُ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى الْمَطْلُوبِ، وَصَادَفَ وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ السَّتَّةِ، وَهِيَ: الثُّلُثُ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَعِنْدَ الْأَذَانِ، وَبَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَأَدْبَارُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ، وَعِنْدَ صُغُودِ الْإِمَامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ؛ حَتَّى تُقْضَى الصَّلَاةُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَآخِرُ سَاعَةِ بَعْدِ الْعَصْرِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَصَادَفَ خُشُوعًا فِي الْقَلْبِ، وَانْكِسَارًا بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ، وَذُلًّا لَهُ، وَتَضَرُّعًا، وَرِقَّةً، وَاسْتَقْبَلَ الدَّاعِيَ الْقِبْلَةَ، وَكَانَ عَلَى طَهَارَةٍ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ، وَبَدَأَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالشَّائِءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ ثَنَّى بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

ثُمَّ قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيِ حَاجَتِهِ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى اللَّهِ، وَأَلْحَّ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَتَمَلَّقَهُ وَدَعَاهُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً، وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيِ دُعَائِهِ صَدَقَةً، فَإِنَّ هَذَا الدُّعَاءَ لَا يَكَادُ يُرَدُّ أَبَدًا، وَلَا سِيَّمَا إِنْ صَادَفَ الْأَدْعِيَةَ الَّتِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا مَطْنَةٌ الْإِجَابَةِ، أَوْ أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِلِاسْمِ الْأَعْظَمِ.

وقال رحمه الله أيضًا:

وَكَثِيرًا مَا نَجِدُ أَدْعِيَةَ دَعَا بِهَا قَوْمٌ فَاسْتُجِيبَ لَهُمْ، فَيَكُونُ قَدْ افْتَرَنَ بِالدُّعَاءِ ضُرُورَةً صَاحِبِهِ وَإِقْبَالُهُ عَلَى اللَّهِ، أَوْ حَسَنَةً تَقَدَّمَتْ مِنْهُ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِجَابَةً دَعْوَتِهِ شُكْرًا لِحَسَنَتِهِ، أَوْ صَادَفَ وَقْتًا إِجَابَةً، وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَأُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ، فَيُظَنُّ الظَّانُّ أَنَّ السَّرَّ فِي لَفْظِ ذَلِكَ الدُّعَاءِ فَيَأْخُذُهُ مُجَرَّدًا عَنْ تِلْكَ الْأُمُورِ الَّتِي قَارَنَتْهُ مِنْ ذَلِكَ الدَّاعِي، وَهَذَا كَمَا إِذَا اسْتَعْمَلَ رَجُلٌ دَوَاءً نَافِعًا فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَنْبَغِي اسْتِعْمَالُهُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي، فَاَنْتَفَعَ بِهِ، فَظَنَّ غَيْرُهُ أَنَّ اسْتِعْمَالَ هَذَا الدَّوَاءِ بِمُجَرَّدِهِ كَافٍ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ، كَانَ غَالِطًا، وَهَذَا مَوْضِعٌ يَغْلُطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

وَمِنْ هَذَا قَدْ يَتَّفِقُ دُعَاؤُهُ بِاضْطِرَارٍ عِنْدَ قَبْرِ فَيْجَابٍ، فَيُظَنُّ الْجَاهِلُ أَنَّ السِّرَّ لِلْقَبْرِ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ السِّرَّ لِلِاضْطِرَارِ وَصِدْقِ اللُّجَأِ إِلَى اللَّهِ، فَإِذَا حَصَلَ ذَلِكَ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، كَانَ أَفْضَلَ وَأَحَبَّ إِلَى اللَّهِ.

وقال أيضًا:

وَالْأَذْعِيَّةُ وَالتَّعَوُّذَاتُ بِمَنْزِلَةِ السَّلَاحِ، وَالسَّلَاحُ بِضَارِبِهِ، لَا بِحَدِّهِ فَقَطْ، فَمَتَى كَانَ السَّلَاحُ سِلَاحًا تَامًّا لَا آفَةَ بِهِ، وَالسَّاعِدُ سَاعِدٌ قَوِيٌّ، وَالْمَانِعُ مَفْقُودٌ؛ حَصَلَتْ بِهِ النِّكَايَةُ فِي الْعَدُوِّ، وَمَتَى تَخَلَّفَ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ تَخَلَّفَ التَّأْثِيرُ، فَإِنْ كَانَ الدُّعَاءُ فِي نَفْسِهِ غَيْرَ صَالِحٍ، أَوِ الدَّاعِي لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ فِي الدُّعَاءِ، أَوْ كَانَ ثَمَّ مَانِعٌ مِنَ الْإِجَابَةِ، لَمْ يَحْصُلِ الْأَثَرُ.



دفع إشكال وإجابة على سؤال (بيان سبب تخلف الإجابة أو تأخرها)

* أما وقد تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال سبحانه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فقد يرد على البعض إشكال وتساؤل مؤاده: ما بال أقوام، يرفعون أيديهم إلى السماء؛ سائلين ربه، ولا يرون أن قد استجيب لهم دعاء؟!!!

فللإجابة على هذا التساؤل نقول وبالله التوفيق:

ابتداءً، فإن قول الله حق، ووعد الله صدق، والعبد يُثاب كلما رفع يديه، وكلما دعا؛ فالدُّعاء عبادة كما قدَّمنا، وسواء استجيب الدُّعاء في الظَّاهر أم لا، ولكن دفعاً للشكوك والريب، وجلباً لطمأنينة القلب، وحثاً على مواصلة الدعاء، نورد ما ذكره أهل العلم من أوجه لدفع هذا الإشكال، وما أوردوه للإجابة على هذا السؤال فنقول، وبالله التوفيق:

قد أورد العلماء عدة أوجه لذلك، نورد منها ما يلي:

الوجه الأول: أن الدُّعاء قد يستجاب، ولكننا لا نعرف الصُّورة التي يستجاب بها الدعاء، فقد تكون صورة الاستجابة تتمثل في صرف السُّوء عن الدَّاعي، وقد تتمثل صورة الإجابة في ادخار الإجابة إلى الآخرة، كما قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِيْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا»^(١).

وكإيضاح لذلك: فقد يدعو رجل، فيقول: اللَّهُمَّ ارزقني، اللَّهُمَّ ارزقني، فيرزقه

(١) أحمد في المسند (١٠٩/٣) وإسناده حسن.

الله ﷻ عاجلاً أو آجلاً.

أو تكون هناك خسارة ستحلُّ به، فيصرفها الله سبحانه وتعالى عنه، أو يكون هناك مرضٌ وبلاءٌ سينزل به، ويستنزف منه أموالاً للعلاج، فيصرف الله ذلك عنه، أو أنه سيشتري أشياء غير نافعة، فيصرفها الله عنه، إلى غير ذلك من الصور.

أو يكون هناك رجل قام يدعو: اللهم عافني من مرضي، وأذهب عني البأس، ولا يرى أن البأس في الظاهر قد ذهب، ولكن قد يكون المرض سيتطور، فيصرف الله هذا عنه.

أو أن رجلاً هنالك يقول: ربّ ارزقني، وقد علم الله أن التوسعة عليه في الرزق ستؤثر على درجاته في الجنات، فيدخر الله له رفعة الدرجات في الجنان، وذلك خيرٌ وأبقى، فلا يسع العبد حينئذ إلا أن يواصل الدعاء، ثم إن ربه سبحانه يتولاه ويعطيه من الخير ما سأل، وما لم يسأل.

الوجه الثاني: من العلماء من قال: إن الآية الكريمة، مقيدةٌ بمشيئة الله ﷻ، والمعنى: أُجيب دعوة الداع إن شئت، ومستند القائلين بهذا القول هو قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤١]، لكن الذي يعكّر على هذا القول، هو أن سياق هذه الآية الكريمة إنّما هو في المشركين^(١). ولكن هذا التعكير لا يتمُّ أيضاً، فالأمور كلها بيد الله إن شاء تفضّل وأعطى ووهب، وإن شاء عاقب وحرم ومنع.

الوجه الثالث: أن المراد بالدعاء هنا، دعاء العباد ربّهم أن يتقبّل منهم أعمالهم، ويشيهم على طاعتهم، وإجابة هذا من الله معناها الوفاء لهم بما وعدهم به، وبما ضمنه للمطيعين من الثواب، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(١) قال الشنقيطي - رحمه الله تعالى - (أضواء البيان ١/ ١٠٤): وقال بعضهم: التعليق بالمشيئة في دعاء الكفار كما هو ظاهر سياق الآية، والوعد المطلق في دعاء المؤمنين، وعليه فدعائهم لا يرد، إما أن يعطوا، ما سألوا أو يدخر لهم خير منه، أو يدفع عنهم من السوء بقدره.

وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» ﴿[الشورى: ٢٦]، فمعنى أجيب دعوة الداع^(١): أتعبل عمل العامل وأثيبه عليه، وشاهد ذلك قول رسول الله ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ».

الوجه الرابع: قال بعض أهل العلم: إن الدَّاعِيَ قد يعتقد المصلحة في إجابته إلى ما سأل، وقد لا تكون المصلحة في ذلك، فيجيب إلى مقصوده الأصلي، وهو طلب المصلحة، وقد تكون المصلحة في التأخير أو المنع.

وكإيضاح لذلك: قد يسأل سائل ربه ﷻ أن ييسر له سفرًا إلى بلدة من البلدان، ويجهتد في الدعاء، وسفره رغبة في طلب الرزق، وقد أدخر الله له رزقًا في بلده، فلا يجاب إلى سؤاله للسفر، ويرزقه الله رزقًا واسعًا في بلده أو يكون هناك بلاءٌ سيحلُّ به في سفره، فيصرفه الله عنه، والله يعلم ونحن لا نعلم.

* وقد يسأل الشخص ربّه، أن يتزوَّج بفلانة لما يراه فيها من حسن وجمال ومنظر وبهاء، ولكن قد علم ربّه أن في الزواج منها شرًّا، وأنها ستكون عقيمًا، أو بذيئة اللسان، أو ليست أمينة على نفسها وبيتها. أو ليست بمحسنة إلى أهله ووالديه، وليست بجميلة المعاشرة، فيصرف الله عنه الشرَّ وهو لا يشعر.

*** الوجه الخامس:** ذكر بعض العلماء هنا، أن معنى (أجيب) أي: أسمع، فقوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ أي: أسمع دعوة الداع، وذلك كقولنا في الصلاة: سمع الله لمن حمده، أي: أجاب الله^(٢).

(١) قال ابن القيم رحمه الله: الدعاء نوعان: دعاء ثناء، ودعاء مسألة، والنبى ﷺ كان يكثر في سجوده من النوعين، والدعاء الذي أمر به في السجود يتناول النوعين، والاستجابة أيضًا نوعان: استجابة دعاء الطالب بإعطائه سؤاله، واستجابة دعاء المثنى بالثواب، وبكل واحد من النوعين فسر قوله تعالى: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ ﴿البقرة: ١٨٦﴾، والصحيح أنه يعمُّ النوعين.

(٢) قال الرازي في تفسيره: وقال ابن الأثير: (أجيب) هاهنا بمعنى أسمع؛ لأن بين السماع وبين الإجابة نوع ملازمة، فلهذا السبب يقام كل واحد منهما مقام الآخر، فقولنا سمع الله لمن حمده، أي: أجاب الله. فكذا هاهنا قوله: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ ﴿البقرة: ١٨٦﴾، أي أسمع تلك الدعوة، فإذا حملنا قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ على هذا الوجه زال الإشكال.

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّوْبَاتِ

الوجه السادس: أن المراد من الدعاء التوبة من الذنوب؛ وذلك لأن التائب يدعو الله تعالى عند التوبة، وإجابة الدعاء بهذا التفسير عبارة عن قبول التوبة.

الوجه السابع: أن الإجابة قد تتأخر حتى يجتهد الداعي في الدعاء، وكلما اجتهد في الدعاء أثابه الله، ورفع درجته، ومن ثم ابتلي بعض الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، ودعوا ربهم كثيراً كثيراً، وتأخرت الإجابة مع اجتهداهم في الدعاء، فهذا نبي الله أيوب عليه السلام لبث ثمانية عشر عاماً حتى رفضه القريب والبعيد، ومع ذلك يدعو ويدعو ويدعو ويخرج من البلاء صابراً محتسباً، يثني عليه ربه فيقول: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعِمَّ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]. وهذا الحديث بذلك:

* أخرج أبو يعلى ^(١)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللَّهِ، كَانَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، إِلَّا رَجُلَانِ مِنْ إِخْوَانِهِ، كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ إِلَيْهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَتَعْلَمُ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ، قَالَ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، لَمْ يَرْحَمْهُ اللَّهُ، فَيَكْشِفْ عَنْهُ، فَلَمَّا رَاحَا إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي، مَا يَقُولُ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُمُرُّ عَلَى الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ، فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكْفَرُ عَنْهُمَا؛ كَرَاهِيَةً أَنْ يُذَكَّرَ اللَّهُ إِلَّا فِي حَقٍّ، قَالَ: وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى حَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ، أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ؛ حَتَّى يَبْلُغَ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، وَأَوْحَى إِلَى أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ أَنْ: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢] فَاسْتَبْطَأَتْهُ فَلَقِيَتْهُ يَنْتَظِرُ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ، وَهُوَ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: أَيُّ بَارِكَ اللَّهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا الْمُبْتَلَى؟ وَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا، قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ، وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ أَنْدَرُ لِلْقَمْحِ وَأَنْدَرُ لِلشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَرِ الْقَمْحِ أَفْرَعَتْ

(١) أبو يعلى بإسناد صحيح (٣٦١٧).

فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّى فَاضَ، وَأَفْرَعَتِ الْأُخْرَى عَلَى أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ حَتَّى فَاضَ».

* وهذه أم المؤمنين، عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُرمى بما رُميت به من الإفك والبهتان وتدعو، وكل المسلمين يدعون ربهم ويستمر البلاء ويستمر؛ بل وينقطع الوحي عن رسول الله ﷺ فتزداد المشقة، وتزداد، ثم يكشف الله ﷻ الكرب، ويرفع الله ﷻ البلاء، وكان بالإمكان أن تجاب الدعوات لأول وهلة، وفي أول لحظة، ولكن ليرفع درجات أقوام، وليوفي الصَّابرون أجرهم بغير حساب، وأيضاً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيٍّ عن بينة، وليميز الله الخبيث من الطَّيِّب، وليظهر الله أهل الإيمان من أهل النفاق.

وَنَبِيُّ اللَّهِ ﷺ سُحْر^(١)، فدعا ودعا ودعا، واستمرَّ به سحره زمناً، ولا يعجز الله ﷻ أن يشفي نبيّه من أوّل لحظة، بل هو قادر على أن يحفظ نبيّه من أن يُصاب بأذى ولكنه عليه الصَّلَاة والسَّلَام يُبتلى ويدعو ويشبه الله على كلّ دعوة دعا بها.

* وهذا نبيُّ الله يعقوب ﷺ يفقد ولده يوسف ﷺ عشرات السنين، ومع ذلك لا ييأس، ولا يقنط من رحمة الله؛ بل يقول: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِئُسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

* وجدّه الخليل إبراهيم ﷺ، يبشره الملائكة بالغلام الحليم، فيقول: ﴿أَبَشِّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ بُشِّرُونَ﴾ ٥٤ ﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ ٥٥ ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ ٥٦ [الحجر: ٥٤-٥٦].

الوجه الثامن: أن تكون هناك موانع تمنع من إجابة الدعاء:

* كأن يدعو الشخص بإثم أو قطيعة رحم، ففي الحديث: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، وَلَا بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ».

(١) حديث سحر النَّبِيِّ ﷺ أخرجه البخاري (٥٧٦٥، ٥٧٦٦)، ومسلم (٢١٨٩) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وفيه أنها قالت: سحر النَّبِيُّ ﷺ حتى إنه ليُخَيَّلَ إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه... الحديث.

* وكأن تكون هناك دعوة ظالم يدعو بها على الظالم، فدعوة المظلوم تغلب دعوة الظالم وتقهرها.

فعلى سبيل المثال يرفع الظالم يديه بالدعاء، وهناك مظلوم يئن ويتوجع ويدعو على ظالمه فترى أي الدعوتين تجاب؟! إن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، يرفعها الله فوق الغمام ويقول: «بِعِزَّتِي لَا نُصْرَنَّا وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ!».

* وكأن يرفع الشخص يديه إلى السماء ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، فأني يستجاب له.

* قال رسول الله ﷺ^(١): «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ، لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ».

فترى كيف يستجاب من فم ملوث بالحرام؟ وكيف يستجاب من جسم نبت من سُحْتٍ؟

ونحن نعلم أن إنبات الثمر مقدر، ومع ذلك لابد من رعاية الزرع والاهتمام به، وفعل ما يصلحه حتى يثمر، وقصة تأبير النخيل مشهورة:

* فقد أخرج مسلم^(٢)، من طريق موسى بن طلحة، عن أبيه، قال: مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟». فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَهُ، يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْقَحُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا» قَالَ

(١) مسلم (حديث ١٠١٥).

(٢) مسلم (٢٣٦١).

فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: «إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا، فَخُذُوا بِهِ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ ﷻ».

* وعند مسلم ^(١) أيضًا من حديث رافع بن خديج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَدِمَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَهُمْ يَأْبُرُونَ ^(٢) النَّخْلَ، يَقُولُونَ: يُلْقَحُونَ النَّخْلَ، فَقَالَ: «مَا تَصْنَعُونَ؟» قَالُوا: كُنَّا نَصْنَعُهُ، قَالَ: «لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا» فَتَرَكُوهُ، فَفَضَّتْ أَوْ فَتَقَصَّتْ، قَالَ فَذَكَّرُوا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ» قَالَ عِكْرِمَةُ: أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.

* وفي صحيح مسلم ^(٣)، أيضًا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلْقَحُونَ، فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلَحَ» قَالَ: فَخَرَجَ شَيْصًا ^(٤)، فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: «مَا لِنَخْلِكُمْ؟» قَالُوا: قُلْتَ كَذًا وَكَذَا، قَالَ: «أَنْتُمْ أَعْلَمَ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ».

الوجه التاسع: من أهل العلم من قال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. إذا استوفى الداعي آداب الدعاء وشرائطه وانتفت الموانع.

الوجه العاشر: أن تتخلف الأسباب، كأن يدعو الرجل بسعة الرزق، وهو جالس لا يلتمس أسبابه، ولا يسعى في تحصيله، فيكون قد خالف قوله تعالى: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥]، وقد قال تعالى أيضًا: ﴿وَأَخْرُجُوا يَصْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

* وكذلك الذُّرِّيَّةُ مقدرة، ومع ذلك لا بد من أخذ الأسباب الموصلة إليها، فإذا تزوج رجل امرأة، وبقي شهرًا لم يجامعها، وقال لها ذات يوم: قومي ندعو الله، أن

(١) مسلم (حديث ٢٣٦٢).

(٢) يؤبرون النخل: يدخلون شيئًا من طلع الذكر في طلع الأنثى، فتعلق بإذن الله.

(٣) حديث (٢٣٦٣).

(٤) الشيص هو: البسر الرديء الذي إذا يبس صار حشفًا.

يرزقنا الولد في الثُّلث الأخير من الليل، ترى كيف تجيبه زوجته وبِمَ تجيبه؟! وهو لم يجامعها، ويسأل الله الولد من غير جماع أظنه سيكون أضحوكة عندها!

وقد قال ربنا ﷻ: ﴿فَالْقَنَ بَشْرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].



وهل تستجاب جميع دعوات الصالحين؟

لا يلزم أن تستجاب جميع دعوات الصالحين، فربُّنا سبحانه وتعالى يعلم، ونحن لا نعلم، وقد يرى أهل الصلاح الخير في أمر، والله يعلم أن الخير في خلافه، قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

أما الأدلة على أن بعض دعوات الصالحين، قد تتخلف، فمنها ما يلي:

* قول نوح عليه السلام لما حال الموج بينه وبين ابنه، فكان ابنه من المغرقين، ومات ابنه على الكفر، قال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي أَبْنَى مِنْ أَهْلِي وَإِنْ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٤٥) قَالَ يَبْنُوهُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [هود: ٤٥-٤٧].

* والخليل إبراهيم عليه السلام، لما قال الله له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، أي: ليس لظالم عندي عهد أن يكون إمامًا، وأيضًا فقد دعا إبراهيم عليه السلام ربه سبحانه أن يرزق أهل المسجد الحرام من الثمرات، ثم أراد أن يقتصر الرزق على المؤمنين، فلم يُجب إلى ذلك، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿... وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].

* وكليم الله موسى عليه السلام قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي...﴾

[الأعراف: ١٤٣].

فَتْهُ الدُّعَاءُ وَالتَّعَوُّذَاتِ

- * وقال النَّبِيُّ ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ، وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً»^(١).
- * وَلَمَّا دَعَا النَّبِيُّ ﷺ^(٢) عَلَى قَوْمٍ بِاللَّعْنِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

* * *

(١) مسلم (ص ٢٢١٦).

(٢) وسيأتي الحديث في باب الدعاء باللعن.

وهل تستجاب دعوة الكافر؟!

نعم!! قد تستجاب إذا أراد الله ذلك

* قال إبليس: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَفْتِ الْمَعْلُومِ ﴿الحجر: ٣٦-٣٨﴾.

* وقال أهل الشرك: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

* وقال تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]. أي: إن تطلبوا القضاء بينكم وبين رسول الله، فقد جاءكم القضاء، وذلك يوم بدر.

* وقال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الدَّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ [الدخان: ١٠-١٣].

ومن الدليل على أن إجابة دعوة الكفار مردها إلى الله، إن شاء استجاب، وإن شاء لم

يجب:

* قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَتُولَاءَ وَهَتُولَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾

[الإسراء: ٢٠]

توجيه قوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].

فقد يسأل سائل، كيف ذكرتم أن الله قد يستجيب دعاء الكفار، وهنا يقول: ﴿وَمَا

دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].

وجوابه - على وجه من الوجوه -:

* أن دعاء الكافرين في الآية الكريمة، إنما هو في الآخرة، وهم في العذاب، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۖ قَالُوا أَوْلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلُكُم بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

* * *

وهل يدعو الشخص بأخف المفسدين إذا كان لزاماً أن تقع واحدة

هذا، والله أعلم: جائز من باب اختيار أخف الأضرار والمفاسد إذا تراجعت الأضرار والمفاسد.

* فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۚ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۚ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۚ بَنَصَّرَ اللَّهُ ۚ﴾ [الروم: ٢-٥]،

فالروم كانوا يقاتلون الفرس، وكانت الروم أقرب للإسلام، أما الفرس فكانوا يعبدون النار، فانتصار الروم كان أسعد للمسلمين من انتصار الفرس فلذا فرح أهل الإيمان.

ومن الأدلة أيضاً، قول رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي».



من عَجَّلَتْ له دعوته في الدنيا هل ينقص من أجره في الآخرة؟

ابتداءً ففضل الله واسع، وربنا سبحانه وتعالى كريم، وليس هناك مانع بحالٍ من الأحوال أن يكرم الله عباده في الدنيا والآخرة، وأن يجعلهم في رفعة دائمة في الدنيا والآخرة، ولا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، وثُمَّ قوم أنعم الله عليهم غاية الإنعام في الدنيا، ثم هم في الآخرة من الصالحين المقربين.

* فنبينا محمد ﷺ شرح الله له صدره، ورفع الله له ذكره، وفتحت له فارس والروم، ثمَّ هو يوم القيامة سيّد ولد آدم.

* وعيسى ﷺ قال الله عنه: ﴿وَجِئْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

* ويوسف ﷺ آتاه الله من الملك، وعلمه من تأويل الأحاديث، ثم هو يوم القيامة في الدَّرَجَاتِ العُلَى والنَّعِيمِ المقيم.

* وداود ﷺ، آتاه الله الملك والحكمة، وعلمه ممَّا يشاء، ثمَّ له عند الله يوم القيامة زلفى وحسن مأب.

* وكذا ولده سليمان ﷺ آتاه الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، ثم أيضاً يقول تعالى في شأنه: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٤٠].

فلا يمتنع أبداً أن يكرم الله شخصاً في الدنيا والآخرة معاً؛ بل هناك خلائق لا يعلم عددهم إلا الله يكرمهم الله في الدنيا والآخرة، ويوسع عليهم، ويعافيههم، ويطمئن قلوبهم، ويهدي بالهم في الدنيا والآخرة.

ومن ثَمَّ فلا ينبغي أن يقصّر شخص في الدعاء بخيري الدنيا والآخرة معاً؛ بل كان

أكثر دعاء النبي ﷺ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(١).
 * وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿

[البقرة: ٢٠١، ٢٠٢].

* وقد دعا النبي ﷺ لعدد من أصحابه بسعة الرزق في الدنيا، وبكثرة الولد، فدعا لأنس بقوله: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ»^(٢).
 واستسقى النَّبِيُّ ﷺ لقومه كذلك، ودعا إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ أَمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦]، وقال: ﴿وَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]. أي: ثناء حسناً فيمن يأتون من بعدي.
 * ولكن أيضاً، قد وردت جملة من الأدلة تشعر بأن من أُعطي مسألته في الدنيا قد يؤثر ذلك على منزلته العليا في الآخرة.

* **فمن ذلك**، قول النَّبِيِّ ﷺ^(٣): «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِّأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وفي رواية أخرى: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، يَدْعُو بِهَا، فَيُسْتَجَابُ لَهُ، فَيُؤْتَاهَا، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِّأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

* **وكذلك**، فإنَّ نبيَّ الله نوح عليه الصَّلَاة والسَّلَام، يقول يوم القيامة، معتذراً حينما تطلب منه الشفاعة: «.. وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي»^(٤).
 * وقد خيَّر النَّبِيُّ ﷺ بين أن يكون عبداً رسولاً، وبين أن يكون ملكاً نبياً فاختار

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١١/ ١٩١)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ١٦) من حديث أنس رضي الله عنه قال:

كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».

(٢) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٨٢)، ومسلم (مع النووي ١٦/ ٣٩).

(٣) (٤) كلاهما عند مسلم (حديث ١٩٩).

(٥) مسلم (حديث ١٩٤).

أن يكون عبداً رسولاً.

* ولما دعا سعد بن أبي وقاص على بعض الظَّلمة، فاستجاب الله دعاءه حلف ألا يدعو على أحد:

* أخرج الحاكم في المستدرک^(١) من حديث سعدٍ «أَنَّ رَجُلًا نَالَ مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَدَعَا عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فَجَاءَتْهُ نَاقَةٌ، أَوْ جَمَلٌ فَقَتَلَهُ، فَأَعْتَقَ سَعْدٌ نَسَمَةً، وَحَلَفَ أَنْ لَا يَدْعُوَ عَلَى أَحَدٍ».

وقد يفهم من هذا، أن سعداً رأى أن ادّخار الإجابة للآخرة أولى، أو أن العفو أولى، والله أعلم.

ولمّا قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوسِّعْ عَلَيَّ أَمَّتِكَ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ، قَدْ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ، وَأَعْطُوا الدُّنْيَا، وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَانَ مُتَكِنًا، فَقَالَ: «أَوْفِي هَذَا أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ إِنَّ أَوْلَيْكَ قَوْمٌ عَجَّلُوا طَيِّبَاتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»^(٢).

وأيضاً، فقد أرشد الله سبحانه وتعالى المظلوم إلى العفو عن ظالمه، وعدم

(١) الحاكم في «المستدرک» (٣/ ٤٩٩) وسنده حسن، وله شاهد تفصيلي عند الحاكم (٣/ ٤٤٩) من طريق قيس بن أبي حازم، قال: كُنْتُ بِالْمَدِينَةِ، فَبَيْنَا أَنَا أَطُوفُ فِي السُّوقِ، إِذْ بَلَغْتُ أَحْجَارَ الرِّبِّ، فَرَأَيْتُ قَوْمًا مُجْتَمِعِينَ عَلَى فَارِسٍ قَدْ رَكِبَ دَابَّةً، وَهُوَ يَشْتِمُ عَلَيَّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ، وَالنَّاسُ وَقُوفٌ حَوْلَيْهِ إِذْ أَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا: رَجُلٌ يَشْتِمُ عَلَيَّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ؟ فَتَقَدَّمَ سَعْدٌ فَأَفْرَجُوا لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «يَا هَذَا، عَلَامَ تَشْتِمُ عَلَيَّ بَنَ أَبِي طَالِبٍ؟ أَلَمْ يَكُنْ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ؟ أَلَمْ يَكُنْ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ أَلَمْ يَكُنْ أَزْهَدَ النَّاسِ؟ أَلَمْ يَكُنْ أَعْلَمَ النَّاسِ؟» وَذَكَرَ حَتَّى قَالَ: «أَلَمْ يَكُنْ خَتَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى ابْنَتِهِ؟ أَلَمْ يَكُنْ صَاحِبَ رَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَوَاتِهِ؟» ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا يَشْتِمُ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِكَ، فَلَا تُفَرِّقْ هَذَا الْجَمْعَ حَتَّى تُرِيَهُمْ قُدْرَتَكَ». قَالَ قَيْسٌ: فَوَاللَّهِ مَا تَفَرَّقْنَا؛ حَتَّى سَاخَتْ بِهِ دَابَّتُهُ فَرَمْتُهُ عَلَى هَامَتِهِ فِي تِلْكَ الْأَحْجَارِ، فَأَنْفَلَقَ دِمَاغُهُ وَمَاتَ. قَالَ الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي

(٢) الحديث بذلك أخرجه البخاري (حديث ٥١٩١).

الدعاء عليه، كما قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، ثم ندب إلى العفو بقوله: ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، وذلك، والله أعلم مفاده أن الدَّاعي على من ظلمه، وإن استجيبت دعوته إلا أنه أقلُّ أجرًا من الذي يعفو.

وفي صحيح مسلم^(١)، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُصِيبُونَ الْغَنِيمَةَ، إِلَّا تَعَجَّلُوا ثُلثِي أَجْرِهِمْ، وَبَقِيَ لَهُمُ الثُّلُثُ، وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً، تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ».

وفي رواية أخرى عند مسلم: «مَا مِنْ غَازِيَةٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، تَغْزُو فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ، إِلَّا كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلثِي أَجْوَرِهِمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، تُخْفِقُ^(٢) وَتُصَابُ، إِلَّا تَمَّ أَجْوَرُهُمْ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما معنى الحديث، فالصَّواب الذي لا يجوز غيره: أَنَّ الغزاة إذا سلموا أو غنموا، يكون أجرهم أقلُّ من أجر من لم يسلم أو سلم، ولم يغنم، وأن الغنيمة هي في مقابلة جزء من أجر غزوهم، فإذا حصلت لهم، فقد تعجلوا ثلثي أجرهم المترتب على الغزو، وتكون هذه الغنيمة من جملة الأجر، وهذا موافق للأحاديث الصحيحة المشهورة عن الصَّحابة، كقوله: «مِنَّا مَنْ مَاتَ، وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِيهَا، يَعْنِي يَجْتَنِيهَا».

وقال النَّبِيُّ ﷺ للمرأة السوداء، التي كانت تصرع: «إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ، وَلَكِي الْجَنَّةُ»^(٣). ثم إِنَّهُ أَيْضًا مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ الْمُلُوكَ، وَإِنْ كَانُوا فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الْجَنَانِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، إِلَّا أَنَّهُمْ أَقَلُّ مَنْزِلَةً مِنْ أَوْلِي الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، فَنُوحٌ ﷺ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا وَسَلَّمُ أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنْ سُلَيْمَانَ وَدَاوُدَ وَيُوسُفَ عَلَيْهِمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ

(١) مسلم (١٩٠٦).

(٢) أي: لا يغنمون شيئًا.

(٣) البخاري (حديث ٥٦٥٢)، ومسلم (حديث ٢٥٧٦).

أجمعين، وفي كل خير.

إِلَّا أَنَّ هَذَا الَّذِي ذَكَرَ مِنْ كَوْنِ تَعْجِيلِ الْإِجَابَةِ يَنْقُصُ الْأَجْرَ الْآخِرَ يُمكنُ الْجَوَابُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُ، بِأَن يُقَالَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ: إِنَّ قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ»، هَذَا فِي الدَّعْوَةِ الْعَامَّةِ، فَلَكَ نَبِيٌّ دَعْوَةٌ وَاحِدَةٌ عَامَّةٌ مُسْتَجَابَةٌ، وَهَذِهِ خَاصَّةٌ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَوَاتُ وَالسَّلَامُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ تَأْجِيلَهَا لِلْآخِرَةِ أَفْضَلُ كَمَا قَدْ اخْتَارَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، وَيُمْكِنُ الْجَوَابُ عَلَى كَوْنِ النَّبِيِّ اخْتَارَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا لَمَّا أُرْسِدَ جَبْرِيلُ إِلَى ذَلِكَ.

وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ، لِعُمَرَ: «أُولَئِكَ قَوْمٌ عَجَّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ»، هَذَا لَدَفْعِ مَا قَدْ يَتَسَرَّبُ أَنَّ الْأَجْرَ الدُّنْيَوِيَّ مُقَابِلَ الْإِيمَانِ.

أَمَّا كَوْنُ الْعِبَادِ الْمُرْسَلِينَ أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمَلُوكِ، فَهَذِهِ مَنَازِلُ سَبَقَتْ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَعَلَى كُلِّ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَهْمَلَ الدَّعَاءُ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ بَلْ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَكْثُرَ مِنَ الدَّعَاءِ بَهُمَا مَعًا فَأَكْثَرَ دَعْوَةٍ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو بِهَا: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».

وَفِي ثَنَايَا هَذَا الْكِتَابِ كَمْ هَائِلٍ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الدَّعَوَاتِ، وَلِذَلِكَ ضَوَّابُ تَجَدُّدِهَا فِي ثَنَايَا هَذَا الْكِتَابِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -.



الدعاء للنفس قبل الآخرين

وذلك لعموم قول النبي ﷺ: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ»^(١).

* وقد أخرج أحمد^(٢)، في مسنده، من حديث أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ^(٣) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَعَا لِأَحَدٍ، بَدَأَ بِنَفْسِهِ، فَذَكَرَ ذَاتَ يَوْمٍ مُوسَى، فَقَالَ: «رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى، لَوْ كَانَ صَبْرٌ، لَقَصَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا مِنْ خَبْرِهِ، وَلَكِنْ قَالَ: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦]».

* * *

جواز الدعاء للآخرين فقط في بعض الأحيان

وإن كان المستحب - كما قدّمنا - أن يبدأ الشخص بالدعاء لنفسه قبل الآخرين، لكن لا بأس أن يقتصر في بعض دعواته على الآخرين فقط إن دعت الحاجة إلى ذلك، أخرج البخاري ومسلم^(٤) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسَمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا أُريدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مَنْ هَذَا فَصَبْرٌ».

* * *

(١) رواه مسلم برقم (٩٩٧) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أحمد في المسند (١٢١ / ٥)، وقد أوردته في «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة» مع الحكم عليه.

(٣) و(كان) لا تفيد الديمومة.

(٤) البخاري (مع الفتح ٤٣٦ / ٦)، ومسلم (حديث ١٠٦٢).

دعاء أهل الإيمان لبعضهم البعض

سواء كانوا أحياء أو أمواتاً

- * قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].
- * وقال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨].
- * وقال الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].
- * وقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ [الأعراف: ١٥١].
- * وقال تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].

* * *

ومن دعاء الصالحين لبعضهم

دعاء الملائكة لبني آدم

قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾.

[الشورى: ٥]

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧، ٩].

* * *

أوقات لا يجاب فيها الدعاء

وأدعية لا تستجاب

* **من ذلك**، قول أهل الكفر يوم القيامة: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

* وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَازِنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٤٩، ٥٠].

* وقال تعالى: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤].

* وقال أهل الكفر: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [١٠٧] قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٧، ١٠٨].

*** ومن ذلك عند طلوع الشمس مغربها:**

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَيْدِي رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا تَكُنَّ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَنِهَا حَرًّا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

*** ومن ذلك عند الاحتضار وخروج الروح،** قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمْوَتُونَ وَهُمْ كَفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨].

وقال تعالى في شأن فرعون: ﴿حَتَّى إِذَا آدَرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَاكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[يونس: ٩٠، ٩١]

وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا بَلَغَكُمُ الْبَرْءَ آعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

واحذر أن تكون من الذين يدعون الله وقت الشدة، وينسونه وقت الرخاء

فهذا شأن صنف من الناس.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٢-٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الزمر: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[يونس: ١٢]

تعميم الدعاء

ويستحب للشخص أن يُعمِّم في دعائه، حيث يحتاج الأمر إلى تعميم، وحيث يليق التعميم، فإنه بذلك يُثاب، وينتفع غيره بدعائه أيضًا، وينتفع هو بدعاء الآخرين كذلك إذا عمَّموا في دعائهم، وتقوى أواصر المودة والمحبة والإخاء بين المؤمنين بدعاء بعضهم لبعض.

* والشخص يثاب إذا دعا لإخوانه بظهر الغيب، فمن دعا لأخيه بظهر الغيب، فعند رأسه ملكٌ موَكَّلٌ يقول: آمين، ولك بمثل.

وهذه بعض الأدلة على مشروعية تعميم الدعاء واستحبابه.

* **من ذلك**، قول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

* وقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

[محمد: ١٩]

* وقول نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

* وكذلك قول الملائكة عليهم السلام: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[غافر: ٧، ٨].

* وقد كان الصحابة في تشهدهم في الصلاة، يقولون: السلام على فلان وفلان، فعلمهم النبي ﷺ أن يقولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، وقال لهم:

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

«فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ ذَلِكَ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ، أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(١).

وفي البخاري^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَلَاةٍ، وَقُمْنَا مَعَهُ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ، وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا. فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ: «لَقَدْ حَجَرْتَ وَاسِعًا» يُرِيدُ رَحْمَةَ اللَّهِ.

* ولما خشي سعد بن أبي وقاص، أن يموت بمكة لكونه قد هاجر منها، وكان قد مرض في حجة الوداع، فدعا له رسول الله ﷺ، وعمم في دعائه، فقال: «اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ، وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَغْقَابِهِمْ»^(٣). فعمم النبي ﷺ الدعوة لجميع أصحابه، ولم يخص سعدًا، وإن كان التخصيص جائزًا في مواطن.

وكان النبي ﷺ يدعو لبعض أصحابه المستضعفين بأسمائهم، ومع ذلك يعمم دعوته لكل مستضعف، ففي الصحيح، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه^(٤)، قال: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -حِينَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ يَقُولُ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»، -يَدْعُو لِرِجَالٍ فَيُسَمِّيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ، فَيَقُولُ: -«اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ»^(٥)، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ،

(١) وذلك في حديث ابن مسعود في صفة التشهد، وقد أخرجه البخاري (مع الفتح ٣٢٠ / ٢)، ومسلم (مع النووي ١١٥ / ٤).

(٢) البخاري (٦٠١٠) ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن بطال قوله: أنكر ﷺ على الأعرابي لكونه بخل برحمة الله على خلقه.

(٣) البخاري (حديث ١٢٩٥) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع، من وجع اشتد بي. فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَتِي، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلثِي مَالِي؟ قَالَ: «لَا» فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ؟ فَقَالَ: «لَا» ثُمَّ قَالَ: «الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ -أَوْ كَثِيرٌ- إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجَزْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلَ فِي فِي أَمْرَاتِكَ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْلَفُ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُخْلَفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا إِلَّا أَرْدَدَتْ بِهِ دَرَجَةٌ وَرَفَعَةٌ، ثُمَّ لَعَلَّكَ أَنْ تُخْلَفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ، وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ، اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ، وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَغْقَابِهِمْ، لَكِنَّ الْبَائِسُ سَعْدُ ابْنِ خَوْلَةَ» يَرِثُنِي لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ.

(٤) البخاري (حديث ٨٠٤).

(٥) فيه جواز ذكر الأشخاص بأسمائهم عند الدعاء لهم في الصلاة.

وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِيْعَةَ، وَالْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرٍّ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُونُسَ» وَأَهْلُ الْمَشْرِقِ يَوْمِئِذٍ مِنْ مُضَرٍّ مُخَالِفُونَ لَهُ.

* وقد ورد ذم من أم قوماً، فخص نفسه بالدعاء من دونهم، ويبدو أن هذا في الدعاء الجماعي، فلا يشرع له أن يقول: اللهم ارزقني، وهم يقولون: آمين؛ بل يقول: اللهم ارزقنا.

وعليه فيستحب لك إذا دعوت الله لمريض بالشفاء أن تعمم فتقول: اشف فلاناً، ومرضى المسلمين، ونحوه ارزقنا وارزق عبادك، وكذلك انصرنا وانصر المسلمين، وارحمنا وارحم موتانا وموتى المسلمين، وتقول: اللهم اكفني شرَّ فلان وشرَّ كلِّ ظالم.

وإن كان الاقتصار في الدعاء للنفس جائزاً؛ بل ويستحب في مواطن إلا هناك مواطن آخر يستحب فيها التعميم، فالمواطن التي خص فيها رسول الله ﷺ بدعائه يُستحب لنا أن نخص فيها، والتي عمم فيها دعاءه يستحب لنا أن نعمم فيها، وأما المسكوت عنه فبحسب الحال، وما يستدعيه المقام، والله تعالى أعلم.

* وفي الصحيحين^(١)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، -فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ-، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ، فَيَدْعُو».

وفي هذا تعميم الدعاء كذلك.

(١) البخاري (مع الفتح ٢/ ٣٢٠)، ومسلم (٤/ ١١٥).

جواز تأخير الدعاء لقوم لعلّ من العلل

قال يعقوب عليه السلام لبيه لما قالوا له: ﴿يَتَأَبَّأْنَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩٧]، قال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ [يوسف: ٩٨].

قال بعض العلماء: أخر الاستغفار لهم للثلث الأخير من الليل ليكون أرجى.
*** ومن ذلك،** قول النبي ﷺ: «إِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».
*** وقول الخليل ^(١) لأبيه:** ﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ [مريم: ٤٧].

ولا تطلب الأدنى وترفض الأعلى

ولا تدعو بزوال نعم الله

*** أقول وبالله التوفيق:** قد ذكر الله سبحانه وتعالى بنعمه على قوم سبأ فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ...﴾ [سبأ: ١٥، ١٦].
 وقال أيضاً ممتناً عليهم: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالٍ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۝١٨﴾ [سبأ: ١٨، ١٩].

*** وحاصل ذلك،** أنهم كانوا إذا أرادوا سفراً إلى الأراضي المباركة - قيل: أرض الشام - فهناك استراحات، وبيوت مستقرة على الطريق في أماكن الاحتياج إليها، كلما قطعوا مسافة، وتعبوا وجدوا استراحة يستريحون فيها ويتناولون طعاماً وشراباً... فلم يشكروا بل قالوا: ربنا باعد بين أسفارنا، أي نريد يا رب أن تكون هناك أسفار

(١) وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

طويلة بدون محطات استراحة فرفضوا النعمة والراحة، وابوا إلا التعب والمشقة، قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: ١٩].

* وأيضاً لما من الله على بني إسرائيل في التيه باليمن والسلوى، من غير تعب ولا مشقة، سألوا موسى فقال: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا﴾ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴿[البقرة: ٦١].



ذم من اقتصر في دعائه على أمور الدنيا

* وقد ذم الله سبحانه وتعالى من اقتصر في دعائه على أمور الدنيا، فقال سبحانه: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وقال سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨].

* وأثنى الله سبحانه وتعالى على من جمع في دعائه بين طلب حسنة الدنيا وحسنة الآخرة معاً بقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ. [البقرة: ٢٠١، ٢٠٢]

* وقال موسى عليه السلام: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾. [الأعراف: ١٥٦]

* ولما قالت أم حبيبة^(١) زوج النبي ﷺ: اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَّعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَّقْسُومَةٍ، لَنْ يُعْجَلَ شَيْئًا قَبْلَ حَلِّهِ، أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حَلِّهِ، وَلَوْ كُنْتَ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ».



(١) مسلم (مع النووي ١٦/٢١٢).

اجتناب السجع المتكلف

* ومن الصُّور المكروهة في الدُّعاء السَّجع المتكلف المتعمَّد، ففي صحيح البخاري ^(١) من طريق عِكْرَمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «حَدَّثَ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ، فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلَاثَ مَرَارٍ، وَلَا تُمَلِّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَلَا أَلْفِينَكَ تَأْتِي الْقَوْمَ، وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ، فَتَقْصُ عَلَيْهِمْ، فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتُمِلُّهُمْ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ، فَإِذَا أَمْرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ، وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ. فَانْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ»، فَإِنِّي عَهَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الْاجْتِنَابَ.

ففي هذا ما يفيد كراهية التكلف للإتيان بسجع في الدعاء، ويجعل الناس يهتمون بتلك النعمات في الأدعية، فيذهب الخشوع.

أما إذا كان السَّجع غير متكلف، فذلك جائز، ولا حرج، وقد قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ...». وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ».



(١) البخاري (مع الفتح ١١/١٣٨).

النَّهْيُ عَنِ الِاعْتِدَاءِ فِي الدُّعَاءِ

وبيان صور الاعتداء

* قال الله تبارك وتعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

[الأعراف: ٥٥]

والاعتداء هنا: هو الاعتداء في الدعاء، فثمَّ قوم يعتدون في الدعاء.

* **ومن صور اعتدائهم في الدعاء:** سؤالهم ما لا يليق بهم، وما لا علم لهم به، وسؤالهم ما يخالف أمر الله، وأمر رسوله ﷺ، وفي سنن أبي داود، ومسند الإمام أحمد^(١)، بسند صحيح، عَنْ أَبِي نَعَامَةَ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ، سَمِعَ ابْنًا لَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا. فَقَالَ: يَا بُنَيَّ سَلِ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْجَنَّةَ، وَعُدِّ بِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالطُّهُورِ».

* **ومن صور اعتدائهم في الدعاء:** أن يسأل الشخص ما لا يليق به، كمن يسأل ربَّه منازل الأنبياء، وكمن يسأل ربه الوسيلة التي لا تنبغي إلا لعباد الله يرجوها رسول الله ﷺ لنفسه، وكمن يسأل أن يكون له الشفاعة العظمى يوم القيامة، أو يسأل ما لا يجوز له سؤاله من الإعانة على المحرّمات، كمن يسأل ربَّه، أن ييسرَّ له أمر السرقة، وأمر الزّنا، وأمر الرّشوة، أو يسأل ربَّه أن يفرّق بين المسلمين، أو يسأل ربَّه أن يُخلد أبد الدهر، أو يسأل ربه أن يغنيه عن الطعام والشراب طول حياته، فنحو هذه الأدعية مما يناقض حكمة الله، ويخالف أمره ويضادُّ ما شرعه، فكل ذلك اعتداء في الدُّعاء، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

(١) أحمد في المسند (٥٥/٥)، وأبو داود (١٦٢/٢)، وابن ماجه (٣٨٦٤) وغيرهم.

فدعاء الربِّ بما يخالف ما أمر به يعد اعتداءً في الدعاء.

والأمور التي علمنا من كتاب ربنا ﷺ، ومن سنة نبينا ﷺ، أن الله قد قضى فيها قضاءً، ليس لنا أن ندعو فيها بخلاف ما قضى فيها ربنا ﷺ.

* فليس لأحد أن يدعو للشيطان بالهداية والرحمة بعد أن ظهر قضاء الله.

* وإبراهيم عليه السلام، تبرأ من أبيه؛ لما علم أنه عدو لله، ولم يكن له أن يدعو له بالمغفرة.

* ونبينا ﷺ قال لعمره: «لَا تَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنْهَ عَنْكَ». ثم قال تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

* والشهداء لما سألوا ربهم الرجوع إلى الدنيا لم يجب لهم هذا الطلب.

* وليس لأحد أن يسأل لنفسه النبوة بعد أن قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

* ومن صور الاعتداء في الدعاء^(١): رفع الصوت^(٢) به رفعًا زائدًا، ففي الصحيحين، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ، وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا». ثُمَّ أَتَى عَلِيٌّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا

(١) وقد فسر الاعتداء في الدعاء بالصياح في الدعاء أيضًا.

(٢) وقد ورد أن رسول الله ﷺ دعا بصوت سمعه أصحابه في بعض المواطن - لكن ليس بتلك الصورة المرتفعة التي تشبه الصياح، فقد دعا يوم بدر وسمعه أصحابه، ودعا في الاستسقاء وسمعه أصحابه، ودعا لأخي لأبي موسى الأشعري، وسمعه أصحابه، و.. فيقال: إن لرفع الصوت بالدعاء والذكر مواطن يفعل، فيها وهي الواردة عن رسول الله ﷺ، وما سوى ذلك فالأصل في الدعاء والذكر الخفية للآية: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً..﴾. وهذا من المسائل التي سنستفيض فيها إن شاء الله في كتابنا الكبير: «فقه الدعاء». يسر الله إتمامه.

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّدَاتِ

كَتَزُّ مِنْ كُتُوزِ الْجَنَّةِ». أَوْ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كُتُوزُ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وقد قال تعالى، كما تقدم: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

قال ابن القيم رحمه الله^(١) بعد أن ذكر حديث «سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطُّهُورِ وَالدُّعَاءِ»:

وعلى هذا، فالاعتداء في الدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من الإعانة على المحرمات، وتارة بأن يسأل ما لا يفعله الله، مثل يسأله تخليده إلى يوم القيامة، أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية؛ من الحاجة إلى الطَّعام والشَّراب، أو يسأله أن يطلعه على غيبه، أو يسأله أن يجعله من المعصومين، أو يسأله أن يهب له ولدًا من غير زوجة ولا أمة، ونحو ذلك مما سؤاله اعتداء. فكل سؤال يناقض حكمة الله، أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به فهو اعتداء لا يحبُّه الله، ولا يحبُّه رسله.

وفسر الاعتداء برفع الصوت أيضًا في الدعاء. قال ابن جريج: من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء، والنداء في الدعاء والصياح.

وبعد: فالآية أعمُّ من ذلك كله، وإن كان الاعتداء في الدعاء مرادًا بها، فهو من جملة المراد، والله لا يحب المعتدين في كل شيء، دعاء كان، أو غيره، كما قال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وعلى هذا، فيكون قد أمر بدعائه وعبادته، وأخبر أنه لا يحب أهل العدوان، وهم الذين يدعون معه غيره. فهؤلاء أعظم المعتدين عدوانًا. فإن أعظم العدوان هو

(١) التفسير القيم.

الشرك، وهو وضع العبادة في غير موضعها، فهذا العدوان لا بد أن يكون داخلاً في قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

ومن العدوان: أن يدعو دعاء غير متضرع؛ بل دعاء مُدِلٍّ، كالمستغني بما عنده المدل على ربه به، وهذا من أعظم الاعتداء المنافي لدعاء الضارع الذليل الفقير المسكين من كل جهة في مجموع حالاته، فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتد.

ومن الاعتداء: أن تعبده بما لا يشرعه، وتثني عليه بما لم يثن به على نفسه، ولا أذن فيه، فإن هذا الاعتداء في دعاء الثناء والعبادة، وهو نظير الاعتداء في دعاء المسألة والطلب.

*** وعلى هذا فتكون الآية دالة على شيئين.**

أحدهما: محبوب للرب تبارك وتعالى مرضي له، وهو الدعاء تضرعاً وخفية.

والثاني: مكروه له مبغوض مسخوط، وهو الاعتداء، فأمر بما يحبه الله، وندب إليه، وحذر مما يبغضه وزجر عنه بما هو أبلغ طرق الزجر والتحذير.

وهو أنه لا يحب فاعله، ومن لم يحبه الله فأى خير يناله؟ وفي قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. عقب قوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] دليل على أن من لم يدعه تضرعاً وخفية فهو من المعتدين الذين لا يحبهم. فقسمت الآية الناس إلى قسمين: داعٍ لله تضرعاً وخفية، ومعتد بترك ذلك.

النظر إلى السماء في الدعاء في غير صلاة

* قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾.

[البقرة: ١٤٤].

فقد كان النبي ﷺ يقلّب وجهه ناظرًا إلى السماء، كي ينزل تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة...

أما في الصلاة، فلا يشرع، ولا يجوز، فقد قال ﷺ: «لِيَتَّهِينَ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِ أَبْصَارِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلَاةِ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ».

* * *

دعوات غير جائزة

ولا يجوز لك أن تدعو بهذه الدعوات

* قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١].

فلا يجوز لك أن تسأل الله أن تراه، ولا أن تنزل عليك الملائكة.

* وقال موسى ﷺ: ﴿رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَخَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

* **ولا يجوز لك** أن تقول: اللهم آتني الوسيلة والفضيلة وابعثني مقامًا محمودًا...
فإن الوسيلة منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعباد الله يرحوها رسول الله ﷺ لنفسه.

* **ولا يجوز** الدعاء بهذه الدعوة، دعوة إبليس إذ قال: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦].

* **ولا يجوز لك** أن تقول: يا رب، اجعل فلانًا يطلق زوجته حتى أتزوجها.

* **ولا يجوز لك** أن تقول: يا رب، اصرف فلانًا عن طاعتك.

* **ولا يجوز لك** أن تدعو بإثم، ولا بقطيعة رحم.

ومن الممنوع أيضًا أن تدعو بدعوات الكفار

المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله

* قال تعالى: ﴿وَسْتَغْلِبُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [الرعد: ٦]. فمن معانيها، ويستعجلونك بالعذاب قبل الرحمة، وبعقوبات السيئات قبل ثواب الحسنات،

وبالمرؤاخذة بدلًا من المغفرة.

ومن ذلك، قول الكفار: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨]، وقولهم: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [السجدة: ٢٨]. أي: متى هذا القضاء بالجنة، أو بالنار إن كنتم صادقين في دعواكم البعث، فلا يجوز لك أن تستعجل نزول العذاب.

ومن الدليل على ذلك أيضًا، قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ آخَرًا عَنْهُمْ الْعَذَابُ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لِّيَقُولُوا مَا يَحْسِبُهُمْ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [هود: ٨].

وقد يحلُّ بمستعجل العذاب ما طلب من العذاب عاجلاً غير أجل

* قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطَرٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٤، ٢٥].

* قال تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩].
وذلك لما دعا الكفار، فقالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ هِيَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].
وقد حلَّ بهم من العذاب يوم بدر ما حلَّ.

ولا تسأل مزيداً من التكاليف والابتلاءات:

فقد تبلى ولا تتحمل، وقد تكلف ولا تفي، وهناك عددٌ من النصوص تدل على هذا المعنى، فورد منها ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا﴾.

[النساء: ٦٦].

* وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى آلِ الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ

أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ [البقرة: ٢٤٦].

* وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧].
* ومن ذلك النبي ﷺ: «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ»^(١).

* وقوله عليه الصلاة والسلام: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيَتْهَا، عَنْ مَسْأَلَةٍ، وَكِلْتَا إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ، أُعِنْتَ عَلَيْهَا»^(٢).
* ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾.

[محمد: ٢٠، ٢١].

* * *

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٠٢٥)، ومسلم (حديث ١٧٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٧)، ومسلم (حديث ١٦٥٢).

الدعاء باللعن

ابتداءً فينبغي لعن الأشخاص المعينين، وينبغي أن يحفظ اللسان، ولا يستطرد في اللعن، فإن الإكثار في اللعن سببٌ لدخول النار.

* ففي الصحيح^(١)، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الْإِسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزَلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، ..» الحديث.

فبيّن النبي ﷺ أول ما بين من أسباب دخولهن النار كونهن يكثرن اللعن.

* وفي صحيح مسلم^(٢)، من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

* وفي صحيح مسلم^(٣) كذلك من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَصْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ. فَضَجَرَتْ فَلَعَنَتْهَا. فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُلْعُونَةٌ». قَالَ عِمْرَانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ، مَا يَعْزُضُ لَهَا أَحَدٌ.

* وعند مسلم^(٤) أيضًا من حديث أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ،

(١) مسلم (حديث ٧٩).

(٢) مسلم (حديث ٢٥٩٨) من طريق زيد بن أسلم، أن عبد الملك بن مروان بعث إلى أم الدرداء بأنجاد [الأنجاد هو متاع البيت الذي يزينه من فرش ونماق وستور] من عنده فلما أن كانت ذات ليلة، قام عبد الملك من الليل، فدعا خادمه، فكأنه أبطأ عليه فلعنه، فلما أصبح قالت له أم الدرداء: سمعتك الليلة لعنت خادمك حين دعوته، فقالت: سمعتُ أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

(٣) مسلم (حديث ٢٥٩٥).

(٤) مسلم (حديث ٢٥٩٦).

عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ، إِذْ بَصُرْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَتَصَافِقَ بِهِمُ الْجَبَلُ، فَقَالَتْ: حَلْ^(١)،
اللَّهُمَّ الْعَنْهَا، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُصَاحِبُنَا نَافَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ».

* وفي رواية لمسلم: «لَا إِئْمَ اللَّهُ لَا تُصَاحِبُنَا رَاحِلَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ مِنَ اللَّهِ».

* وفي صحيح مسلم^(٢)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا
يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَانًا».

* وفي صحيح مسلم^(٣) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ
عَلَى الْمُشْرِكِينَ^(٤). قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً».

* وقد أخرج البخاري^(٥)، من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا
رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ مِنَ الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الْفَجْرِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا
وَفُلَانًا» بَعْدَ مَا يَقُولُ «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنْ
أَلَمْرِ شَيْءٌ﴾ -إِلَى قَوْلِهِ-: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

* وعند البخاري^(٦) أيضًا من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا
أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى أَحَدٍ، أَوْ يَدْعُوَ لِأَحَدٍ، قَنَتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ، فَرَبَّمَا قَالَ: «إِذَا قَالَ: سَمِعَ
اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ،
وَعِيَّاشَ بْنَ أَبِي رِبْعَةَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِينِي يُوسُفَ»

(١) حل: كلمة زجر للإبل.

(٢) مسلم (حديث ٢٥٩٧).

(٣) مسلم (حديث ٢٥٩٩).

(٤) سيأتي بحث في الدعاء على المشركين إن شاء الله.

(٥) البخاري (حديث ٤٠٦٩).

(٦) البخاري (حديث ٤٠٦٠) وانظر ما ذكره الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- (الفتح

٢٢٧/٨ - ط. دار المعرفة)، ومسلم (حديث ٦٧٥) وعند مسلم: ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل: ﴿لَيْسَ

لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾. قلت: وهذا بلاغ في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَتْهُ الدِّعَاءِ وَالتَّعْوِذَاتِ

يَجْهَرُ بِذَلِكَ. وَكَانَ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ: «اللَّهُمَّ الْعَنُ فُلَانًا وَفُلَانًا، -لِأَحْيَاءٍ مِنَ الْعَرَبِ-» حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وهذا مزيد تفصيل في مسألة اللعن:

فنورد ما يتعلق بلعن الكفار جملة، ثم ما ورد في لعن الكافر المعين، ثم ما ورد في لعن العصاة مطلقاً، ثم ما ورد في لعن العاصي المُعِين، فنقول وبالله التوفيق:

* أما الكفار جملة، فيجوز لعنهم، وقد دلت على ذلك عدة أدلة، فمنها:

قول الله تعالى: ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

وقوله تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً﴾ [هود: ٩٩].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٨].

* **وأما الكافر المعين، ففي لعنه خلاف**، فمن العلماء مَنْ منع مِنْ لعنه محتجاً بالعمومات التي ذكرناها من قبل في كراهية اللعن، واحتجوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١]، فقال هذا الفريق: إننا لا ندرى بم يُختم لهذا الكافر، واللعنة إنما تكون للكافر الذي مات على الكفر والعياذ بالله.

واحتج لهم أيضاً بأن النبي، لما لعن أقواماً بأعيانهم نزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

* **ومن العلماء من جَوَّز لعن الكافر المعين** محتجاً بأن النبي ﷺ لعن الحكم وما ولد^(١)، واحتج أيضاً بما أخرجه مسلم^(٢)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ، لَا أَدْرِي مَا هُوَ فَأَغْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا، وَسَبَّهُمَا.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/٤) بسند صحيح، وله طرق أوردها شيخنا مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٥/٢٥٧).

(٢) مسلم (حديث ٢٦٠٠).

* قال القاضي ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ (أحكام القرآن ١/٥٠):

والصحيح عندي جواز لعنه لظاهر حاله، كجواز قتاله وقتله.
قال: وقد روي أنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «اللَّهُمَّ إِنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ هَجَانِي، قَدْ عَلِمَ أَنِّي لَسْتُ بِشَاعِرٍ فَالْعَنُ، اللَّهُمَّ وَاهْبِجْهُ عَدَدَ مَا هَجَانِي»^(١)، فلعنه وقد كان إلى الإسلام والدين والإيمان مآله، وانتصف بقوله: «عدد ما هجاني». ولم يزد ليعلم العدل والإنصاف والانتصاف، وأضاف الهجو إلى الباري سبحانه وتعالى في باب الجزاء دون الابتداء بالوصف له بذلك، كما يضاف إليه الاستهزاء والمكر والكيد، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

قلت: واستدل بعض أهل العلم على جواز لعن الكافر بأن النبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما أُتِيَ بشارب خمر ليحده؛ قال بعض الصحابة في شأن هذا الشارب: (لعنك الله ما أكثر ما يؤتى بك!) فقال رسول الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَا تَلْعَنُوهُ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٢)، قالوا: فدل على أن من لا يحب الله ورسوله يلعن، والله تعالى أعلم.

* أما العصاة جملة، فيجوز لعنهم؛ لقوله عليه الصلاة والسلام:

«لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ، يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ»^(٣).

(١) أشار الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- إلى ضعف هذا الحديث بقوله: وقالت طائفة أخرى: بل يجوز لعن الكافر المعين، واختار ذلك الفقيه أبو بكر بن العربي المالكي ولكنه احتج بحديث فيه ضعف.

قلت: وفي إسناده عيسى بن عبد الرحمن بن فروة، وهو ضعيف جداً، انظر: «الميزان» حديث (٦٥٨٣) وقد حكم عليه الذهبي هناك بإنكاره.

(٢) أخرج البخاري (حديث ٦٧٨٠) من حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ النَّبِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ [يعني: شراب الخمر]، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ [ما علمت معناها: لقد علمت، أو ما علمت عليه إلا أنه يحب الله ورسوله. وثم أقوال آخر تدور حول هذا المعنى، والله تعالى أعلم] إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ».

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٧٨٣)، ومسلم (حديث ١٦٨٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعاً.

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

وقوله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدِيهِ»^(١). إلى غير ذلك من الأحاديث في هذا الباب.

وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمته الله في «أحكام القرآن»: وأما لعن العاصي مطلقاً، فيجوز إجماعاً.

*** وأما العاصي المعين،** فقد قال ابن العربي رحمته الله: فأما العاصي المعين، فلا يجوز لعنه اتفاقاً لما روي أن النبي ﷺ: جيء إليه بشارب خمر مراراً فقال بعض من حضره: ما له لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «لَا تَكُونُوا أَعْوَانًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ»^(٢)، فجعل له حرمة الأخوة، وهذا يوجب الشفقة، وهذا حديث صحيح.

*** قلت:** واستدل بعض أهل العلم على المنع كذلك بحديث: «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ»^(٣).

وقد يستدل البعض على جواز لعن العاصي المعين بحديث: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ دَعَا أَمْرَاتِهِ إِلَى فِرَاشِهِ، فَأَبَتْ لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»^(٤)، ولكن هذا عندي في غير

(١) أخرج البخاري من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه (حديث ٥٩٦٢) أن النبي ﷺ لعن آكل الربا وموكله. وأخرج مسلم (حديث ١٥٩٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكتابه وشاهديه وقال: «هم سواء».

(٢) أخرج البخاري (حديث ٦٧٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ بسكران، فأمر بضربه، فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِعَلْقِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ: مَا لَهُ أَخْرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ».

(٣) أخرج البخاري (٦٠٤٧)، ومسلم (١١٠ ص ١٠٤) من حديث ثابت بن الضحاك - وكان من أصحاب الشجرة - رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا، فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عَذَّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ».

(٤) أخرج البخاري (حديث ٥١٩٤)، ومسلم (حديث ١٤٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ رَوْحِهَا، لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ».

*** وفي رواية في «الصحيحين» كذلك: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ أَمْرَاتِهِ إِلَى فِرَاشِهِ، فَأَبَتْ أَنْ تَحِيَّ، لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ».**

المعين أيضًا، وعلى كل حال فينبغي للمسلم أن يحترز من الإكثار من اللعن، وخاصة ما يتعلق بلعن المسلمين، وهذا ما رواه الإمام مالك رحمته الله: «لَا تَنْغُ لَصَدَّتْ أَنْ يَكُونَ لَعَانًا» ^(١). ولحديث: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٢). ولحديث: «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ». والله أعلم.

قال النووي رحمته الله في الأذكار:

فصل: اعلم أن لعن المسلم المصون حرامٌ بإجماع المسلمين، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك: لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين، لعن الله اليهود والنصارى، لعن الله الفاسقين، لعن الله المصوِّرين، ونحو ذلك مما تقدّم في الفصل السابق.

وأما لعن الإنسان بعينه، ممّن اتَّصَفَ بشيءٍ من المعاصي؛ كيهوديٍّ، أو نصرانيٍّ، أو ظالم، أو زانٍ أو مصوِّرٍ، أو سارقٍ، أو آكلٍ ربا، فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام. وأشار الغزالي إلى تحريمه إلا في حقّ من عَلِمْنَا أنه مات على الكفر، كأبي لهب، وأبي جهل، وفرعون وهامان، وأشباههم، قال: لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله تعالى، وما ندري ما يُخْتَمُ به لهذا الفاسق أو الكافر، قال: وأما الذين لعنهم رسولُ الله ﷺ بأعيانهم، فيجوزُ أنه ﷺ عَلِمَ موتَهُم على الكفر، قال: ويقربُ من اللعن الدعاء على الإنسان بالشرِّ حتى الدعاء على الظالم، كقول الإنسان: لا أصحَّ الله جسمه، ولا سلّمه الله، وما جرى مجراه، وكلُّ ذلك مذمومٌ، وكذلك لعنُ جميع الحيوانات والجمادات، فكلُّه مذموم.

فصل: حكى أبو جعفر النحاس عن بعض العلماء أنه قال: إذا لعن الإنسان ما لا يستحقُّ اللعن، فليبادر بقوله: إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَا يَسْتَحِقُّ.

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً.

أما ما ورد عن رسول الله ﷺ من لعن لبعض المسلمين، المعينين فقد ورد عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: «اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَّيْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً»^(١).

* وقد أورد الإمام مسلم في صحيحه عدة أحاديث بهذا المعنى.

* فعند مسلم، من حديث عائشة رضي الله عنها^(٢)، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ. فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ، لَا أَذْرِي مَا هُوَ. فَأَغْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا، وَسَبَّهُمَا. فَلَمَّا خَرَجَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا، مَا أَصَابَهُ هَذَا. قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَتْ: قُلْتُ: لَعَنْتُهُمَا وَسَبَّيْتُهُمَا، قَالَ: «أَوْ مَا عَلِمْتَ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ، أَوْ سَبَّيْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا».

* وعنده أيضًا من حديث جابر رضي الله عنه^(٣)، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي ﷻ، أَيُّ عَبْدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَّيْتُهُ، أَوْ شَتَمْتُهُ، أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا».

قلت: وأخرج^(٤) أيضًا من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ، وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ^(٥)، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْيَتِيمَةَ، فَقَالَ: «أَنْتِ هِيَ؟ لَقَدْ كَبُرْتَ، لَا كَبِرَ سُنُّكَ» فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَى أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا لَكَ؟ يَا بَنِيَّةُ قَالَتْ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلِيَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، أَنْ لَا يَكْبِرَ سَنِّي، فَالآنَ لَا يَكْبِرُ سَنِّي أَبَدًا. أَوْ قَالَتْ قَرْنِي فَخَرَجْتُ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوْثُ خِمَارَهَا. حَتَّى لَقِيَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكَ يَا أُمُّ سُلَيْمٍ؟!» فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَدْعَوْتَ عَلَى يَتِيمَتِي؟ قَالَ:

(١) صحيح، وقد تقدم وهذا اللفظ عن مسلم (٢٦٠١)، وانظر البخاري (٦٣٦١).

(٢) مسلم (حديث ٢٦٠٠).

(٣) مسلم (٢٦٠٢).

(٤) مسلم (حديث ٢٦٠٣).

(٥) يعني بأم أنس: أم سليم رضي الله عنها.

«وَمَا ذَاكَ؟ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ» قَالَتْ: زَعَمْتُ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَلَا يَكْبَرُ سِنَّهَا، وَلَا يَكْبَرُ قَرْنُهَا، قَالَ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَى رَبِّي، أَنِّي اشْتَرَيْتُ عَلَى رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ، مِنْ أُمَّتِي، بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ، أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً، وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

* وأخرج مسلم ^(١) في صحيحه، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خِيَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ».

* أما ما ورد في آيات الملاعة، فهذه صورة خاصة، وكذلك ما ورد في المباهلة في

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

* * *

النهي عن الدعاء على النفس

والأولاد والخدم والمال

*** ومن صور الجهل في الدعاء:** الدعاء على النفس والأهل والمال والولد، وهذا يكثر في النساء ناقصات العقل والدين، فلا تفه سبب تدعو المرأة على نفسها وولدها وأهل بيتها، ولا تتصور هذه المرأة أن دعوتها على ولدها قد تستجاب فيصاب الولد بمرضٍ ترهق معه أمه غاية الإرهاق، وتدور به على هذا الطيب وذاك، وهي المتسببة لولدها في هذا المرض والداء بدعائها عليه.

*** قال رسول الله ﷺ:** «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُؤَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عِطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ»^(١).
*** وقال النبي ﷺ:** «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»^(٢).

ولا تدع بإثم ولا بقطيعة رحم:

*** أخرج الإمام مسلم في صحيحه^(٣)،** من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قِطْعَةٍ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ».. الحديث وقد تقدم.

* * *

(١) صحيح، وقد تقدم تخريجه.

(٢) وذلك في الحديث الذي أخرجه مسلم (مع النووي ٢٢٢/٦) من حديث أم سلمة (رضي الله عنها)، قالت: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ، وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَصَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»، فَصَحَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ».

(٣) مسلم (مع النووي ٥٢/١٧).

النهي عن تمني تعجيل العقوبة في الدنيا

وعن الدعاء على النفس بذلك

- * حيث إن هذا فعل الكفار، ثم هو نوعٌ من تمنيّ البلاء، قال تعالى في شأن الكفار: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].
- * وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِّنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].
- * وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَئِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَنفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

فتمني تعجيل العقوبة فعل الكفار كما سلف، ثم هو فعل من قلّ علمهم، وأيضًا فهو خلاف هدي النبي ﷺ.

- * ففي صحيح مسلم ^(١) من حديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، عَادَ رَجُلًا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ، قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِثْمًا؟» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ لَا تُطِيقُهُ - أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ». قَالَ: فَدَعَا اللَّهُ لَهُ، فَشَفَاهُ.

- * وفي الصحيحين ^(٢) من حديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ لمسلم من طريق عَبْدِ الْعَزِيزِ - وَهُوَ ابْنُ صُهَيْبٍ -، سَأَلَ قَتَادَةَ أَنَسًا، أَيُّ دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ؟ قَالَ: كَانَ أَكْثَرَ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».

(١) مسلم (مع النووي ١٧/١٣).

(٢) البخاري (حديث ٦٣٨٩)، ومسلم (حديث ٢٦٩٠).

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

قَالَ: وَكَانَ أَنَسُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا فِيهِ.

* **ومن صور الجهل**، ذلك الدعاء بما يجلب على النفس المشقة والتعب، كقول قوم سبأ: ﴿رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَصْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩].

وذلك أن الله سبحانه وتعالى، كان قد جعل لهم أماكن إيواء ومنازل ينزلونها واستراحات يستريحون فيها إذا أرادوا السفر إلى الأرض المباركة، فكلما شعروا بتعب في سفرهم وجدوا مكاناً للراحة يستريحون فيه، ويستجمعون كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾ [سبأ: ١٨]، وقد قدر الله هذه المسافات تقديرًا مناسبًا لمصالحهم ومصلح دوابهم حيث لا يجدون التعب إلا وجدوا مكاناً للراحة، كما قال: ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]، ولكنهم أرادوا تعباً ومشقة، وإرهاقاً، أرادوا أن تطول مسافات سفرهم ويحملوا الزاد، ويوقدوا النيران في الأسفار، ويجمعوا الحطب حتى يشعروا بلذة السفر - كما زعموا - فدعوا ربهم بقولهم: ﴿رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَصْفَارِنَا﴾ وظلموا أنفسهم بهذا الدعاء، كما قال تعالى: ﴿وَوَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ فشئت الله شملهم، وفرق الله جمعهم، وجعلهم أحاديث، يتحدث الناس بهم، ويعتبر بهم المعبرون، كما قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩].

* وكانت اليهود قبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة يستفتحون على الذين كفروا من الأوس والخزرج (قبل إسلام الأوس والخزرج) فيقولون - أي اليهود -: سيخرج نبي فنتبعه ونقتلكم، فلما جاءهم رسول الله كفروا به، وآمنت الأنصار، قال تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾.

[البقرة: ٨٩].



النهي عن تمني الموت

ومن صور الجهل في الدعاء، سرعة تمني الموت لضر في البدن أو ابتلاء في المال، وذلك لما في الصحيحين^(١)، من حديث أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنَّيًّا لِلْمَوْتِ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي».

* وفي الصحيحين، كذلك من طريق قيس، قَالَ: أَتَيْتُ خَبَّابًا، وَقَدْ اكْتَوَى سَبْعًا فِي بَطْنِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: لَوْلَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ^(٢).

* وعند البخاري^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «...وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، إِلَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ».

* وفي رواية لمسلم^(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّي أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا».

وقد يطرح هاهنا سؤال:

حاصله: قد ثبت عن رسول الله ﷺ النهي عن تمني الموت، فكيف يأمرهم بأمر، وقد نهى عنه في شريعته؟

وأقول بالله التوفيق بين يدي الجواب، فصورة تمني الموت الذي نهى عنه اليهود لأهل العلم فيها قولان:

أحدهما: اطلبوه من ربكم ﷻ واسألوه إياه.

(١) البخاري (مع الفتح ١١ / ١٥٠) ومسلم (مع النووي ١٧ / ٧).

(٢) البخاري (مع الفتح ١١ / ١٥٠) ومسلم (مع النووي ١٧ / ٨).

(٣) البخاري (حديث ٥٦٧٣).

(٤) مسلم (حديث ٢٦٨٢).

الثاني: ادعوا بالموت على الكاذب من الفريقين (منا نحن المسلمين، أو منكم أيُّها اليهود).

فعلى رأي من قال: إن المراد بقوله: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ [البقرة: ٩٤]، هو الدعاء على أي الفريقين أكذب كما في المباهلة فلا إشكال في الآية، ويكون معناها كالمعنى الموجود في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥]. أي: من كان منَّا ضالًّا فزاده الله ضلالاً إلى ضلاله.

أما على قول من قال: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾. أي: اطلبوه، واسألوه، فهذا على سبيل المحاجة، وإقامة البرهان على بطلان دعواهم، ثم إن نهي النبي ﷺ عن تمنِّي الموت ليس على إطلاقه، كما سيأتي في هذا السؤال وجوابه.



ومتى يجوز للشخص أن يتمنى الموت

* أما إذا خشي المسلم الفتنة في دينه، فله أن يتمنى الموت:

وعلى ذلك من الأدلة ما يلي:

* قول مريم عليها السلام؛ لما علمت أن الناس، سيقذفونها بالفاحشة؛ لكونها لم تكن ذات زوج، وقد حملت ووضعت: ﴿لَا تَتَّبِعُنِي مِنْ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾.

[مريم: ٢٣].

* وكذلك قول سحرة فرعون، لما قال لهم فرعون: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُسَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٤]. فقالوا: ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (١٢٥) وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْتَ أَمْ نَأْيَاكَ رَبَّنَا لَمَّا جَاءَ تَنَارُ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾

[الأعراف: ١٢٥، ١٢٦].

* وقد قال النبي ﷺ في مرض موته: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى»^(١).

* وأخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «... وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ»^(٢).

* وأخرج أحمد أيضًا بسند صحيح، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اِئْتِنَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: الْمَوْتُ، وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قِلَّةَ الْمَالِ، وَقِلَّةُ الْمَالِ أَقْلٌ لِلْحِسَابِ»^(٣).

* وقال نبي الله يوسف الصديق عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾

[يوسف: ١٠١].

(١) البخاري (حديث ٥٦٧٤)، ومسلم (حديث ٢٤٤٤).

(٢) أحمد في المسند (٥/ ٢٤٣).

(٣) أحمد (٥/ ٤٢٧).

صح عن قتادة^(١)، أنه قال: لما جمع شمله وأقرَّ عينه، وهو يومئذ مغموس في نعيم الدنيا وملكها ونضارتها فاشتاق إلى الصالحين قبله.

* وأخرج مالك في الموطأ^(٢)، بسندٍ صحيح إلى سعيد بن المسيب، قال: لما صدر عمر بن الخطاب من منى أناخ بالأبطح ثم كَوَّم كومة بطحاء مكة ثم طرح عليها رداءه واستلقى ثم مدَّ يديه إلى السماء، فقال: اللهم كَبِّرْتَ سَنِيَّ، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع، ولا مفرط، ثم قدم المدينة، فخطب الناس فقال: أيها الناس قد سنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً، وصَفَّ بإحدى يديه على الأخرى، ثم قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم أن يقول قائل: لا نجد حدَّين في كتاب الله، وقد رَجَمَ رسول الله ورجمنا، والذي نفسي بيده، لولا أن يقول: الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله لكتبتهما: ﴿الشيخ والشيخة فارجموهما البتَّة﴾ فإننا قد قرأناها.

قال مالك: قال يحيى بن سعيد، قال سعيد بن المسيب: فما انسلخ ذو الحجة حتى قُتِلَ عمرُ رضي الله عنه.



(١) عند الطبري (٤٨/١٣)، وإسناده حسن.

(٢) مالك في الموطأ (ص ٨٢٤)، وفي سماع سعيد من عمر خلاف.

وهل يدعو الشخص على نفسه لدفع تهمة وجهت

إليه إذا طلب منه ذلك

ابتداء فلا يجوز للشخص أن يدعو على نفسه إلا إذا طلب منه ذلك؛ لدفع ريبة، أو تهمة عنه، أو الجيء إلى ذلك لتقرير حق، أو لدحض باطل، جاز له ذلك.

ومن الأدلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّآ إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُرِضَ عَنْهُمَا اسْتَحْقَاقًا إِثْمًا فَأَخْرَجَ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَيْهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّآ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المائدة: ١٠٦، ١٠٧].

ومن الأدلة على ما ذكر، قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا ﴿٧٥﴾﴾ [مريم: ٧٥]. والمعنى: من كان منّا ضالًّا فزاده الله ضلالًا إلى ضلاله، أو ليمدّ الله له من العذاب مدًّا إذا أصرّ على كفره وضلاله، أي تعالوا ندعوا الله بذلك، والله أعلم.

ومن الأدلة على ذلك:

آيات الملاعنة: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَذَرُوهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

[النور: ٦-١٠].

هذه الآيات هي آيات الملاعنة، وأطلق عليها هذا الاسم لقول الزوج: علي لعنة الله إن كنت من الكاذبين.

لنزول هذه الآية سببان^(١):

أحدهما: ما أخرجه البخاري ومسلم^(٢) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: إنَّ عُوَيْمِرًا، أتى عاصم بن عديٍّ، وكان سيّد بني عجلان، فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً، فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ سل لي رسول الله ﷺ عن ذلك، فأتى عاصم النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، فكره رسول الله ﷺ المسائل، فسأله عويمر، فقال: إنَّ رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها، قال عويمر: والله لا أنتهي حتّى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك، فجاء عويمر، فقال: يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتلته فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك»، فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة بما سمى الله في كتابه فلا عنها، ثم قال: يا رسول الله، إن حبستها فقد ظلمتها فطلّقها، فكانت سنة لمن كان بعدهما في المتلاعنين، ثم قال رسول الله ﷺ: «انظروا، فإن جاءت به أسحم، أدعج العينين، عظيم الألتين، خدلج الساقين، فلا أحسب عويمراً إلا قد صدق عليها، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرّة، فلا أحسب عويمراً إلا قد كذب عليها»، فجاءت به على النعت الذي نعت به رسول الله ﷺ من تصديق عويمر، فكان بعد يُنسب إلى أمّه.

والآخر ما أخرجه البخاري^(٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما:

أن هلال بن أمية، قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك ابن سحماء، فقال النبي ﷺ:

(١) ويصح أن تتعدد أسباب النزول للآية الواحدة، فتحدث عدة وقائع وتنزل آية واحدة تبين حكم هذه

الوقائع، وانظر «الصحيح المسند من أسباب النزول» لشيخنا مقبل الوادعي رحمته الله، وانظر: ما قال

النووي في «شرح صحيح مسلم» (كتاب اللعان طبعة الشعب ص ٧١٣).

(٢) البخاري (حديث ٤٧٤٥)، ومسلم (حديث ١٤٩٢).

(٣) البخاري (٤٧٤٧).

«الْبَيِّنَةُ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ؟ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «الْبَيِّنَةُ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ» فَقَالَ هِلَالٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنِّي لَصَادِقٌ، فَلْيَنْزِلَنَّ اللَّهُ مَا يُبْرِئُ ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ [النور: ٦]، فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٩]، فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ هِلَالٌ فَشَهِدَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ» ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَفَوْهَا، وَقَالُوا: إِنَّهَا مُوجِبَةٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَفْصَحُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ، فَمَضَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبْصُرُوهَا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ، سَابَغَ الْأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَجَ السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لِشَرِّكَ ابْنِ سَحْمَاءَ»، فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ لَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ».

أما عن صيغة اللعان:

فقد ذهب فريق من أهل العلم إلى هذه الصيغة التي أخرجها الحاكم والبيهقي^(١)، من حديث ابن عباس رضيهما، قال: لَمَّا قَدَفَ هِلَالٌ بِنُ أُمِّيَّةَ امْرَأَتَهُ قِيلَ لَهُ: وَاللَّهِ لَيَحْدَنَّكَ

(١) الحاكم (٢/ ٣٠٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٩٥) وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

قلت: وفي إسناده أحمد بن كامل بن خلف القاضي، ترجمته في تاريخ بغداد (٤/ ٣٥٨) قال الخطيب في ترجمته: حدثني علي بن محمد بن نصر قال: سمعت حمزة بن يوسف يقول: سأل أبو سعد الإسماعيلي أبا الحسن الدارقطني عن أبي بكر أحمد بن كامل بن خلف القاضي فقال: كان متساهلاً، وربما حدث من حفظه بما ليس عنده في كتابه، وأهلكه العجب فإنه كان يختار ولا يضع لأحد من الأئمة أصلاً.

قلت: وباقي رجال الإسناد ثقات.

ولعل هذه التصرف في لفظ الأيمان من تصرف أحمد بن كامل بن خلف القاضي وذلك لقول الدارقطني: إنه كان متساهلاً وربما حدث من حفظه بما ليس عنده في كتابه. ولذلك فإننا لا نعول على صفة اليمين الواردة في هذا الحديث كثيراً، وأيضاً تلميذه الحاكم عنده بعض الأوهام. والله أعلم

فَتْهُ الدِّعَاءِ وَالْعَوْدَاتِ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَمَانِينَ جَلْدَةً قَالَ: اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَضْرِبَنِي ثَمَانِينَ ضَرْبَةً وَقَدْ عَلِمَ أَنِّي رَأَيْتُ حَتَّى اسْتَوْنَقْتُ وَسَمِعْتُ حَتَّى اسْتَبْنْتُ لَا وَاللَّهِ لَا يَضْرِبُنِي أَبَدًا ، فَزَلْتُ آيَةَ الْمُلَاعَنَةِ فَدَعَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَزَلَتِ الْآيَةُ فَقَالَ: «اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟» فَقَالَ هَلَالٌ: وَاللَّهِ إِنِّي لَصَادِقٌ ، فَقَالَ لَهُ: «أَحْلِفْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَصَادِقٌ» تَقُولُ ذَلِكَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَعَلَيَّ لَعْنَةُ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُفُوهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ فَإِنَّهَا مُوجِبَةٌ» فَحَلَفَ ثُمَّ قَالَتْ أَرْبَعًا: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَعَلَيْهَا غَضَبُ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُفُوهَا عِنْدَ الْخَامِسَةِ فَإِنَّهَا مُوجِبَةٌ» فَتَرَدَّدَتْ وَهَمَّتْ بِالْإِعْتِرَافِ ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَفْضَحُ قَوْمِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلُ أَدْعَجَ سَابِعِ الْأَلْيَتَيْنِ أَلْفَ الْفَخِذَيْنِ خَدْلَجِ السَّاقَيْنِ فَهُوَ لِلَّذِي رُمِيَ بِهِ، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَصْفَرُ قُضِيفًا سَبْطًا فَهُوَ لِهَلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ»، فَجَاءَتْ بِهِ عَلَى صِفَةِ الْبَغِيِّ.

وقال ابن قدامة في المغني^(١): وصفته (أي: اللعان) أن الإمام يبدأ بالزوج، فيقيمها، له: ويقول له: قل أربع مرات: أشهد بالله، إنني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي هذه من الزنا. ويشير إليها إن كانت حاضرة، ولا يحتاج مع الحضور والإشارة إلى نسبها وتسميتها، كما لا يحتاج إلى ذلك في سائر العقود، وإن كانت غائبة أسماها ونسبها، فقال: امرأتي فلانة بنت فلان. ويرفع في نسبها حتى ينفي المشاركة بينها وبين غيرها. فإذا شهد أربع مرات، وقفه الحاكم، وقال له: اتق الله، فإنها الموجهة، (عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة)، وكل شيء أهون من لعنة الله. ويأمر رجلاً فيضع يده على فيه، حتى لا يبادر بالخامسة قبل الموعظة، ثم يأمر الرجل، فيرسل يده عن فيه، فإن رآه يمضي في ذلك، قال له: قل: وإن لعنة الله علي إن كنت من الكاذبين فيما رميت به زوجتي هذه من الزنا.

(١) المغني (٧/ ٤٣٦).

ثم يأمر المرأة بالقيام، ويقول لها: قولي: أشهد بالله، أن زوجي هذا لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا. وتشير إليه، وإن كان غائباً أسمته ونسبته، فإذا كرّرت ذلك أربع مرات، وقفها، ووعظها كما ذكرنا في حق الزوج، ويأمر امرأة فتضع يدها على فيها، فإن رآها تمضي على ذلك، قال لها: قولي: وإن غضب الله علي إن كان زوجي هذا من الصادقين فيما رماني به من الزنا.

بينما ذهب بعض العلماء إلى العمل بظاهر الآية الكريمة، فقد استنبط أبو محمد ابن حزم ^(١) رحمه الله من قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٦ وَالْخَمْسَةُ أَنْ لَعْنَتْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٧ وَيَذُرُّوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ٨ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٩﴾ [النور: ٦-٩].

أن الملاءن يقول: بالله إني لمن الصادقين، بالله إني لمن الصادقين، بالله إني لمن الصادقين، بالله إني لمن الصادقين - هكذا يكرر. «بالله إني لمن الصادقين» أربع مرات. ثم يأمر الحاكم من يضع يده على فيه، ويقول له: إنها موجبة؟ فإن أبى، فإنه يقول: وعلي لعنة الله إن كنت من الكاذبين.

قال ابن حزم: «فإذا أتم هذا الكلام سقط عنه الحد لها، والذي رماها به، فإن لم يلتعن حدَّ حدِّ القذف، فإذا التعن كما ذكرنا، قيل لها: إن التعنت وإلا حُدِّدَتْ حدُّ الزنا، فتقول: بالله إنه لمن الكاذبين، بالله إنه لمن الكاذبين، بالله إنه لمن الكاذبين، بالله إنه لمن الكاذبين. ثم تقول: وعلي غضب الله، إن كان من الصادقين، ويأمر الحاكم من يوقفها عند الخامسة، ويخبرها بأنها موجبة لغضب الله تعالى». انتهى.

وَيُسْنُ أَنْ يُذَكَّرَ الْخَصْمَانِ بِاللَّهِ ﷻ لَمَّا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟!».

فَتْهُ الدِّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

ويشرع أن يستوقف المتلاعن قبل اليمين الخامسة، ويُذكر مرة أخرى؛ لما أخرجه أبو داود والنسائي^(١) بإسناد حسن، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ أمر رجلاً - حين أمر المتلاعنين أن يتلاعنا -، أن يضع يده على فيه عند الخامسة، ويقول: إنها موجبة.

ومن الأدلة، آيات المباهلة^(٢):

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٥٩ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ۝٦١ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٦٢ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران: ٦٠-٦٣].

آية المباهلة، هي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ...﴾ الآية.

ولما نزلت دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً^(٣) ولكن النصارى تخلفوا عن ذلك فلم تتم المباهلة بين رسول الله ﷺ وبين النصارى، فقد أخرج البخاري ومسلم^(٤)، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: جاء العاقب والسيد، صاحباً نجران، إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعنا، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً، فلا عنا لا نفلح نحن، ولا عقبنا من بعدنا، قال: إنا نعطيك ما سألتنا، وأبعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين»، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «قم يا أبا عبيدة بن

(١) أبو داود (حديث ٢٢٥٥)، والنسائي (١٧٥/٦).

(٢) المباهلة هي: الملاعنة، ونبتهل معناها: نلتعن، وأصل الابتهاال، الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (ص ١٨٧١)، في طرق حديث (٢٤٠٤).

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٢٤٢٠) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعاً.

الْجَرَّاحِ» فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ».

* وفي «المسند» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْكُعْبَةِ، لَا تَيْنَهُ حَتَّى أَطَأَ عَلَى عُنُقِهِ، قَالَ: فَقَالَ: «لَوْ فَعَلَ، لَا خَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عَيْنًا»، وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ، لَمَاتُوا، وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ مَالًا وَلَا أَهْلًا.

* وهل تجوز المباهلة بين المسلمين؟

* **وجوابه،** تجوز المباهلة بين المسلمين عند الضرورة القصوى^(١)، فاللعان مثلاً من صور المباهلة^(٢)، وإن لم يشابهها في كثير من الوجوه، وقد ورد أن ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعا خصومه من أهل البدع إلى المباهلة، ففي مقدمته «النونية»^(٣): وقد دعاهم إلى القيام بين الركن والمقام قياماً في مواقف الابتهاال حاسري الرؤوس، فسأل الله أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال... وظن المثبت والله أن القوم يجيبونه على هذا فوطن نفسه عليه غاية التوطين، وبات يحاسب نفسه، ويعرض ما يثبتته وينفيه على كلام رب العالمين، وعلى سنة خاتم الأنبياء والمرسلين، ويتجرد من كل هووى يخالف الوحي، ويهوي بصاحبه إلى أسفل السافلين.

* وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «زاد المعاد»^(٤) فِي فَقه قصة أهل نجران:

والسنة في مجادلة أهل الباطل، إذا قامت عليهم حجة الله، ولم يرجعوا؛ بل أصرُّوا على العناد، أن يدعوهم إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله، ولم

(١) كأن يكون هناك حق يبطل، وباطل يثبت، وقدم النصح والتذكير ولم يُجَدِّ وأقيمت الحجة وأزيلت الشبهة ولم ينفع ذلك أيضاً، فحينئذ تكون المباهلة لإثبات الحق، وإبطال الباطل.

(٢) وهو الدعاء باللعن على الكاذب، كما في سورة النور في الآيات التي فيها بيان حكم قذف الرجل لزوجته.

(٣) مقدمة النونية (١/ ١٤-١٥).

(٤) زاد المعاد (٣/ ٦٤٣).

يقول: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك، ودعا إليه ابن عمه، عبد الله بن عباس لمن أنكر عليه بعض مسائل الفروع، ولم ينكر عليه الصحابة، ودعا إليه الأوزاعي سفيان الثوري في مسألة رفع اليدين، ولم ينكر عليه ذلك، وهذا من تمام الحجة.

هذا، وقد ضَمَّ الأبناء والنساء في المباهلة؛ ليدل ذلك على ثقة المباهل بحاله واستيقانه بصدقه، حيث تجرأ على تعريض أعزته، وليدل ذلك أيضًا على ثقته بكذب خصمه، ولأجل أن يهلك خصمه مع أعزته جميعًا لو تمت المباهلة.



استحباب طلب الدعاء من أهل الفضل^(١)

ويستحبُّ للشخص، أن يطلب من أهل الفضل أن يدعوا له، وعلى ذلك جملة من الأدلة، فمن ذلك ما يلي:

* قول عمر رضي الله عنه لأويس: اسْتَغْفِرْ لِي، يا أويس، وذلك فيما أخرجه مسلم^(٢) في صحيحه من حديث أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ، فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ ابْنِ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فافْعَلْ». فَاسْتَغْفِرَ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوَافَقَ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، قَالَ: تَرَكَتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ، قَلِيلَ الْمَتَاعِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فافْعَلْ». فَاتَى أُوَيْسًا، فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرُ

(١) بَوَّبَ النووي في كتابه الأذكار بهذا الباب، وأردفه بقوله: وإن كان الطالب أفضل من المطلوب منه وقال: اعلم أن الأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تُحصَر، وهو مجمع عليه.

(٢) مسلم (ص ١٩٦٩).

فَتْهُ الدَّجَائِلُ وَالتَّعَوُّذَاتِ

لي، قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَغْفِرْ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ، قَالَ أُسَيْرٌ: وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً، فَكَانَ كُلَّمَا رَأَاهُ إِنْسَانٌ قَالَ: مِنْ أَيْنَ لَا وَيُسِ هَذِهِ الْبُرْدَةُ؟.

* وقول أم الدرداء رضي الله عنها لزواج ابنتها صفوان بن عبد الله بن صفوان: «ادْعُ الله لَنَا بِخَيْرٍ»، ففي صحيح مسلم ^(١) من حديث صفوان، وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ، قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ، فَاتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ، فَلَمْ أَجِدْهُ، وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ، فَقَالَتْ: أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ».

* وكذلك فقد قال الجبار لسارة عليها السلام: «ادْعُ الله لي وَلَا أَضُرَّكَ» ^(٢).

(١) مسلم (حديث ٢٧٣٣).

(٢) وذلك فيما أخرجه البخاري (٢٢١٧)، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. - والسباق لمسلم - أن رسول الله ﷺ قال: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ ﷺ، قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثُنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ، قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، وَوَاحِدَةً فِي شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ، إِنْ يَعْلَمُ أَنَّكَ امْرَأَتِي يَغْلِبُنِي عَلَيْكَ، فَإِنْ سَأَلَكَ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكَ أُخْتِي، فَإِنَّكَ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرِكَ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَأَاهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ. أَنَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضُكَ امْرَأَةً لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأَتَتْ بِهَا فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ لَمْ يَسْمَعْ أَنَّهُ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقَبِضَتْ يَدَهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضُرَّكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقَبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، فَلَكَ اللَّهُ أَنْ لَا أَضُرَّكَ، فَفَعَلَتْ، وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ، وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ، وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ، فَأَخْرَجَهَا مِنْ أَرْضِي، وَأَعْطَاهَا هَاجِرًا.

قَالَ: فَأَقْبَلْتُ تَمْشِي، فَلَمَّا رَأَاهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا: مَهَيْمَ؟ قَالَتْ: خَيْرًا، كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ، وَأَخَذَ خَادِمًا.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَلَغَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ.

* وفي الباب، حديث إسناده ضعيف، وإن كان صريحاً في بابه، وهو ما أخرجه أبو داود^(١) والترمذي وابن ماجه وغيرهم من حديث عمر رضي الله عنه قال: استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة، فأذن لي وقال: «لَا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ». فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا.

* وقد استسقى الصحابة بالعباس رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢).

* وقد وردت عدة وقائع طلب الصحابة رضي الله عنهم فيها الدعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) وطلبوا منه أن يستغفر لهم، ولكن ترد عليها دعوى الخصوصية فقد يقول قائل: هذا خاصُّ برسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]. وهذا قول قوي.

(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٦٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢٨٩٤) وفي بعض الروايات: «أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ فِي دُعَائِكَ».

قلت: وفي إسناده عاصم بن عبيد الله، وهو ضعيف، ولعل تصحيح الترمذي له لكون شعبة وسفيان قد روى هذا الحديث عن عاصم، والله أعلم.

(٢) أخرج البخاري (١٠١٠) من حديث أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون.

(٣) من ذلك ما أخرجه البخاري (٥٨١١)، ومسلم (٢١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةُ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ». فقام عكاشة بن محصن فقال: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُجْعَلَ لِي مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ...». الحديث.

* ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه: يا رسول الله استغفر لي. أخرجه البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (ص ١١١٣).

ومن ذلك ما أخرجه البخاري (٢٥٤٠) من حديث الجعيد بن عبد الرحمن قال: رأيت السائب بن يزيد ابن أربع وتسعين جلدًا مُعتدلاً، فقال: قد علمتُ ما مُتَّعت به سمعي وبصري إلا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن خالتي ذهبت بي إليه فقالت: يا رسول الله، إن ابن أختي شاك فادع الله له، قال: فدعا لي صلى الله عليه وسلم، وانظر مسلم (٢٣٤٥).

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

* وقد قال قوم موسى لموسى عليه السلام: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ في عدة مواطن منها:
 ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٦١]، و﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ
 عِنْدَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨].
 وقد يقول قائل بالخصوصية أيضاً؛ لكون موسى عليه السلام رسولاً، ولكن بضم الأدلة
 بعضها إلى بعض يظهر استحباب طلب الدعاء من أهل الفضل عموماً، وقد تقدم نقل
 كلام النووي في ذلك، والله أعلم.

* * *

هل يوافق كل من طلب الدعاء من شخص؟

ولا يجب إذا قال لك شخص: ادع الله لي بكذا وبكذا أن تدعو له، فقد طلب رجل
 من النبي ﷺ، أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فقال له
 رسول الله ﷺ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ»^(١).
 وقال عمر لرسول الله ﷺ: ادْعُ الله، يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يُوسِّعَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ، فَقَدْ وَسَّعَ
 عَلَيَّ فَارِسَ وَالرُّومَ، وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ الله^(٢). فلم يجب عمر إلى هذا الطلب.

* * *

(١) البخاري (حديث ٦٥٤٢)، ومسلم (حديث ٢١٦).

(٢) البخاري (٥١٩١)، ومسلم (حديث ١١١١).

منازعة الدعاء

وإذا كان هناك أمرٌ واحد يسأله شخصٌ ربه ﷻ، فهل لآخر أن يسأل ربه هذا الأمر، بمعنى: إذا كان هناك شخص يدعو ربه أن يكون إماماً لمسجد معين (والمسجد يحتاج إلى إمام واحد) فهل لشخص، أن يدعو ربه أن يكون إمام هذا المسجد؟! أو إذا كانت هناك فتاة حسنة؛ ذات دين ومنصب وجمال، وهناك بعض الفضلاء يريد الزواج بها، ويدعو ربه بذلك، فهل لشخص آخر أن يدعو ربه بالزواج من تلك الفتاة؟! **فنقول وبالله التوفيق:** إن الأمر يحتاج إلى شيء من التفصيل، ووجه هذا التفصيل أن المتقدم لهذا الأمر الذي يسأل ربه أن يمنحه إياه إذا كان كفؤاً لهذا الأمر فيكره لغيره أن يسأل ربه نفس السؤال، وذلك للآتي ذكره:

قول الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وقول النبي ﷺ^(١) لما صلى صلاة، وعرض له الشيطان فيها، فقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لِي فَشَدَّ عَلَيَّ لِيَقْطَعَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، فَأَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَذَعَّتُهُ وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُوثِقَهُ إِلَى سَارِيَةٍ حَتَّى تُصْبِحُوا، فَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ ﴿[ص: ٣٥] فَردَّ اللَّهُ خَاسِيًا».

ثم إن هذا، قد يدخل في نوع من الحسد، وهو تمنى زوال النعم عن الأشخاص. أما إذا لم يكن المتقدم والسائل لهذا الأمر كفؤاً، أو إذا كان سيضرّ بالعمل الذي يسأله فمثل هذا لا ينبغي أن يتقدم الشخص بالدعاء، فالله لا يحب الفساد. كذلك إذا كان المقام مقام تنافس في الخير فللشخص أن يسأل ربه مزيد الخير على الدوام، وأن يكون من السابقين إليه.



(١) أخرجه البخاري (حديث ١٢١٠).

مسألة القنوت في صلاة الفجر

فلأهل العلم في هذه المسألة جملة من الأقوال:

* أحدها: أنه مستحبٌ وسنة راتبة:

ومن أدلة هذا القول ما يلي:

الدليل الأول: ما أخرجه مسلم^(١)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْنُتُ فِي الصُّبْحِ، وَالْمَغْرِبِ». وفي رواية^(٢): «كَانَ يَقْنُتُ فِي الْفَجْرِ».

الدليل الثاني: حديث أنس رضي الله عنه وله عنه روايات، منها:

* رواية محمد بن سيرين^(٣) قَالَ: سُئِلَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: أَقْنَتَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الصُّبْحِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقِيلَ لَهُ: أَوْقَنْتَ قَبْلَ الرُّكُوعِ؟ قَالَ: «بَعْدَ الرُّكُوعِ يَسِيرًا».

* رواية أبي مجلز^(٤)، عن أنس قال: «قَنْتَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ الرُّكُوعِ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى رِغْلٍ، وَذُكُوانٍ، وَيَقُولُ: عُصِيَّةٌ عَصَتْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ».

* ونحوها رواية أنس بن سيرين^(٥) عن أنس، ورواية عبد العزيز بن صهيب، عن أنس ورواية عاصم الأحول عن أنس.

وتم روايات أخرى لحديث أنس هذا.

الدليل الثالث: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وفيه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ مِنَ الرُّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الْفَجْرِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا» بَعْدَ مَا يَقُولُ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنْ

(١) مسلم (حديث ٦٧٨).

(٢) أبو داود (حديث ١٤٤١)، وأحمد (٤ / ٣٠٠).

(٣) عند البخاري (حديث ١٠٠١)، ومسلم (ص ٤٦٨ ترتيب محمد فؤاد).

(٤) عند البخاري (حديث ١٠٠٣)، ومسلم (ص ٤٦٨).

(٥) عند مسلم (ص ٤٦٨-٤٦٩).

الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴿- إِلَى قَوْلِهِ-: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَلِمُوا﴾ [آل عمران: ١٢٨]. أخرجه البخاري (١).

الدليل الرابع: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ حِينَ يَفْرُغُ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنَ الْقِرَاءَةِ، وَيَكْبِّرُ وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»، ثُمَّ يَقُولُ، وَهُوَ قَائِمٌ: «اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرٍّ وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ كَسِنِي يُوسُفَ، اللَّهُمَّ الْعَنْ لِحْيَانَ، وَرِعْلًا، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ»، ثُمَّ بَلَّغْنَا أَنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ لَمَّا أُنْزِلَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. أخرجه البخاري (٢).

الدليل الخامس: حديث أنس رضي الله عنه، من طريق الربيع بن أنس، وفيه: «مَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْنُتُ فِي الْفَجْرِ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا» (٣).

وهو حديث ضعيف.

الدليل السادس: حديث ابن عباس رضي الله عنهما (٤) قَالَ: مَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْنُتُ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا.

وهو حديث ضعيف جدًا، ففي إسناده محمد بن مصبح بن هلقان، حدثنا أبي، وهو وأبوه مجهولان، وثم أنواع آخر من الضعف فيه.

وقد وردت بذلك جملة آثار عن بعض الصحابة رضي الله عنهم، وفيها أنهم كانوا يقنتون في صلاة الفجر، نورد منها ما يلي:

-
- (١) البخاري (حديث ٤٥٥٩).
- (٢) أخرجه مسلم (حديث ٦٧٥)، وانظر البخاري (مع الفتحة ٥٧٢/٢).
- (٣) وهذا الحديث ضعيف منكر، فهو من رواية أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، وأبو جعفر فيه بعض الكلام، وروايته عن الربيع بن أنس فيها مقال، والحديث أخرجه أحمد (٣/ ١٦٢)، والدارقطني (٢/ ٣٩)، وعبد الرزاق (٣/ ١١٠).
- (٤) أخرجه الدارقطني (٢/ ٤١)، وإسناده واهٍ.

* أثر عمر رضي الله عنه:

أخرجه عبد الرزاق ^(١) في «مصنفه» بإسناد صحيح، من طريق طَارِقِ بْنِ شَهَابٍ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، صَلَّى الصُّبْحَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْقِرَاءَةِ قَنَتَ، ثُمَّ كَبَّرَ حِينَ يَرْكَعُ.

* أثر ابن عباس رضي الله عنهما:

رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ^(٢) بإسناد صحيح من طريق أَبِي رَجَاءٍ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي مَسْجِدِ الْبَصْرَةِ، صَلَاةَ الْغَدَاةِ، فَقَنَتَ بِنَا قَبْلَ الرُّكُوعِ.

* أثر أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما:

رواه ابن أبي شيبة ^(٣) في «المصنف» من طريق الْعَوَّامِ بْنِ حَمْرَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عُثْمَانَ عَنِ الْقُنُوتِ؟ فَقَالَ: بَعْدَ الرُّكُوعِ، فَقُلْتُ: عَمَّنْ؟ فَقَالَ: عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَعُثْمَانَ.

* أثر علي رضي الله عنه:

رواه عبد الرزاق ^(٤) من طريق أبي عبد الرحمن السلمي أَنَّ عَلِيًّا كَبَّرَ حِينَ قَنَتَ فِي الْفَجْرِ، ثُمَّ كَبَّرَ حِينَ يَرْكَعُ.

ورواه الشافعي في الأم من طريق أبي عبد الرحمن السلمي أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه كَانَ يَقْنُتُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ قَبْلَ الرُّكُوعِ ^(٥).

وَتَمَّ آثَارُ آخَرٍ فِي هَذَا الْبَابِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ:

* ومن القائلين بمشروعية القنوت واستحبابه أيضًا في صلاة الصُّبْحِ: الإمام مالك، والإمام الشافعي -رحمهما الله- ^(٦). ونقله ابن عبد البر في الاستذكار أيضًا عن

(١) مصنف عبد الرزاق (٣/ ١٠٩) أثر رقم (٤٩٥٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٣١٢-٣١٣).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٣١٢).

(٤) رواه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ١٠٩) أثر رقم (٤٩٦٠).

(٥) الشافعي في الأم (٧/ ١٦٨).

(٦) انظر: المدونة لمالك، وانظر الأم للشافعي (٧/ ١٦٨)، وانظر: السنن والآثار للبيهقي (٢/ ٧٧)

وشرح الزرقاني للموطأ (١/ ٣٢٢).

ابن أبي ليلي، والإمام أحمد بن حنبل^(١)، وداود رحمهم الله.

القول الثاني: أنه يفعل عند الحاجة.

ومن أدلة هذا القول: أن النبي ﷺ قنت شهراً يدعو في صلاة الصبح على رعلٍ وذكوان، وعصية عصت الله ورسوله، وقد تقدم الحديث بذلك.

وفي هذا الباب أيضاً: حديث أنس رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَقْنُتُ إِلَّا إِذَا دَعَا لِقَوْمٍ أَوْ دَعَا عَلَى قَوْمٍ». أخرجه ابن خزيمة رحمه الله في صحيحه، وفي إسناده محمد بن محمد بن مرزوق، وفيه كلام^(٢).

ومن القائلين بهذا القول الإمام أحمد رحمه الله^(٣) كما عند ابن قدامة في «المغني»^(٤).

*** القول الثالث: وهو قول من قال: إن فعله حسن وتركه حسن.**

وبهذا قال بعض أهل العلم، كسفيان الثوري رحمه الله^(٥)، والطبري رحمه الله^(٦) وهو قول ابن حزم الظاهري أيضاً^(٧).

وحجة هذا القول أن النبي ﷺ قنت وترك القنوت أيضاً.

*** القول الرابع: أنه بدعة.**

(١) وللإمام أحمد رحمه الله قول آخر في هذا الباب، وسيأتي إن شاء الله.

(٢) من العلماء من وثقه، فقد نقل الحافظ توثيقه عن الخطيب، ومنهم من ضعفه كابن عدي في «الكامل»، وقد ورد عند ابن خزيمة (١/ ٣١٣) من طريق أبي داود الطيالسي، عن إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: «كان لا يقنت إلا أن يدعو لأحد أو يدعو على أحد». وقد خالف الجماعة الذين روه عن إبراهيم بن سعد، خالفوا الطيالسي، فرووه بدون هذا التقييد، روه بلفظ: «إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع».

(٣) وقد تقدم للإمام أحمد قول آخر في الباب الذي قبله.

(٤) المغني (٢/ ١٥٥).

(٥) فقد صح عنه كما في المصنف لابن أبي شيبة (٢/ ٣١٢) أنه قال: من قنت فحسن، ومن لم يقنت فحسن.

(٦) كما في تهذيب الآثار (١/ ٣٨٧).

(٧) كما في المحلى (٤/ ١٤٣).

ومن حجج هذا القول، ما أخرجه الترمذي في جامعه^(١)، من طريق أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَةَ! إِنَّكَ قَدْ صَلَّيْتَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، هَاهُنَا بِالْكُوفَةِ نَحْنُ مِنْ خَمْسِ سِنِينَ، أَكَاثُورًا يَفْتَتُونَ؟، قَالَ: أَيُّ بَنِي مُحَدَّثٍ؟ وإسناده صحيح^(٢).

وتم أدلة أخرى وفيها ضعف.

* أما الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم، فقد روى عبد الرزاق^(٣) بإسناد صحيح، عَنْ أَبِي الشَّعْثَاءِ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ عَنِ الْقُنُوتِ فِي الْفَجْرِ، فَقَالَ: مَا شَعُرْتُ أَنَّ أَحَدًا يَفْعَلُهُ.

وكذلك صحَّ، عن ابن مسعود أنه كان لا يقنت في صلاة الفجر^(٤).

وممن قال بهذا القول أبو حنيفة رحمته الله وطائفة من أهل العرق.

وبعد إيراد هذه الأقوال، وإيضاح وجهات العلماء ومنشأ آرائهم نرى أن لكل عالم وجهته واستدلالاته، وإن كانت بعض الوجهات أرجح من بعض، وبعض الاستدلالات أقوى من الأخرى، إلا أننا نرى أن من تبنى رأياً من هؤلاء العلماء لم ينشؤه من فراغ، ولم يقل به عن هوى، وإنما هو ما أداه إليه اجتهاده، وهو مأجور على كل حال، مصيباً كان أو مخطئاً، ما دام الاجتهاد شأنه، والانتصار للدليل سبيله، وتقوى الله زاده، وتحري سنة رسول الله ﷺ والعمل بها شعاره.

فلا ينبغي لشخص رأى رأياً، أن يبالغ في التشنيع على مَنْ رأى الرأي الآخر، وإنما له أن يوضح رأيه بأدلته، ويتنصر له بالحق والعدل والإنصاف، مع البعد عن الهوى والتقليد والعصبية، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) جامع الترمذي (٢/ ٢٥٢).

(٢) إلا أن للعقيلي كلاماً فيه (انظر: الضعفاء للعقيلي ٢/ ١١٩)، وأجيب عن الاستدلال بهذا الحديث أن

من علم حجة على مَنْ لم يعلم.

(٣) عبد الرزاق في المصنف (٤٩٥٤).

(٤) عبد الرزاق في المصنف (٤٩٤٩).

تعليق الدعاء

وتعليق الدعاء، هل هو مشروع، أم غير مشروع، ومن صور ذلك على سبيل المثال شخص مريض، وكما هو معلوم، فالمريض يؤجر على مرضه، حتى على الشوكة يشاكها، ما دام صابراً محتسباً، فهل يدعو هذا المريض لنفسه بالشفاء، قائلاً: اللهم اشفني، أم يُعَلَّقُ، فيقول: اللهم إن كان في شفائي خير فاشفني، وكذلك إذا أراد شخص الزواج، هل يقول: اللهم زوّجني أم يقول: اللهم إن كان في زواجي خير فزوّجني!

وهكذا في سائر الصور فنقول وبالله التوفيق:

إن أكثر الدعوات التي وقفنا عليها في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ دعوات مجزوم بها ليس فيها تعليق إلا في القليل النادر، فعلى سبيل المثال لا الحصر، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦]. لم يقل: إن كان في الرزق خير فارزقهم وإلا فامنعهم.

وكذلك قال عيسى عليه السلام: ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤]، وقال سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

[ص: ٣٥].

وقال نبينا محمد ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»^(١).

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي»^(٢).

إلى غير ذلك من الأدعية المتكاثرة جداً، فليس فيها تعليق للدعاء؛ بل ينظر الشخص إلى ما يراه صالحاً فيدعو الله به ما لم يكن فيه إثم ولا قطيعة رحم.

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) صحيح، وقد تقدم.

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

وقد قال النبي ﷺ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ، فَلْيُعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، وَلَا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرَهَ لَهُ»^(١).

وفي رواية: «إِذَا دَعَوْتُمُ اللَّهَ، فَاعْزِمُوا فِي الدُّعَاءِ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرَهَ لَهُ»^(٢).

*** أما المواطن التي ورد فيها تعليق الدعاء:**

فمنها على سبيل المثال: دعاء الاستخارة ففيه: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَأَقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ». وسيأتي هذا الحديث بتمامه إن شاء الله.

فنقول، وبالله التوفيق: إن التعليق هنا فيما يبدو لي، والله تعالى أعلم، لا يتعلق بأصل الزواج، إذ أن أصل الزواج مستحبٌ للأدلة الواردة في ذلك، ولكن الاستخارة تتعلق بمن سيتزوجها الشخص، وإن كانت الاستخارة في أصل الزواج قد تتأتى أيضاً في حق من يستوي الزواج في حقهم مع عدمه، كامرأة ثيب تقوم على أيتام يمكنها أن تصبر عن الزواج، ولكن لها رغبة في التعفف.

أما الشاب الممتلى حرارة والتواق إلى النساء فيستخير الله في الفتاة التي يتزوجها، ولكن على كل حال فالتعليق في الدعاء، ورد في الاستخارة.

وورد كذلك في الدعاء على النفس بالموت، ففي الحديث: «أَخِينِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي».

فأما أن نقول: تقتصر في التعليق -تعليق الدعاء- على المواطن التي علق فيها

(١) مسلم (مع النووي ٦/١٧)، والبخاري (مع الفتح ١١/١٣٩).

(٢) البخاري (مع الفتح ١٣/٤٤٥)، ومسلم (٦/١٧).

رسول الله ﷺ دعاءه.

وإما أن نقول: إن التعليق يتأتى في المواطن التي تستوي فيها الأوجه، ولا يترجح في نظر الشخص وجه من الوجوه فيها، والله تعالى أعلم.



دعاء الاستخارة

* أخرج البخاري ^(١) حديث الاستخارة، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: وفيه: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ بِالْأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ، مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أُمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ».

* وقد استخارت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها عندما تقدّم لها رسول الله ﷺ، وها هو الحديث بذلك. ^(٢)

* أخرج الإمام مسلم ^(٣) في صحيحه، من حديث أنس، وهذا حديث بهز، قال: لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَزَيْنَبَ: «فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ»، قَالَ: فَانْطَلَقَ زَيْنَبُ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمْتُ فِي صَدْرِي، حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَهَا، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي، وَنَكَصْتُ عَلَى عَقْبِي، فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ: أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُكَ. قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا،

(١) البخاري (حديث ٦٣٨٢)، وقد توسعت في تخريجه، والكلام على إسناده في كتابي «جامع أحكام النساء» (٣/ ٢١٦) فليراجعه من شاء.

(٢) وتصوري لاستخارتها لكونها قد لا تؤدي لرسول الله ﷺ حقّه فيتضاعف الإثم في حقها.

(٣) مسلم (٣/ ٥٩٦).

وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ، قَالَ، فَقَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ، فَخَرَجَ النَّاسُ وَبَقِيَ رَجُلٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاتَّبَعْتُهُ، فَجَعَلَ يَتَّبِعُ حُجْرَةَ نِسَائِهِ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ، وَيَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ قَالَ: فَمَا أَذْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ، أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبَرْنِي، قَالَ: فَاَنْطَلِقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، فَذَهَبْتُ أَذْخُلُ مَعَهُ، فَأَلْقَى السُّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَنَزَلَ الْحِجَابُ، قَالَ: وَوَعِظَ الْقَوْمَ بِمَا وَعِظُوا بِهِ.

والاستخارة دعاءً، فلا مانع من تكرارها، وما هو ابن الزبير يستخير ربه ثلاثاً:

* أخرج مسلم ^(١)، من طريق عطاء، قَالَ: لَمَّا اخْتَرَقَ الْبَيْتُ، زَمَنَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، حِينَ غَزَاهَا أَهْلُ الشَّامِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، تَرَكَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ؛ حَتَّى قَدِمَ النَّاسُ الْمَوْسِمَ. يُرِيدُ أَنْ يُجَرِّثَهُمْ (أَوْ يُحَرِّثَهُمْ) عَلَى أَهْلِ الشَّامِ، فَلَمَّا صَدَرَ النَّاسُ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي الْكَعْبَةِ، أَنْقُضْهَا، ثُمَّ أَبْنِي بِنَاءَهَا أَوْ أَصْلِحْ مَا وَهَى مِنْهَا؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَإِنِّي قَدْ فُرِقَ لِي رَأْيِي فِيهَا، أَرَى أَنْ تُصْلِحَ مَا وَهَى مِنْهَا، وَتَدَعَ بَيْتًا أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَأَحْجَارًا أَسْلَمَ النَّاسُ عَلَيْهَا، وَبُعِثَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: لَوْ كَانَ أَحَدُكُمْ اخْتَرَقَ بَيْتَهُ، مَا رَضِي حَتَّى يُجِدَّهُ، فَكَيْفَ بَيْتُ رَبِّكُمْ؟ إِنِّي مُسْتَخِيرُ رَبِّي ثَلَاثًا، ثُمَّ عَازِمٌ عَلَى أَمْرِي، فَلَمَّا مَضَى الثَّلَاثُ أَجْمَعَ رَأْيَهُ عَلَى أَنْ يَنْقُضَهَا، فَتَحَامَاهُ النَّاسُ أَنْ يَنْزِلَ بِأَوَّلِ النَّاسِ يَصْعَدُ فِيهِ، أَمْرٌ مِنَ السَّمَاءِ، حَتَّى صَعِدَهُ رَجُلٌ، فَأَلْقَى مِنْهُ حِجَارَةً، فَلَمَّا لَمْ يَرَهُ النَّاسُ أَصَابَهُ شَيْءٌ تَتَابَعُوا فَتَقَضُّوهُ حَتَّى بَلَغُوا بِهِ الْأَرْضَ، فَجَعَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَعْمَدَةً، فَسَرَّ عَلَيْهَا السُّتُورَ حَتَّى ارْتَفَعَ بِنَاؤُهُ.

وهذه فوائد تتعلق بمسألة الاستخارة:

* صلاة الاستخارة مستحبة، وليست بواجبة: ودليل ذلك قول النبي ﷺ: «إِذَا

(١) مسلم (ص ٩٧٠).

هَمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ بِالْأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ، مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ...»، ولقول النبي ﷺ للأعرابي لما قال له: خمس صلوات في اليوم والليلة فقال الأعرابي: هل عليّ غيرها؟ قال: «لا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ».

*** على ذلك:** يجوز أن تكون الاستخارة بعد ركعتي تحية المسجد، أو بعد نافلة الصبح، أو الظهر، أو العصر، أو المغرب، أو العشاء، أو بعد صلاة الليل، أو الضحى، أو غير ذلك، وذلك إن نوى أن يستخير عقب تلك الصلوات.

*** والاستخارة إنما تكون في المباحات، ولا تكون في المستحبات، ولا الواجبات، وكذلك لا تكون في المكروهات، ولا المحرمات.** فلا يستخير رجلٌ مثلاً كي يصلي الظهر، ولا لأن يصلي نافلة الظهر، ولا يستخير لصوم رمضان، ولا لصوم الاثنين والخميس، ونحو ذلك، وكذلك لا يستخير للشرب قائماً، ولا يستخير كي يسرق.

ولا يستخير في أصل الزواج؛ لأن الله ﷻ أمر بالزواج، فقال: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَنَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: ٣٢]. وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ» ولكن إن استخار في أمر الزواج يستخير في التي يتزوجها، ويستخير في وقت الزواج، وأهل العروس ونحو ذلك. وكذلك يُستخار في الواجبات التي وقتها موسع (كالحج عند من يرى أنه يجب على التراخي) وهذا عند بعض أهل العلم بمعنى أنه يستخير هل يحج هذا العام أو الذي يليه.

*** وكذلك يجوز أن يستخار في المستحبات عند تواردها وتعارضها، فمثلاً أراد رجل أن يتطوع بعمرة، وبدا له أن يذهب لمكان آخر لتعلم العلم الشرعي لخدمة دينه وأهل بلده، فيجوز له حينئذ أن يستخير، والله تعالى أعلم.**

وإنما قيدنا بهذه التقييدات مع قول جابر رضي الله عنه: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا

الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا؛ لأنه لم يرد لنا أن النبي ﷺ استخار في واجب، أو مستحب، أو مكروه، أو محرم؛ بل وفي بعض المباح لم يرد لنا أن النبي ﷺ استخار فيه، ففي قصة زواجه ﷺ من جويرية بنت الحارث لم يرد لنا أنه عليه الصلاة والسلام استخار، وكذلك في حديث الواهبة قال له صاحبه: إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها يا رسول الله، إلى غير ذلك من الوقائع، وأيضاً (لفظ كل) قد لا يفيد العموم في بعض الأحيان، كما في قول الله تبارك وتعالى: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥]. وفي قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]. وفي قول عائشة رضي الله عنها: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ) مع قولها: (مَا صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهْرًا كَامِلًا غَيْرَ رَمَضَانَ).

* ثم إن دعاء الاستخارة، إنما يكون بعد الصلاة، وليس بداخلها؛ وذلك لقول النبي ﷺ: «فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ، مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ.. الحديث».

ولا أعلم مستنداً صحيحاً؛ لمن قال: إنه في السجود، أو عقب التشهد، إلا العمومات التي تفيد أن السجود وبعد التشهد مواطن دعاء، ولكن النص في دعاء الاستخارة، صريح في كون الدعاء عقب الصلاة.

* وقال بعض أهل العلم: إنه يقرأ في الأولى، من ركعتي الاستخارة، بـ: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وفي الثانية بـ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ولا أعلم لهم مستنداً على ذلك؛ بل أراهم تحجروا واسعاً.

* وقال البعض أيضاً: إنه يصلي على النبي ﷺ، ويحمد الله ﷻ، بين يدي الاستخارة وعقبها، ولم أقف على شيء ثابت في هذا، بشأن دعاء الاستخارة، والصلاة التي تقدمت دعاء الاستخارة، قد تقدمت دعاء الاستخارة، قد تضمنت

حمداً لله، وصلاة وسلاماً على رسول الله ﷺ.

* والاستخارة، إنما تكون إذا أراد أحدٌ أمراً من الأمور، وليست في كل الخواطر التي تخطر على البال، فالخواطر تخطر، ولا تستمر، ورسول الله ﷺ، لم يرد عنه أن استخار في الخواطر التي تخطر، وقد قال في الحديث: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ». إذ لو استخار الشخص في كل الخواطر لضاعت عليه أوقاته.

* ودائماً نراعي، أن يكون نصب أعيننا فعل النبي ﷺ مع قوله ﷺ فأفعاله تفسر أقواله، وكذلك أفعال أصحابه ﷺ تُفسر قوله عليه الصلاة والسلام، إذ هم خير الناس، وخير القرون، وأفهم الناس لمراد نبيهم ﷺ، إذ هو عليه الصلاة والسلام، قد بُعث فيهم، وقد خرج نبينا ﷺ لأعمالٍ برِّ كثيرة، كعبادة مرضى، وإجابة دعوة، وزيارة قبر، ووصل رحم، وقضاء حوائج المسلمين، وإصلاح بين الناس، ... ولم يرد أنه ﷺ استخار في شيء من ذلك.

* وكذلك إذا تمكن الأمر من شخص، فرغب في أمرٍ من المباحات رغبة تامة، وجاء يستخير في الأمر، عليه أن يضمَّ إلى الاستخارة بحث الأمر من جوانبه المتعلقة به، واستشارة أهل الرأي والدين في أمره خشية أن تكون الاستخارة تحصيل حاصل.

* **وعليه**، أن يخلص الله ﷻ في دعاء الاستخارة، كما يخلص الله ﷻ في سائر الدعوات، فإن الله ﷻ يقول: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]. والدعاء عبادة، ويقول الله سبحانه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. إلى غير ذلك من الآيات.

* ولا بأس بتكرار^(١) صلاة الاستخارة، إذ الغرض منها الدعاء، والإكثار من

(١) وقد ورد في الباب حديث: «إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَاسْتَخِرْ رَبَّكَ سَبْعًا، ثُمَّ انْظُرْ إِلَى الَّذِي يَسْبِقُ فِي قَلْبِكَ، فَإِنْ

الدعاء مستحبٌ، والنبى ﷺ سحر فدعا ودعا ودعا، وكان يقول في صلاة الاستسقاء: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا». ودعا النبى ﷺ يوم بدر؛ حتى سقط رداؤه عن منكبيه إلى غير ذلك.

* وليس في حديث الاستخارة، أن الشخص يرى رؤيا عقبها، أو لا يرى، أو ينشرح صدره، أو لا ينشرح، ولم أقف عليها في حديث صحيح. فقد يرى الشخص رؤيا، وقد لا يرى، وقد ينشرح الصدر، وقد لا ينشرح، وقد يرى رؤيا وتكون حديثاً للنفس. فمثلاً رجل مولعٌ بامرأة فتكثر رؤياه فيها، فيتصور أن كل ما يرد في شأنها إنما هو من الله من المبشرات، ولكن قد لا تكون من الله، وتكون حديثاً للنفس، ومن المعلوم أن الرؤيا على ثلاثة أقسام: رؤيا من الله، وحديث للنفس، وتخويف من الشيطان.

وعلى كلٍّ، فالاستخارة عبادة يؤديها الشخص، ويطمئن قلبه بعدها، إذ هي ذكرٌ لله، وبذكر الله تطمئن القلوب. فعلى أي الوجوه جاء الأمر (سواء الذي يحبه الشخص أو الذي يكره) عليه أن يكون راضياً بقدر الله.

وهناك أمور بدهية، لا تحتاج إلى استخارة، فإذا تقدم لامرأة رجل خمار، أو فاسق من الفساق، أو مفرط في دين الله، فعليها أن ترفضه ابتداءً، وهذا ليس فيه استخارة، وكذلك لا يعتمد رجل إلى الاستخارة للزواج من امرأة فاسقة، والله تعالى أعلم.



التراجع عن الدعاء

- * قد يدعو العبد، بدعوة في وقت غضب وانفعال وتوتر، وهو لا يرضى عن مثل هذه الدعوة، ولا يحب إجابتها في وقت هدوئه واستقراره وطمأنينة قلبه.
- * وقد يدعو الشخص أيضًا بدعوة يراها صوابًا، ويرى وجه المنفعة من وراء إجابتها، ثم يتبين له أنها خطأ، وليس ثمَّ منفعة ظاهرة من وراء إجابتها.
- * وقد يدعو الشخص بدعوة فيها إثم وقطيعة رحم.
- * وقد يُظلم شخص، ويتألم من الظلم، فيدعو على من ظلمه، ثم بعد زمن يتبين له أن العفو أولى.
- * وقد يدعو الشخص بدعوة لقلّة علمه، فيتبين له بعد تعلمه أنها ليست صوابًا.
- ولأننا بشرٌ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، وقال ﷺ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]. وقال: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]. فلضعفنا، وقصور عقولنا، وقلة علمنا، وتعجلنا وقلة صبرنا تصدر منا دعوات لا نرتضيها بعد صدورنا منها، فقد يدعو الشخص على نفسه وأهله وماله وولده، وهو لا يحب بحال أن يستجاب فيه ما دعا لنفسه به.
- * وقد يضايق الولد والدته، فتصب عليه كمًّا هائلًا من الدعوات لو استجيبت دعوةٌ منها لدُمّرت عليه حياته، ولفسدت عليه أخراه.
- وصحيح أننا نُهين عن الدعاء على أنفسنا، وعلى أولادنا، وعلى أهلينا وأموالنا، وذلك خشية أن يوافق دعاؤنا ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فيستجاب لنا، كما قال النبي ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ،

لَا تُؤَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عِطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ^(١).

* ولكن هب أن الدعوة صدرت منا وبدا لنا أن نتراجع عنها فهل لنا ذلك؟

فنقول ابتداءً، وبالله التوفيق: إن ربنا سبحانه وتعالى حلیم ورحیم، وقد قال سبحانه: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾.

[الإسراء: ٢٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ [يونس: ١١].

وهذه الآية الكريمة، قال فيها كثير من أهل العلم، ما حاصله: إن الناس عند الغضب والضجر، قد يدعون على أنفسهم وأهليهم وأولادهم بالموت، وتعجيل البلاء، كما يدعون بالرزق والرحمة والصحة والعافية في أوقات الرخاء، فلو عجل الله لهم الإجابة بالشر الذي سألوه، واستعجلوه به، كما يعجل لهم الخير لهلكوا، ولكنه سبحانه حلیم يرفق بهم ويرحمهم.

* ونحو هذه الآية وفي معناها أيضًا، قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

ويدخل في معناها أيضًا، أن الله لو عجل للكافرين ما سألوه به، واستعجلوه به، كما في قولهم: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَاهُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وكما قالوا: ﴿رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾. [ص: ١١].

وكما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [العنكبوت: ٥٣]. ونحو ذلك.

فلو أجابهم الله إلى ما سألوه لأهلكهم وأماتهم جميعًا، ومن ثم أدخلهم النار.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، من حديث جابر الطويل (ج ١٨/ ١٣٩ مع النووي).

فَتْهُ الدِّعَاءُ وَالتَّعَوُّذَاتِ

* ثم أقول جواباً على السؤال المطروح: نعم، لنا أن نرجع عن دعائنا إذا تبين لنا وجه الخطأ فيه؛ بل ويستحب لنا ذلك؛ بل وقد يجب علينا ذلك في بعض الأحيان، وهاهي بعض الأدلة على ذلك، والله المستعان.

* نبي الله نوح عليه السلام يدعو ربه فيقول: ﴿رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، فيقول الله سبحانه: ﴿يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتْلَنَّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]. فحينئذ يراجع عن دعائه الأول، فيقول: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

* ونبي الله إبراهيم عليه السلام يسأل المغفرة لأبيه، ثم يراجع بعد ذلك لعلمه أن والده من المشركين، فيقول أولاً: ﴿وَاعْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٤١]. ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

* ونبي الله موسى عليه السلام، يقول: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. فيقول الله سبحانه وتعالى له: ﴿لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. فتأب إلى الله من قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾.

* وكذلك يدعو لقومه لما قالوا له: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيَن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لِنُؤْمِنَ لَكَ وَلَتُرْسِلَنَّ مَعَكُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، فلما كشف الله عنهم الرجز، ونكثوا دعا عليهم بقوله: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

* ونبينا محمد عليه السلام، يقول: «اللَّهُمَّ إِنَّمَا مُحَمَّدٌ بَشَرٌ، يَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ،

وَإِنِّي قَدْ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ، أَوْ شَتَمْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ كَفَّارَةً، وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

* ولما دعا على المشركين، بقوله: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسَنِي يَوْسُفَ»؛ فشدد الله عليهم فأتوه يسألونه أن يدعو ربه، فدعا لهم رسول الله ﷺ بعد أن دعا عليهم، وها هو الحديث بذلك:

* أخرج البخاري ومسلم^(٢) - والسياق لمسلم - من طريق مسروق، قال: جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: تَرَكْتُ فِي الْمَسْجِدِ رَجُلًا يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ يُفَسِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]. قَالَ: يَأْتِي النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دُخَانٌ، فَيَأْخُذُ بِأَنْفُسِهِمْ؛ حَتَّى يَأْخُذَهُمْ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنْ فِیهِ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ: اللَّهُ أَعْلَمُ، إِنَّمَا كَانَ هَذَا، أَنْ قُرِئَ لَمَّا اسْتَعْصَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسَنِي يَوْسُفَ، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةَ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ، وَحَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ، فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ لِمُضَرٍّ، فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، فَقَالَ: «لِمُضَرٍّ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ» قَالَ: فَدَعَا اللَّهُ لَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥]، قَالَ: فَمُطِرُوا، فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الرَّفَافِيَةُ، قَالَ: عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ ١٠ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ [الدخان: ١٠، ١١].

﴿يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]، قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ.

* وفي لفظ لمسلم أيضًا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا، فَقَالَ:

(١) بهذا اللفظ عند مسلم (ص ٢٠٠٨).

(٢) البخاري (مختصرًا ١٠٢٠)، ومسلم (ص ٢١٥٦ - ٢١٥٧) حديث (٢٧٩٨).

فَتْهُ الدُّخَانِ وَالْجُودِ

«اللَّهُمَّ سَبْعُ كَسْبَعِ يُوسُفَ» قَالَ: فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ^(١) كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ مِنَ الْجُوعِ، وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ أَحَدُهُمْ، فَيَرَى كَهَيْئَةَ الدُّخَانِ، فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ جِئْتَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَبِصَلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ لَهُمْ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ^(١٠) يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾. قَالَ: أَفَيُكْشَفُ عَذَابُ الْآخِرَةِ؟^(٢) ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٠ - ١٦]، فَالْبَطْشَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ، وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ^(٣)، وَآيَةُ الرُّومِ^(٤).

* ولما دفع قومٌ عن حوضه ﷺ يوم القيامة يقول: «يَا رَبِّ أَصْحَابِي، أَصْحَابِي، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدَاكَ». فيتراجع عن الدعاء، وهما هو الحديث بذلك.

* أخرج البخاري^(٥) من حديث ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةَ غُرَاةٍ غُرْلًا، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ثُمَّ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، أَلَا إِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدَاكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ

(١) (حصت): أي استأصلته.

(٢) (أفيكشف عذاب الآخرة): هذا استفهام إنكار على من يقول: إن الدخان يكون يوم القيامة، كما صرح به في الرواية الثانية، فقال ابن مسعود: هذا قول باطل. لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾. ومعلوم أن كشف العذاب، ثم عودهم لا يكون في الآخرة. وإنما هو في الدنيا.

(٣) (واللزام): المراد به قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾. أي: يكون عذابهم لازماً. قالوا: وهو ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر، وهي البطشة الكبرى.

(٤) (وآية الروم): المراد به قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾^(١) فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ وقد مضت غلبة الروم على فارس يوم الحديبية. (نقلاً عن حاشية مسلم).

(٥) البخاري (٤٧٤٠).

﴿شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]، فيقال: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتُهُمْ». * وأيضاً فأبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول لأضيافه ساعة غضب: كلوا لا هنيئاً. ثم يتراجع بعد ذلك.

* أخرج البخاري ومسلم^(١) من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ، كَانُوا نَاسًا فَقَرَاءً، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ مَرَّةً: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ اثْنَيْنِ فَلْيُذْهِبْ بِثَلَاثَةٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ أَرْبَعَةٍ فَلْيُذْهِبْ بِخَامِسٍ، بِسَادِسٍ» أَوْ كَمَا قَالَ: وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلَاثَةٍ، وَانْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ بِعَشْرَةٍ، وَأَبُو بَكْرٍ بِثَلَاثَةٍ، قَالَ: فَهُوَ وَأَنَا وَأَبِي وَأُمِّي - وَلَا أَذْرِي هَلْ قَالَ: وَامْرَأَتِي وَخَادِمٌ بَيْنَ بَيْتِنَا وَبَيْتِ أَبِي بَكْرٍ - قَالَ: وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صُلِّيَتِ الْعِشَاءُ. ثُمَّ رَجَعَ، فَلَبِثَ حَتَّى نَعَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ - أَوْ قَالَتْ: ضَيْفِكَ؟ - قَالَ: أَوْ مَا عَشَيْتُهُمْ؟ قَالَتْ: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ، قَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ فَعَلَبُواهُمْ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ، وَقَالَ: يَا غُنْثَرُ! فَجَدَّعَ وَسَبَّ، وَقَالَ: كُلُوا لَا هَنِيئاً، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَطْعَمُهُ أَبَدًا.

قَالَ: فَإِمُّمُ اللَّهِ، مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلَّا رَبًّا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، قَالَ: حَتَّى شَبِعْنَا وَصَارَتْ أَكْثَرُ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ، فَإِذَا هِيَ كَمَا هِيَ أَوْ أَكْثَرُ، قَالَ لِامْرَأَتِهِ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ مَا هَذَا؟ قَالَتْ: لَا، وَفَرَّةٌ عَيْنِي، لَهِيَ الْآنَ أَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِثَلَاثِ مِرَارٍ، قَالَ: فَأَكَلَ مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ - يَعْنِي يَمِينَهُ -، ثُمَّ أَكَلَ مِنْهَا لُقْمَةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ، قَالَ: وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَقْدٌ، فَمَضَى الْأَجَلَ، فَفَرَقْنَا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ، اللَّهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ. إِلَّا أَنَّهُ بَعَثَ مَعَهُمْ فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ، أَوْ كَمَا قَالَ.

(١) البخاري (٦١٤٠، ٦١٤١)، ومسلم (٢٠٥٧) واللفظ لمسلم.

بل ويجوز الاستدراك على دعاء الآخرين كذلك:

فإذا دعا شخص بدعوة، ورأيت أن فيها خطأ، فيجوز لك، وقد يستحب، وقد يجب أيضًا أن تدعو الله بآلا يستجاب من هذا الداعي دعاؤه.

ومن الأدلة على الاستدراك على دعاء الآخرين:

* ففي الصحيحين ^(١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ...» فذكر الحديث، وفيه: «وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ ^(٢)، وَشَارَةً ^(٣) حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ النَّدَى، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَنِي مِثْلَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْضَعُ».

قَالَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَخْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةِ فِي فَمِهِ. فَجَعَلَ يَمْصُهَا، قَالَ: وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ: زَنَيْتَ، سَرَقْتَ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا. فَتَرَكَ الرَّضَاعَ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. فَهَذَا تَرَاجَعَا الْحَدِيثَ ^(٤)، فَقَالَتْ: حَلَقَى ^(٥) مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهِذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ زَنَيْتَ، سَرَقْتَ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا.

(١) البخاري (حديث ٣٤٣٧)، ومسلم (ص ١٩٧٧، ١٩٧٨).

(٢) (فارهة) الفارهة النشيطة الحادة القوية. وقد فرهت فراهة وفراهية.

(٣) (وشارة) الشارة الهيئة واللباس.

(٤) (تراجعا الحديث): معناه أقبلت على الرضيع تحدّثه. وكانت أولاً لا تراه أهلاً للكلام. فلما تكرر منه الكلام، علمت أنه أهل له فسألته وراجعته.

(٥) (حلقي): أي أصابه الله تعالى بوجع في حلقه.

فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا ^(١).

قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا زَنَيْتَ وَلَمْ تَزْنِي، وَسَرَقْتَ وَلَمْ تَسْرِقْ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا.



(١) (مثلها): أي سالمًا من المعاصي كما هي سالمة.

الدعاء الجماعي

ورد في الدعاء الجماعي، من الأدلة التي يمكن الاستدلال بها ما يلي:

* قول الله -تبارك وتعالى- لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩]. فدل ذلك على أمرين:
أولهما: إما أنهما دعوا معاً.

الثاني: أن أحدهما دعا، والآخر أمّن على دعائه.

* والقول الثاني هو الأولى؛ إذ الآية التي قبلها:

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨، ٨٩]. فدل ذلك على أن موسى كان يدعو، ومن ثم كان هارون يؤمّن، وهذا أيضاً يدل على الدعاء الجماعي، ومنه استنبط بعض العلماء أن الذي يؤمّن على الدعاء يكون بمنزلة من دعا^(١).

* أمر النبي ﷺ الحَيَّض، وذوات الخدور، بالخروج لصلاة العيد، وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «... وَلْيَشْهَدَنَّ الْخَيْرَ، وَدَعْوَةُ الْمُؤْمِنِينَ»^(٢)؛ فدل ذلك على أن

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وقد يحتج بهذه الآية، من يقول: إن تأمين المأموم على قراءة الفاتحة ينزل منزلة قراءتهما؛ لأن موسى دعا، وهارون أمّن.

وقال أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ اللهُ: فإن قال قائل: إن الداعي موسى، وقال: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾. الجواب المروي أن موسى كان يدعو، وهارون يؤمّن، والتأمين دعاء، فإن معنى التأمين: اللهم استجب.

وقال السعدي في «تفسيره» ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾. هذا دليل على أن موسى كان يدعو، وهارون يؤمّن على دعائه، وأن الذي يؤمّن يكون شريكاً للداعي في ذلك الدعاء.

(٢) انظر: البخاري (حديث ٩٨٠)، ومسلم (ص ٦٠٦).

للمؤمنين دعوة.

* ما أخرجه مسلم ^(١) في صحيحه من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطِ لَبْنِي النَّجَارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرُ سِتَّةٍ أَوْ خَمْسَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ (قَالَ: كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجُرَيْرِيُّ)، فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: «فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: مَاتُوا فِي الْأَشْرَافِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ». ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ.

* وفي الحديث، الذي أخرجه البخاري ومسلم ^(٢) (واللفظ لمسلم) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فَضُلًا ^(٣) يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنَحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْهِمُ السَّلَامُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيُّ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا

(١) مسلم (حديث ٢٨٦٧).

(٢) البخاري (حديث ٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

(٣) أي: ملائكة زائدون على الحفظة، وهؤلاء السيارة لا وظيفة لهم إنما مقصودهم حلق الذكر.

رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَزْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

* وفي الباب، كذلك ما أخرجه الحاكم والطبراني^(١)، من حديث حبيب بن مسلمة الفهري، -وكان مُجَابَ الدَّعْوَةِ-، أَنَّهُ أَمَرَ عَلَى جَيْشٍ، فَدَرَبَ الدُّرُوبَ، فَلَمَّا أَتَى الْعَدُوَّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَجْتَمِعُ مَلَأٌ، فَيَدْعُو بَعْضُهُمْ، وَيُؤْمِنُ الْبَعْضُ، إِلَّا أَجَابَهُمُ اللَّهُ». ثُمَّ إِنَّهُ حَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا، وَاجْعَلْ أَجُورَنَا أَجُورَ الشُّهَدَاءِ». فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ الْهُنْبَاطُ^(٢) أَمِيرُ الْعَدُوِّ، فَدَخَلَ عَلَى حَبِيبٍ سُرَادِقِهِ^(٣).

* وفي الباب أيضًا ما رُود عن بعض السلف من دعاء عند ختم القرآن، فقد صحَّ، عن أنس رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَتَمَ الْقُرْآنَ جَمَعَ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ فَدَعَا لَهُمْ^(٤).
* وهناك أدعية جماعية عامة، كقول المأمومين (آمين) في الصلاة، فمعناها اللهم استجب.

(١) الحاكم في المستدرک (٣/ ٤٣٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٥٣٦).

(٢) أي: أنه استسلم.

(٣) وفي إسناده ابن لهيعة، والكلام فيه معروف، فمن العلماء من يقبل حديثه مطلقاً، ومنهم من يقبله إذا كان من طريق رواة مخصوصين عنه كعبد الله بن يزيد المقرئ، وعبد الله بن سلمة، وعبد الله بن المبارك، وعبد الله بن وهب وآخرين، وهذا الحديث من طريق عبد الله بن يزيد المقرئ، ثم خلاف آخر، وهو الاختلاف في صحة الراوي، فمنهم من يثبت صحبته، ومنهم من ينفيها، والظاهر ثبوتها، والله أعلم.

(٤) أخرجه الفريابي (فضائل القرآن ٨٣)، والدارمي (٢/ ٤٦٨، ٤٦٩)، وسعيد بن منصور (٣٧)، وغيرهم.

وانظر تخريجه بتوسع مع مزيد في كتاب «جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام ﷺ» بتخريج وتحقيق الأخ الفاضل الشيخ مشهور حسن سلمان وفقه الله.

* وكالأعية الواردة في الاستسقاء، والكسوف، وعند النوازل بصفة عامة في الصلوات، وفي خطب الجمعة وغيرها.

* وعموم قول النبي ﷺ: «مَا حَسَدْتُكُمْ الْيَهُودَ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدْتُكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ»^(١). فالتأمين هنا عام.

* قال شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه «اقضاء الصراط المستقيم»:

فأما اتخاذ اجتماع، راتب يتكرر بتكرر الأسابيع، أو الشهور، أو الأعوام، غير الاجتماعات المشروعة، فإن ذلك يضاهي الاجتماع للصلوات الخمس، وللجمعة، وللعيدين وللحج. وذلك هو المبتدع المحدث.

ففرق بين ما يتخذ سنة وعادة، فإن ذلك يضاهي المشروع، وهذا الفرق هو المنصوص عن الإمام أحمد، وغيره من الأئمة، فروى أبو بكر الخلال، في «كتاب الأدب»، عن إسحاق بن منصور الكوسج، أنه قال لأبي عبد الله: تكره أن يجتمع القوم يدعون الله ويرفعون أيديهم؟ قال: «ما أكرهه للإخوان إذا لم يجتمعوا على عمد، إلا أن يكثروا».

قال إسحاق بن راهويه كما قال. وإنما معنى أن لا يكثروا: أن لا يتخذوها عادة حتى يكثروا. هذا كلام إسحاق.

وقال المروزي: سألت أبا عبد الله عن القوم يبيتون، فيقرأ قارئ ويدعون حتى يصبحوا؟ قال: «أرجو أن لا يكون به بأس».

وقال أيضاً: فقيده أحمد الاجتماع على الدعاء، بما إذا لم يتخذ عادة. وبعد هذا العرض - يظهر لي، والله تعالى أعلم -: أن إخفاء الدعاء أولى في الجملة،

(١) ابن ماجه (حديث ٨٥٦)، وابن خزيمة (٥٧٤) والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٨) بإسناد حسن، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

فَتْهُ الدَّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

وذلك لقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، ولقوله تعالى: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا ﴿[مريم: ٢، ٣]؛ ولأن الدعاء عبادة، والعبادات -خاصة النوافل منها- يستحب إخفاؤها.

* أما المواطن، التي ورد عن رسول الله ﷺ الجهر فيها، فيسن فيها الجهر، وكذلك الدعوات الجماعية التي لم تقيد بيوم معين أو بشهر معين، أما الدعوات الجماعية التي يخصصها البعض بيوم أو بشهر فهي حينئذٍ داخلية في المنع، وكذلك كل ما لم يرد فيه هدي لنبينا ﷺ، فالأولى تركه، وامتنال قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، والله تبارك وتعالى أعلم.

* * *

فصل في

الصلاة والسلام على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

أولاً: من معاني الصلاة على شخص معين، الدعاء له، بأن يكرمه الله ﷻ، ويرفع درجته.

* ومن معانيها الثناء على الشخص أيضاً.

ثانياً: المراد بصلاة الله ﷻ على النبي ﷺ.

قال كثير من أهل العلم: إنَّ المراد بذلك ثناؤه ﷻ عليه في الملائ الأعلى.

وقال آخرون: إنَّ المراد رحمته به.

وقال آخرون: إنَّ المعنى أنه يبارك على نبيه ﷺ، ومن صور البركة، أن الخير

الكثير جعل في هذا النبي الكريم ﷺ فقد جعله الله مباركاً، الخير فيه ثابت ومتنام،

والبركة تحل معه ﷺ.

* أما صلاة الملائكة على النبي ﷺ، فدعاؤهم له، واستغفارهم له، وثناؤهم أيضاً عليه:

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: إن الله وملائكته يبركون على النبي محمد ﷺ.

وقد يحتمل أن يُقال: إن معنى ذلك: أن الله يرحم النبي، وتدعو له ملائكته

ويستغفرون، وذلك أن الصلاة في كلام العرب من غير الله إنما هو دعاء. وقد بينا ذلك

فيما مضى من كتابنا هذا بشواهد، فأغنى ذلك عن إعادته.

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبي

الله محمد ﷺ ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] يقول: وحيوه تحية الإسلام.

وقال ابن كثير رحمه الله:

والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه، أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

الملا الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه. ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الشاء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً.

*** أما صلاتنا وسلامنا على رسول الله ﷺ، فمن معانيها ثناؤنا عليه ودعائنا له،**

وسؤالنا له الوسيلة والفضيلة:

فالصلاة على النبي ﷺ دعاء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

هذا إخبار من الله ﷻ لأهل الإيمان بأنه سبحانه وتعالى، يصلي على نبيه ﷺ، وكذا ملائكته يصلون على النبي، فمن ثمّ فيا أهل الإيمان صلوا على نبيكم وسلموا عليه تسليماً.

وهذا، بعض الوارد في فضل الصلاة على النبي ﷺ:

أخرج مسلم^(١)، من حديث أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا».

وأخرج النسائي^(٢)، بسند حسن، من حديث أنس بن مالك قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ».

وأخرج أحمد^(٣)، بسند صحيح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَا يَذْكُرُونَ فِيهِ اللَّهَ ﷻ، وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ».

(١) مسلم (٤٠٨).

(٢) النسائي (٥٠/٣).

(٣) أحمد في المسند (٤٦٣/٢).

وعند الترمذي^(١)، بسند حسن لغيره، من حديث علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «الْبَخِيلُ مَنْ ذَكَرَتْ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ».

وأخرج ابن حبان^(٢) وغيره، من حديث أبي هريرة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: «أَمِينَ أَمِينَ أَمِينَ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ حِينَ صَعِدْتَ الْمِنْبَرَ، قُلْتَ: أَمِينَ أَمِينَ أَمِينَ، قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي، فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدْخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: أَمِينَ، فَقُلْتُ: أَمِينَ، وَمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَبْرَهُمَا، فَمَاتَ فَدْخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: أَمِينَ، فَقُلْتُ: أَمِينَ، وَمَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدْخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: أَمِينَ، فَقُلْتُ: أَمِينَ».

وأخرج الإمام أحمد^(٣)، بسند حسن: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ».

بعض مواطن الصلاة على النبي ﷺ

س: اذكر بعض مواطن الصلاة على النبي ﷺ؟

ج: من ذلك ما يلي:

✽ التشهد الأخير وقبل الدعاء:

وسياتي حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ... الحديث.

وسياتي قريباً إن شاء الله.

الشاهد منه قوله: «قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ...».

(١) الترمذي (٣٥٤٦).

(٢) ابن حبان (٩٠٤)، بسند صحيح لغيره.

(٣) أحمد (١ / ٤٤١).

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

قال البيهقي رَحِمَهُ اللهُ ^(١): قوله في الحديث: «قَدْ عَلِمْنَا» إشارة إلى السلام على النبي ﷺ في التشهد فقوله: (فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ)، أيضًا يكون المراد به في القعود للتشهد. وعند أحمد بسند حسن ^(٢)، فضالة بن عبيد صاحب رسول الله ﷺ يقول: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ، وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ ﷻ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَلْ هَذَا» ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ: «إِذَا صَلَّي أَحَدُكُمْ فَلْيُبْدِ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدَ بَمَا شَاءَ».

ومن ذلك بعد سماع المؤذن:

أخرج مسلم ^(٣)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

ومن ذلك، عند دخول المسجد:

أخرج الدارمي ^(٤)، بسند حسن، من حديث أبي حميد وأبي أسيد، قالا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ».

ومن ذلك، الصلاة على النبي ﷺ في صلاة الجنازة:

أخرج عبد الرزاق ^(٥)، بسند صحيح، عن الزُّهْرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ بْنَ سُهَيْلٍ بْنَ حُنَيْفٍ يُحَدِّثُ ابْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ: «السُّنَّةُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْجَنَائِزِ أَنْ يُكَبَّرَ، ثُمَّ

(١) البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ١٤٧).

(٢) أحمد (٦/ ١٨).

(٣) مسلم (٤/ ٨٥).

(٤) الدارمي (١٣٩٤).

(٥) عبد الرزاق (٦٤٢٨) المصنف.

يَقْرَأُ بِأَمْرِ الْقُرْآنِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يُخْلِصُ الدُّعَاءَ لِلْمَيِّتِ، وَلَا يَقْرَأُ إِلَّا فِي التَّكْبِيرَةِ الْأُولَى، ثُمَّ يُسَلِّمُ فِي نَفْسِهِ عَنْ يَمِينِهِ».

وهذا مرسل^(١)، ولكنه يصح لشواهده، فله شواهد كثيرة.

ومن ذلك الصلاة على النبي ﷺ في كل مجلس:

لحديث: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا، لَا يَذْكُرُونَ فِيهِ اللَّهَ ﷻ وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ...». وسيأتي.

ومن ذلك الصلاة على النبي ﷺ عند ذكره:

لحديث: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ».

وهل تشرع الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة:

فأقول، وبالله التوفيق:

قد ورد في ذلك، حديث مختلف في صحته، أخرجه الإمام أحمد^(٢) وغيره من طريق حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْجُعْفِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ الصَّنَعَانِيِّ، عَنْ أَوْسِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَفْضَلَ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعَرِّضُ عَلَيْكَ صَلَاتُنَا وَقَدْ أَرَمْتَ؟ -يَعْنِي وَقَدْ بَلَيْتَ-، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ».

(١) لكت أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٥٠٠) من طريق شعيب عن الزهري قال: أخبرني أبو أمانة سهل بن حنيف، وكان من كبراء الأنصار، وعلمائهم وأبناء الذين شهدوا بدرًا مع رسول الله ﷺ أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ أخبره أن السنة في صلاة الجنازة... فهو بهذا موصول، فالحمد لله أعلم، وعلى كلٍّ فللمعنى شواهد كثيرة.

(٢) أحمد (٨/ ٤)، وأبو داود (١٥٣١)، والنسائي (٣/ ٩١)، وابن ماجه (١٦٣٦) وغيرهم.

وهذا السند صحيح إلا أن هناك اختلافاً في تحديد عبد الرحمن بن يزيد، هل هو ابن جابر كما هو ظاهر في السند، وهو ثقة، أم أنه عبد الرحمن بن يزيد بن تميم كما نصَّ على ذلك عدد من أهل العلل، وعليه فهو مجهول، والحديث ضعيف الإسناد. في ذلك وجهان لأهل العلم، كما أشرت، والله أعلم.

هذا، وقد قال الإمام الشافعي في الأم^(١): وأحبُّ كثرة الصلاة على النبي ﷺ في كل حال، وأنا في يوم الجمعة وليلتها أشد استحباباً. اهـ.

ومن ذلك، عند الهمِّ والحزن، تشرع الصلاة على النبي ﷺ لحديث أبي بن كعب، وسيأتي^(٢).

ومن ذلك، في كل مجلس لحديث: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَا يَذْكُرُونَ فِيهِ اللَّهَ ﷻ، وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..»^(٣).

وكذا الصلاة عليه في كل مكان:

أخرج أحمد^(٤)، بسند حسن، من حديث أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَخِذُوا قَبْرِي عِيْدًا، وَلَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي».



(١) الأم (١) / ٣١٨.

(٢) وسيأتي.

(٣) وسيأتي.

(٤) أحمد (٢) / ٣٦٧.

وهذه بعض صيغ الصلاة على النبي ﷺ

أخرج البخاري ومسلم^(١)، من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، أنهم قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَأَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَأَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

وأخرج البخاري^(٢)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا السَّلَامُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ».

وأخرج البخاري ومسلم^(٣)، من طريق: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيسَى، سَمِعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: لَقِيتُ كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، فَقَالَ: أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ، قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

وأخرج مسلم^(٤)، من حديث أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

(١) البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (١٢٧/٤).

(٢) البخاري (٦٣٥٨).

(٣) البخاري (٣٣٧٠) ومسلم مع النووي (١٢٦/٤).

(٤) مسلم (مع النووي ١٣٣/٤).

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارَكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ... وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ».



وهل يجوز الاجتزاء بالسلام على النبي دون الصلاة عليه؟

الظاهر أن هذا، وإن كان جائزاً؛ لكن خلاف الأفضل، فالأولى أن نُصَلِّيَ عليه ونسلم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال النووي: إذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم، فلا يقتصر على أحدهما فلا يقول: «صلى الله عليه فقط»، ولا «ﷺ» فقط، وهذا الذي قاله منتزع من هذه الآية الكريمة، وهي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، فالأولى أن يقال: صلى الله عليه وسلم تسليماً.



وهل الأولى أن نقول: أم صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذكر الآل؟

الظاهر - والله أعلم -: ذكر الآل أولى، وذلك لأن عدداً من الأحاديث وردت بذكر الآل (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد...) والله أعلم.



الصلاة والسلام على سائر الأنبياء والمرسلين

قال الله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩].
وأخرج البخاري^(١) من حديث سمرة مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني
الليلة آتيان، فأتينا على رجل طویل، لا أكاد أرى رأسه طوًلاً، وإنه إبراهيم عليه السلام». وما أخرجه مسلم^(٢)، من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي
نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ
الْخَنَزِيرَ، وَيَضَعَ الْحَرِيزَةَ».

ففي الحديث الأول، أن النبي ﷺ لما ذكر إبراهيم قال: ﷺ.

وفي الثاني: لما ذكر عيسى قال: ﷺ، فإذا سلمنا أنها ليست من تصرف النساخ ففيها
الدلالة على الصلاة والسلام على الأنبياء والمرسلين وانظر الباب الآتي كذلك.

* * *

(١) البخاري (٣٣٥٤).

(٢) مسلم (١٥٥).

وهل تجوز الصلاة على غير الأنبياء والمرسلين؟

فأقول، وبالله التوفيق:

إن أدلة الجواز قوية، ومنها ما يلي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

ثانياً: قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

ثالثاً: وكان النبي ﷺ، إذا أتاه قوم بصدقته، أخذها ودعا لهم، قال عبد الله بن أبي أوفى، فجاءه أبي بصدقة فقال: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى»^(١).

رابعاً: وعند أبي داود، بسند صحيح، عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ»^(٢).

خامساً: قول رسول الله ﷺ في تعليم كعب بن عجرة التشهد، وكذا تعليم الصحابة: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ...». الحديث.

سادساً: قول النبي ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِكُمْ، الَّذِينَ تُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ...»

سابعاً: قول النبي ﷺ لامرأة من النساء: «صَلِّيْ اللَّهَ عَلَيْكَ، وَعَلَى زَوْجِكَ».

فهذه بعض الأدلة في الباب، وثم استدلالات أخرى.

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله:

وأما الصلاة على غير الأنبياء، فإن كانت على سبيل التبعية، كما تقدم في الحديث: «اللَّهُمَّ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ»، فهذا جائز بالإجماع، وإنما

(١) البخاري (١٤٩٧)، ومسلم (٧٥٦/٢).

(٢) أبو داود (٦٦٤) بسند صحيح.

وقع النزاع فيما إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم.

فقال قائلون: يجوز ذلك، واحتجوا بقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وبقوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، وبقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]. الآية، وبحديث عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِمْ». فأتاه أبي بصدقته، فقال: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى». أخرجاه في الصحيحين^(١).

وبحديث جابر: أن امرأته قالت: يا رسول الله، صَلِّ عَلَيَّ وَعَلَى زَوْجِي، فقال: «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، وَعَلَى زَوْجِكَ».

قال الجمهور من العلماء: لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة؛ لأن هذا قد صار شعاراً للأنبياء؛ إذا ذكروا، فلا يلحق بهم غيرهم، فلا يقال: «قَالَ أَبُو بَكْرٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ». أو «قَالَ عَلِيٌّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ»، وإن كان المعنى صحيحاً، كما لا يقال: «قال مُحَمَّدٌ ﷺ»، وإن كان عزيزاً جليلاً؛ لأن هذا من شعار ذكر الله ﷻ. وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم؛ ولهذا لم يثبت شعاراً لآل أبي أوفى، ولا لجابر وامرأته، وهذا مسلك حسن.

ونقل النووي رحمه الله تعالى عن الجمهور، كراهة الصلاة على غير الأنبياء، واختار أن الكراهة على التنزيه، وذلك في كتابه الأذكار.

قلت (مصطفى): ولي كلام أطول مما ذكر، وإيرادات أكثر من التي أوردتها هاهنا وذلك في كتابي «التسهيل لتأويل التنزيل» تفسير الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. من سورة الأحزاب، فارجع إليه إن شئت.

(١) البخاري (١٤٩٧)، ومسلم (٧٥٦/٢).

وهل وردت عن رسول الله ﷺ صيغة فيها الجمع بين الصلاة عليه والصلاة على أصحابه، كقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؟

فأقول: أما ذكر الصحب فلم أقف عليها على النحو المذكور في أي حديث عن رسول الله ﷺ، والله أعلم.



فصل

في آيات لها تعلق بالدعاء وفقهه

قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾.

الوسيلة، هي: التي يتوصل بها إلى تحصيل أمر من الأمور.
والمراد بالوسيلة في الآية الكريمة: القربة. فقوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]. أي: اطلبوا القرب من الله بالأعمال الصالحة، أو تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، والتمسوا ما يقربكم من الله.

والوسيلة أيضًا، عَلم على أعلى منزلة في الجنة، يروحها رسول الله ﷺ لنفسه، ففي الحديث، الذي أخرجه البخاري^(١)، من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وأورد القاسمي رحمه الله تعالى قول شيخ الإسلام ابن تيمية في التوسل والوسيلة مقرراً له، ومعتمداً، فقال يعني شيخ الإسلام:

قال رحمه الله بعد مقدمات:

«إن لفظ الوسيلة والتوسل، فيه إجمال واشتباه، يجب أن تعرف معانيه، ويعطى كل ذي حق حقه. فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه. وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعنى ذلك. ويعرف ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه. فإن كثيراً من اضطراب الناس في هذا الباب هو بسبب ما وقع من الإجمال والاشتراك في الألفاظ ومعانيها، حتى تجد أكثرهم لا يعرف في هذا الباب فصل الخطاب. فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا

(١) البخاري (٣١٤).

فَتْهُ الدَّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴿ وفي قوله تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِي فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ٥٦ ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مُحَذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى إليه، وأخبر عن ملائكته وأنبيائه، أنهم يبتغونها إليه، هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات، فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب، وما ليس بواجب، ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواء كان محرماً، أو مكروهاً أو مباحاً. فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول فأمر به أمر إيجاب، أو استحباب وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول. فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها، هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول، لا وسيلة لأحد إلى الله إلا ذلك.

والثاني: لفظ الوسيلة في الأحاديث الصحيحة كقوله ﷺ^(١): «سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْعَبْدُ، فَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وقوله: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ^(٢): اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

فهذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصة، وقد أمرنا أن نسأل الله له هذه الوسيلة وأخبر أنها لا تكون إلا لعبد من عباد الله، وهو يرجو أن يكون ذلك العبد، وهذه الوسيلة؛ أمرنا أن نسألها للرسول ﷺ، وأخبرنا أن من سأل له هذه الوسيلة، فقد حلت له الشفاعة يوم القيامة؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فلما دعوا للنبي ﷺ، استحقوا أن يدعوا هو لهم؛

(١) أخرجه مسلم في: ٤ - كتاب الصلاة (١١)، عن عبد الله بن العاص.

(٢) أخرجه البخاري في: ١ - كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، عن جابر بن عبد الله.

فإن الشفاعة نوع من الدعاء، كما قال: «إِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا».

وأما التوسل بالنبي ﷺ، والتوجه به، في كلام الصحابة، فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته. والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به، كما يقسمون بغيره من الأنبياء والصالحين، ومن يعتقدون فيه الصلاح، وحينئذ، فلفظ التوسل به يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين، ويراد به معنى ثالث لم ترد به سنة. فأما المعنيان الأولان -الصحيحان باتفاق العلماء:

فأحدهما: هو أصل الإيمان والإسلام وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته.

والثاني: دعاؤه وشفاعته كما تقدم: فهذان جائزان بإجماع المسلمين، ومن هذا قول عمر بن الخطاب: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا أَجَدَبْنَا تَوَسَّلْنَا إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا» أي بدعائه وشفاعته وقوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾، أي القربة إليه بطاعته؛ وطاعة رسوله طاعته، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. فهذا التوسل الأول هو أصل الدين وهذا لا ينكره أحد من المسلمين. وأما التوسل بدعائه وشفاعته - كما قال عمر - فإنه توسل بدعائه لا بذاته؛ ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمة العباس.

ولو كان التوسل، هو بذاته؛ لكان هذا أولى من التوسل بالعباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس: علم أن ما يفعل في حياته، قد تعذر بموته؛ بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له، فإنه مشروع دائماً، **لفظ التوسل يراد به ثلاثة معان:**

أحدها: التوسل بطاعته فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

والثاني: التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته، ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته.

والثالث: التوسل به، بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته لا عند قبره ولا غير قبره ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عمن ليس قوله حجة.

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾، أي: القرب منه، والحظوة لديه، والحب له. **وذلك بأداء فرائضه القلبية:** كالحب له وفيه، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل. **والبدنية:** كالزكاة والحج. **والمركبة من ذلك:** كالصلاة ونحوها، من أنواع القراءة والذكر، ومن أنواع الإحسان إلى الخلق بالمال، والعلم، والجاه، والبدن، والنصح لعباد الله، فكل هذه الأعمال، تقرب إلى الله. ولا يزال العبد يتقرب بها إلى الله حتى يحبه الله، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ويستجيب الله له الدعاء.

ثم خص تبارك وتعالى من العبادات المقربة إليه، الجهاد في سبيله، وهو: بذل الجهد في قتال الكافرين، بالمال، والنفس، والرأي، واللسان، والسعي في نصر دين الله، بكل ما يقدر عليه العبد؛ لأن هذا النوع من أجل الطاعات وأفضل القربات، ولأن مَنْ قام به، فهو على القيام بغيره، أخرى وأولى ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ إذا اتقيتم الله، بترك المعاصي، وابتغيتم الوسيلة إلى الله، بفعل الطاعات، وجاهدتم في سبيله ابتغاء مرضاته.

وقال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ^(١):

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ الآية،

(١) أضواء البيان، تعليق (عطية سالم) رَحِمَهُ اللهُ.

اعلم أن جمهور العلماء على أن **المراد بالوسيلة هنا**: هو القربة إلى الله تعالى، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه على وفق ما جاء به محمد ﷺ بإخلاص في ذلك لله تعالى؛ لأن هذا وحده هو الطريق الموصلة إلى رضا الله تعالى، ونيل ما عنده من خير الدنيا والآخرة.

وأصل الوسيلة: الطريق التي تقرب إلى الشيء، وتوصل إليه وهي العمل الصالح بإجماع العلماء؛ لأنه لا وسيلة إلى الله تعالى إلا باتباع رسوله ﷺ، وعلى هذا فلايات المبينة للمراد من الوسيلة كثيرة جداً كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلُ فَخْذُوهُ وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَنْتَهُمْ﴾ [الحشر: ٧]، وقوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، إلى غير ذلك من الآيات.

وروي عن ابن عباس رضيهما، أن المراد بالوسيلة الحاجة، ولما سأله نافع الأزرق هل تعرف العرب ذلك؟ أنشد له بيت عنتر:

إن الرجال لهم إليك وسيلة
إن يأخذوك تكحلي وتخضي

قال يعني: لهم إليك حاجة، وعلى هذا القول الذي روي عن ابن عباس، فالمعنى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾، واطلبوا حاجتكم من الله؛ لأنه وحده هو الذي يقدر على إعطائها، ومما يبين معنى هذا الوجه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ الآية [العنكبوت: ١٧]، وقوله: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ الآية [النساء: ٣٢]، وفي الحديث: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ».

قال مقيده عفا الله عنه: التحقيق في معنى الوسيلة، هو: ما ذهب إليه عامة العلماء من أنها التقرب إلى الله تعالى بالإخلاص له في العبادة، على وفق ما جاء به الرسول ﷺ، وتفسير ابن عباس داخل في هذا؛ لأن دعاء الله، والابتغال إليه في طلب الحوائج

من أعظم أنواع عبادته التي هي الوسيلة إلى نيل رضاه ورحمته.

وبهذا التحقيق نعلم، أن ما يزعمه كثير من ملاحدة أتباع الجهال المدعين للتصوف من أن المراد بالوسيلة في الآية الشيخ الذي يكون له واسطة بينه وبين ربه، أنه تخطيط في الجهل والعمى، وضلال مبين، وتلاعب بكتاب الله تعالى، واتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار، كما صرح به تعالى في قوله عنه: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢٤]. إلى قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]. فيجب على كل مكلف أن يعلم أن الطريق الموصلة إلى رضا الله وجنته ورحمته هي اتباع رسول الله ﷺ، ومن حاد عن ذلك فقد ضل سواء السبيل، ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾.

[النساء: ١٢٣].

والظاهر أن الوسيلة في بيت عنتره معناها التقريب أيضًا إلى المحبوب؛ لأنه وسيلة لنيل المقصود منه، ولذا أنشد بيت عنتره المذكور ابن جرير، والقرطبي وغيرهما لهذا المعنى الذي ذكرنا وجمع الوسيلة: الوسائل، ومنه قول الشاعر:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسائل

وهذا الذي فسرنا به الوسيلة هنا: هو معناها أيضًا في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]. الآية، وليس المراد بالوسيلة أيضًا المنزلة التي في الجنة التي أمرنا ﷺ أن نسأل له الله، أن يعطيه إياها، ونرجو الله أن يعطيه إياها.

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

لأهل العلم قولان في معنى الآية الكريمة، ومن المعنيون بالناس:

أحدهما: أن المراد بالناس عموم الناس، وأن معنى الآية الكريمة، ولو استجاب الله دعاء الناس على أنفسهم وعلى أولادهم وبناتهم وذرياتهم وأموالهم؛ إذ يدعون بالمكره والشر لأهلكهم، ولكن رحمة من الله ﷻ بعباده أنه يمهلهم، ولا يعاجلهم بالعقوبة والشر.

أي: أن الله ﷻ لو استجاب لهم عندما يدعون على أنفسهم بالشر، كما يستجيب لهم، إذ دعوا لأنفسهم بالخير؛ لماتوا وهلكوا ولكنه سبحانه يمهلهم.

الثاني: أن المعنيين بذلك أهل الكفر، إذ كانوا يدعون على أنفسهم بالهلاك، إن كان الرسول ﷺ صادقاً، إذ يقولون: ﴿ رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَآ قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ١٦]، ويقولون: ﴿ اَللّٰهُمَّ اِنْ كَانَتْ هَٰذِهِ حَقًّا اَلْحَقِّ مِنْ عِنْدِكَ فَامْطُرْ عَلَيْنَا مِجْرَآةً مِّنَ السَّمَآءِ اَوْ اَنْتِنَا بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ ﴾ [الأنفال: ٣٢].

والقول الأول، أظهر، والله أعلم.

وهذه بعض أقوال العلماء في الآية ومعناها:

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعباده: أنه لا يستجيب لهم، إذا دعوا على أنفسهم، أو أموالهم، أو أولادهم في حال ضجرهم وغضبهم، وأنه يعلم منهم عدم القصد إلى إرادة ذلك، فلهذا لا يستجيب لهم - والحالة هذه - لطفاً ورحمة، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم وأولادهم بالخير والبركة والنماء؛ ولهذا قال:

فَتْهُ الدِّعَاءِ وَالْعُقُوبَاتِ

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ ﴾ أي: لو استجاب لهم كلما دعوه به في ذلك لأهلكهم، ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك.

وقال السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا من لطفه وإحسانه بعباده، أنه لو عجل لهم الشر، إذا أتوا بأسبابه، وبأدبرهم بالعقوبة على ذلك، كما يعجل لهم الخير إذا أتوا بأسبابه ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ أي: لمحقتهم العقوبة، ولكنه تعالى يمهّلهم ولا يمهّلهم، ويعفو عن كثير من حقوقه، فلو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة.

ويدخل في هذا، أن العبد إذا غضب على أولاده، أو أهله، أو ماله، ربما دعا عليهم دعوة لو قبلت منه لهلكوا، ولأضره ذلك غاية الضرر، ولكنه تعالى حلیم حكيم.

وقوله: ﴿فَنَذِرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾، أي: لا يؤمنون بالآخرة، فلذلك لا يستعدون لها، ولا يعلمون ما ينجيهم من عذاب الله، ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾، أي: باطلهم، الذي جاوزوا به الحق والحد.

﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون حائرین، لا يهتدون السبيل، ولا يوفقون لأقوم دليل، وذلك عقوبة لهم على ظلمهم، وكفرهم بآيات الله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ ﴾ **قيل:** معناه ولو عجل الله للناس العقوبة، كما يستعجلون الثواب والخير لماتوا؛ لأنهم خلقوا في الدنيا خلقاً ضعيفاً، وليس هم كذا يوم القيامة؛ لأنهم يوم القيامة يخلقون للبقاء.

وقيل: المعنى لو فعل الله مع الناس في إجابته إلى المكروه مثل ما يريدون فعله معهم في إجابته إلى الخير لأهلكهم، وهو معنى ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾.

وقيل: إنه خاص بالكافر، أي: لو يعجل الله للكافر العذاب على كفره، كما

عجل له خير الدنيا من المال والولد لعجل له قضاء أجله ليتعجل عذاب الآخرة.
أما عن قوله تعالى: ﴿فَنَذِرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

[يونس: ١١]

فمعناه - والله تعالى أعلم -: أننا نترك الناس في كثير من الأحيان في الدنيا، إذا دعوا على أنفسهم بالشر، فلا نجيب دعاءهم على أنفسهم لعلّ منهم من يهتدي، أما الذين لا يهتدون، وكتبت عليهم الشقاوة، فإنهم يزدادون بتركنا تعجيل العذاب عليهم، يزدادون ضلالاً إلى ضلالهم، وتحيراً إلى تحيّرهم فيبقون في ظلمهم وشركهم وعتوهم يتحiron يترددون، فإنهم تصيبهم المصائب ويدعون بالهلاك والموت على أنفسهم، فلا يُجابوا فيزدادوا ضجراً وكفراً وحيرةً وعدم اهتداء، والله أعلم.



قوله تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ

كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

فمعناه، والله تعالى أعلم: وإذا أصاب الإنسان ضرٌّ، أو جهدٌ في نفسه، أو قلة في ماله أو مصيبة في دنياه دعا الله ﷻ على كل أحواله، دعاه مضطجعاً على جنبه، وكذا دعاه قاعداً وقائماً، فلما استجاب الله دعاءه وكشف عنه الضر استمر على طريقته في الغي والضلال والعصيان كأن لم يُصب بشيء.

* * *

قوله تعالى:

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾

المعنى - والله أعلم:- ويدع الإنسان على نفسه بالشر وعلى أمواله وعلى أولاده إذا أصابه منهم مكروه، أو إذا أصيب ببلاء، فيتعجل ويدعو بأن يهلكه الله، أو يهلك أولاده وأمواله، ولا يكاد يصبر على ما حلَّ به، أو على أذى أولاده وأهله وغير ذلك، ويدعو بالشرِّ كما يدعو بالخير، فكما أنه يقول: يا رب ارزقني الولد فإنه إذا ضجر يقول لولده انتقم الله منك، وفعل الله بك وفعل، وكان من شأن الإنسان أنه عجل غير صبور، إلا من رحم الله ﷻ.

*** وهذا،** ومن العلماء من أورد وجهًا آخر حاصله، أن الإنسان يدعو أن ييسر الله ﷻ المعصية ويسهل له سبلها كما أنه يسأل الرزق، وكان الإنسان عجلًا.

قال الطبري:

يقول تعالى ذكره مذكّرًا عباده أياديهم، ويدعو الإنسان على نفسه وولده وماله بالشرِّ، فيقول: اللهم أهلكه والعنه عند ضجره وغضبه، كدعائه بالخير: يقول: كدعائه ربّه بأن يهب له العافية، ويرزقه السلامة في نفسه وماله وولده، يقول: فلو استجيب له في دعائه على نفسه وماله وولده بالشرِّ كما يستجاب له في الخير هلك، ولكن الله بفضله لا يستجيب له في ذلك.

وأورد بإسناد يصحح بطريقه عن قتادة، قوله: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ يدعو على ماله، فيلعن ماله وولده، ولو استجاب الله له لأهلكه. ونحوه بإسناده ففيه مقال عن مجاهد.

قال الطبري:

واختلف في تأويل قوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾. فقال مجاهد ومن ذكرت قوله: معناه: وكان الإنسان عَجُولًا بالدعاء على ما يكره، أن يُستجاب له فيه.

وقال آخرون: عنى بذلك آدم أنه عجل حين نفخ فيه الروح قبل أن تجري في جميع جسده، فرام النهوض، فوصف ولده بالاستعجال، لما كان من استعجال أبيهم آدم القيام، قبل أن يتم خلقه.

*** قلت (مصطفى):** ولا دليل يثبت، يدل على ذلك.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يخبر تعالى عن عجلة الإنسان، ودعائه في بعض الأحيان على نفسه، أو ولده، أو ماله: ﴿يَا شَرِّ﴾ أي: بالموت، أو الهلاك والدمار واللعنة، ونحو ذلك، فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ الآية [يونس: ١١]، وكذا فسره ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وقد تقدم في الحديث: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، أَنْ تَوَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً إِجَابَةً يَسْتَجِيبُ فِيهَا»^(١). وإنما يحمل ابن آدم على ذلك عجلته وقلقه؛ ولهذا قال تعالى ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ:

قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ قال ابن عباس وغيره: هو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضرر بما لا يحب أن يستجاب له: اللهم أهلكه، ونحوه. ﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ أي كدعائه ربه أن يهب له العافية، فلو استجاب الله دعاءه على نفسه بالشر هلك لكن بفضل له لا يستجيب له في ذلك.

(١) مسلم (٣٣/١٨)، وأبو داود (١٨٥/٢).

ونظيره: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ [يونس: ١١].

قال السعدي رحمه الله:

وهذا من جهل الإنسان وعجلته؛ حيث يدعو على نفسه، وأولاده وماله بالشر عند الغضب، ويبادر بذلك الدعاء، كما يبادر بالدعاء في الخير، ولكن الله - بلطفه - يستجيب له في الخير ولا يستجيب له بالشر.

قال الشنقيطي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾.

في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير للعلماء:

وأحدهما يشهد له قرآن، وهو أن معنى الآية: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾، كأن يدعو على نفسه، أو ولده بالهلاك عند الضجر من أمر، فيقول اللهم أهلكني، أو أهلك ولدي، فيدعو بالشر دعاء لا يحب أن يستجاب له.

وقوله: ﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾، أي: يدعو بالشر، كما يدعو بالخير، فيقول عند الضجر: اللهم أهلك ولدي، كما يقول في غير وقت الضجر: اللهم عافه، ونحو ذلك من الدعاء. ولو استجاب الله دعاءه بالشر لهلك، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ [يونس: ١١]، أي: لو عجل لهم الإجابة بالشر، كما يعجل لهم الإجابة بالخير لقضي إليهم أجلهم؛ أي لهلكوا وماتوا، فلا استعجال بمعنى التعجيل.

ويدخل في دعاء الإنسان بالشر، قول النضر بن الحارث العبدي: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذَاهُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أَثْنِنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

[الأنفال: ٣٢].

وممن فسر الآية الكريمة بما ذكرنا: ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وهو أصح التفسيرين لدلالة آية يونس عليه.

الوجه الثاني في تفسير الآية: أن الإنسان كما يدعو بالخير فيسأل الله الجنة، والسلامة من النار، ومن عذاب القبر، كذلك قد يدعو بالشر فيسأل الله أن ييسر له الزنى بمعشوقته، أو قتل مسلم هو عدو له ونحو ذلك.



قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفِيلِينَ﴾

هذه الآية الكريمة المباركة، لها شأن عظيم، فهي تبين شيئاً من عظمة ربنا -جلّ وعلا-، ثم إن لها تعلقاً بموضوع الدعاء.

وحاصل ذلك، وبالله التوفيق:

أقول: إن المراد بالطرائق: السموات السبع.

فبين ربنا سبحانه وتعالى: أنه خلق هذه السموات السبع العظيمة الشداد، وأحكم خلقهن، وهذه السموات وخلقها -كما هو معلوم- أكبر من خلق الناس، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]. ومع أنه سبحانه خلق هذه السموات، إلا أنه تبارك وتعالى لم يشغل بخلقهن عن تدبير أمور الخلائق، فلم يغفل -وقد خلق السموات السبع- عن سائر المخلوقات، فربنا لا يشغله كبير عن صغير، ولا جليل عن حقير.

فكما أنه سبحانه خلق السموات السبع الشداد، فهو أيضاً يدبر أمر سائر المخلوقات، فيدبر للنملة أمرها، ويدبر للنحلة أمرها، ويدبر أمور الوحوش في الغابات، وأمور الطيور في الأرض والسموات، وأمر الحيتان في البحار، وأمر الإنس، وأمر الجن، وسائر أمور الخلائق.

فربنا لا يشغله كبير عن صغير، ولا جليل عن حقير، فمن ثم فنحن نسأل الله كل ما نريد، فكما أننا نسأله الفردوس، وأن يرضى عنا، وأن ينصر الإسلام والمسلمين، نسأله أيضاً أن يرزقنا في دنيانا، وإذا أصابتنا شوكة سألناه أن يعافينا ويخرجها منا، وإن جعنا سألناه، وإن عطشنا سألناه، وإن أصابنا غم أو هم سألناه أن يكشفه عنا، وإن

أردنا المال والصحة والعافية والولد والزوجة الصالحة سألناه، وإن أردناه أن نحفظنا سألناه.

فكل ما نريده نسأل ربنا إياه، ولا نتخرج من ذلك أبداً، فالله يحب منا ذلك، وقد قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. وحذر المعرضين عن دعائه، بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فلا تتردد يا عبد الله في سؤال الله، ولا تتردد يا أمة الله في سؤال الله. فتاة تأخر زواجها، فلتسأل ربها، مريض يسأل الله الشفاء، مبتلى يسأل الله العافية، طالب يسأل الله النجاح، تاجر يسأل الله الرزق الحلال الواسع، طيب... مهندس... معلم... كل يسأل الله حاجته.



قوله تعالى:

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾

الآية الكريمة، تبين عظيم شأن ربنا ﷻ، فكل من في السموات والأرض يسألون الله، كل المخلوقات في السموات والأرض تسأل ربها، البشر يسألون الله حاجاتهم، الدواب يسألون قضاء حوائجهم كذلك، والطيور والوحوش والجن والملائكة كل يسأل ربه ﷻ.

وهو سبحانه يسمع سرهم الذي أسروه، وجهرهم الذي جهروا، وإن شاء أن يجيبهم جميعاً فيعطي كل إنسان منهم مسأله، ما نقص ذلك من ملكه شيئاً، إلا كما ينقص العصفور إذا نقر بمنقاره في البحر.

يدعون بكل اللغات بالعربية، بالإنجليزية، بالفرنسية، بكل لغات العالم يدعون ربهم، وكل الدواب كذلك بلغتها وكذا الطيور، وكذا الجن، وسائر الخلائق.

أما قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. فمن شأنه سبحانه وتعالى أنه يرفع أقواماً، ويضع آخرين فكم من عزيز أذله الله: وكم من ذليل أعزه الله! وكم من غائب رده إلى أهله! وكم من مريض شفاه الله! يغني هذا ويُعافيه، ويصيب هذا بالفقر والمصائب.

يفك أسيراً، ويشفي سقيماً، يُغني ويقني، وبيتلي ويعافي.

فلنسأله مع السائلين، ولندعه مع الداعين.

وبالله التوفيق.



قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾

لأهل العلم، وجهان كلاهما صحيح:

أحدهما: ويجيب الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات إذا سألوه فيعطيه، ويعطيهم أكثر مما سألوه إياه.

وقد سألت أم موسى السلامة والنجاة لولدها، فقال تعالى: ﴿إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاءَهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]. فكانت الغاية من دعائها سلامة ولدها، فحفظه الله وردّه إليها سالمًا، وكانت ترضعه وتأخذ أجرًا على إرضاعه، وتدخل بيت فرعون آمنة مطمئنة، وفضلًا عن ذلك، فإن الله جعله رسولًا كريمًا واصطفاه بالرسالة وبالتكليم.

والوجه الثاني في تأويل الآية الكريمة:

ويجيب المؤمنون ربهم إذا أمرهم بأمره، ويتتهون عما نهاهم عنه، فمن ثم يعطيهم الله أجرهم، ويزيدهم من فضله. والله أعلم.

* * *

معنى قول أتباع الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾

فيها وجهان للعلماء:

أحدهما: يا رب، لا تسلطهم علينا فيؤذوننا، ويصرفوننا عن ديننا.

الثاني: يا رب، لا تنصرهم علينا، فيظنون أنهم على الحق، فينصرفوا عن الإيمان بك. والله أعلم.

ونحوه قول موسى، ومن معه: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

[يونس: ٨٥].

وكما أسلفت، فلا مانع أبداً من الدعاء بأمور الدنيا، ولكن لا ننسى الدعاء بحسنة الآخرة، بما فيها من رضوان الله ﷻ وفسيح جناته، وجميل ثوابه.

فهؤلاء أهل الإيمان الذاهبون إلى الحج، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]. والفضل يتمثل في التجارات، والاسترزاق الحسن الحلال الطيب، وغير ذلك.

وكذا المهاجرون من مكة إلى المدينة، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾ [الحشر: ٨]. وهؤلاء الصحابة الكرام، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾ [الفتح: ٢٩].



التأمين على الدعاء

من ذلك، قولنا: آمين بعد قول الإمام ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

ومن ذلك، أنه لما دعا موسى ﷺ فقال: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴿ [يونس: ٨٨، ٨٩]. مفاد ذلك أن موسى ﷺ، كان يدعو، وهارون ﷺ كان يؤمِّن.

* * *

الدعاء والنذر

ولا يستحب مع الدعاء النذر:

أي: لا يستحب لك أيها الداع، أن تقول: يا رب، إن أعطيتني كذا؛ سأفعل كذا، لكن إذا قلت ذلك؛ لزمك الوفاء.

هذا، وقد ذهب فريق من أهل العلم إلى أن النذر مكروه؛ لما أخرجه البخاري، ومسلم^(١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «لا يأتي ابن آدم النذر بشيءٍ لم يكن قدّر له، ولكن يُلْقِيهِ النَّذْرُ إِلَى الْقَدَرِ قَدْ قُدِّرَ لَهُ، فَيَسْتَخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ، فَيُؤْتِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتِي عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ».

وكذلك ما أخرجه البخاري ومسلم^(٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: نهى النبي ﷺ عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرِجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ».

هذا، وقد حمل بعض العلماء، هذه الأحاديث على نذر المجازاة فقط، والله أعلم.

أما إذا نذر الشخص نذر طاعة (سواء كان نذر ابتداء، أو نذر مجازاة) لزمه الوفاء به لما قدمناه من أحاديث، كقول النبي ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ». ولقول الله تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالْأُكُوفِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]. والله أعلم.

هذا وللنذر^(٣) أقسام منها ما يلي:

١ - نذر للطاعة (ويطلق عليه أيضًا نذر التبرر): وهو أن يلتزم الشخص فعل طاعة،

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٤) ومسلم (١٦٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٩٤) ومسلم (١٦٤٠).

(٣) ولم أسترسل هاهنا، فالمقام ليس مقام بيان النذور وفقهها، إنما أوردت ما عساه أن يكون مرتبطاً بأبواب الدعاء.

وله صورتان:

أحدها: أن يلتزم ذلك ابتداء دون تعليقه على شيء، كأن يقول: الله علي أن أعتمر، أو الله علي أن أتصدق بكذا، أو الله علي أن أصوم شهراً، وهذا يسميه العلماء: نذر الابتداء، ومنهم من يسميه النذر المطلق.

الثاني: أن يعلق النذر على فعل شيء، كأن يقول: إن شفى الله ولدي سأتصدق بكذا وكذا، فعلق الصدقة على شفاء الولد، وهذا يسمى نذر المجازاة. ونذر الطاعة بصورتيه يحب الوفاء به.

٢- نذر المعصية: كمن ينذر شرب الخمر، أو قطع الرحم، أو نحو ذلك من أنواع المعاصي والمحارم والآثام، وهذا النوع يحرم الوفاء به؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ، فَلَا يَعْصِهِ». ولقوله عليه الصلاة والسلام: «لَا وَفَاءَ لِنَذَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ».

٣- نذر المباح: وصورته أن يقول الشخص: الله علي أن أكل كذا، أو أشرب كذا، أو ألبس كذا...، وجمهور العلماء على أنه لا يترتب عليه شيء.

٤- النذر المبهم: كأن يقول: «الله علي نذر، دون أن يحدده».

٥- نذر اللجاج أو الغضب: وهو ما يتنزل منزلة اليمين، كأن يقول: إن دخلت دار فلان فله علي صوم كذا، يريد بذلك منع نفسه من دخول الدار، وهذا يُخَيَّرُ فيه الناذر بين الوفاء باليمين، وبين كفارة اليمين، لكن إذا نذر هذا النوع من النذر، ورأى غيره خيراً منه، يأتي الذي هو خير، ويُكْفَرُ عن نذره، شأنه في ذلك شأن اليمين، والله تعالى أعلم.



قاعدة في الأذكار

والدعوات التي رويت بألفاظ مختلفة

كأنواع الاستفتاحات، وأنواع الشهادات في الصلاة، وأنواع الأدعية التي اختلفت ألفاظها، وأنواع الأذكار في الركوع والسجود، والألفاظ التي رويت في الصلاة على النبي ﷺ.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ» (ص ١٩٠):

قد سلك بعض المتأخرين في ذلك طريقة في بعضها، وهو أن الداعي يستحبُّ له أن يجمع بين تلك الألفاظ المختلفة، ورأى ذلك أفضل ما يُقال فيها، فرأى أنه يستحبُّ للداعي بدعاء الصديق ﷺ، أن يقول: «اللَّهُمَّ، إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا كَبِيرًا» ويقول المصلي على النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَارْحَمْ مُحَمَّدًا، وَآلَ مُحَمَّدٍ، وَأَزْوَاجَهُ وَذُرِّيَّتَهُ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ» وكذلك في البركة والرحمة، ويقول في دعاء الاستخارة: «اللَّهُمَّ، إِنَّ كُنْتُ تَعْلَمُ، أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ». ونحو ذلك.

قال: ليصيب ألفاظ النبي ﷺ يقيناً فيما شك فيه الراوي، ولتجتمع له ألفاظ الأدعية الأخر، فيما اختلفت ألفاظها، ونازعه في ذلك آخرون، وقالوا: هذا ضعيف من وجوه:

أحدها: أن هذه طريقة محدثة؛ لم يسبق إليها أحد من الأئمة المعروفين.

الثاني: أن صاحبها، إن طردها لزمه أن يستحب للمصلي أن يستفتح بجميع أنواع

الاستفتاحات، وأن يتشهد بجميع أنواع الشهادات، وأن يقول في ركوعه وسجوده جميع الأذكار الواردة فيه، وهذا باطل قطعاً، فإنه خلاف عمل الناس، ولم يستحبه أحد من أهل العلم، وهو بدعة، وإن لم يطردها تناقض وفرق بين متماثلين.

الثالث: أن صاحبها ينبغي له أن يستحب للمصلي، والتالي أن يجمع بين القراءات المتنوعة في التلاوة في الصلاة وخارجها. قالوا ومعلوم أن المسلمين متفقون على أنه لا يستحب ذلك للقارئ في الصلاة، ولا خارجها إذا قرأ قراءة عبادة وتدبر وإنما يفعل ذلك القراء أحياناً؛ ليمتحن بذلك حفظ القارئ لأنواع القراءات، وإحاطته بها، واستحضاره إياها، والتمكن من استحضارها عند طلبها فذلك تمرين وتدريب لا تعبد يستحب لكل تالٍ وقارئ.

ومع هذا، ففي ذلك للناس كلام ليس هذا موضعه؛ بل المشروع في حق التالي أن يقرأ بأي حرف شاء، وإن شاء أن يقرأ بهذا مرة وبهذا مرة جاز ذلك، وكذا الداعي إذا قال: «ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا» مرة ومرة قال: «كَبِيرًا». جاز ذلك وكذلك إذا صلى على النبي ﷺ مرة بلفظ هذا الحديث، ومرة باللفظ الآخر، وكذلك إذا تشهد، فإن شاء تشهد بتشهد ابن مسعود، وإن شاء تشهد بتشهد ابن عباس، وإن شاء بتشهد عمر، وإن شاء بتشهد عائشة؛ رضي الله عنهم أجمعين.

وكذلك في الاستفتاح؛ إن شاء استفتح بحديث علي، وإن شاء بحديث أبي هريرة، وإن شاء باستفتاح عمر - رضي الله عنهم أجمعين -، وإن شاء فعل هذا مرة وهذا مرة وهذا مرة.

وكذلك إذا رفع رأسه من الركوع، إن شاء قال: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»، وإن شاء قال: «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»، وإن شاء قال: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»، ولا يستحب له أن يجمع بين ذلك كله.

وقد احتجَّ غير واحد من الأئمة، منهم الشافعي على جواز الأنواع الماثورة في الشهادات ونحوها بالحديث الذي رواه أصحاب الصحيح، والسنن وغيرهم عن النبي ﷺ أنه قال: «أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ». فجَوَّزَ النبي ﷺ القراءة بكل حرف من تلك الأحرف، وأخبر أنه شافٍ كافٍ ومعلوم أن المشروع في ذلك أن يقرأ بتلك الأحرف على سبيل البدل لا على سبيل الجمع كما كان الصحابة يفعلون.

الرابع: أن النبي ﷺ، لم يجمع بين تلك الألفاظ المختلفة في آنٍ واحد؛ بل إمَّا أن يكون قال هذا مرة، وهذا مرة كالألفاظ الاستفتاح والتشهد وأذكار الركوع والسُّجود وغيرها، فاتَّباعه ﷺ يقتضي أن لا يجمع بينها؛ بل يُقال هذا مرة وهذا مرة.

وإمَّا أن يكون الراوي، قد شكَّ في أي الألفاظ قال؛ فإن ترجح عند الداعي بعضها صار إليه، وإن لم يترجَّح عنده بعضها كان مخيرًا بينها، ولم يشرع له الجمع، فإن هذا نوع ثالث لم يروَ عن النبي ﷺ، فيعود الجمع بين تلك الألفاظ في آنٍ واحد على مقصود الداعي بالإبطال؛ لأنه قصد متابعة الرسول ﷺ ففعل ما لم يفعله قطعًا، ومثال ما يترجَّح فيه أحد الألفاظ حديث الاستخارة، فإن الراوي شكَّ هل قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ، إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي». أو قال: «فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ». بدل وعاقبة أَمْرِي.

والصحيح: اللفظ الأول وهو قوله: «وَعَاقِبَةِ أَمْرِي» لأن عاجل الأمر وآجله، هو مضمون قوله: «دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي» فيكون الجمع بين المعاش وآجل الأمر وآجله تكرارًا بخلاف ذكر المعاش والعاقبة، فإنه لا تكرار فيه، فإن المعاش هو عاجل الأمر، والعاقبة آجله، ومن ذلك ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ». رواه مسلم، واختلف فيه فقال بعض الرواة: من أول سورة الكهف، وقال بعضهم: من آخرها، وكلاهما في الصحيح لكن

الترجيح لمن قال: من أول سورة الكهف؛ لأن في صحيح مسلم، من حديث النواس ابن سمعان في قصة الدجال: «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَافْرُؤُوا عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ». ولم يختلف في ذلك، وهذا يدل على أن من روى العشر من أول السورة حفظ الحديث، ومن روى من آخرها لم يحفظه.

الخامس: أن المقصود إنما هو المعنى، والتعبير عنه بعبارة مؤدية له، فإذا عبر عنه بإحدى العبارتين حصل المقصود، فلا يجمع بين العبارات المتعددة.

السادس: أن أحد اللفظين بدل عن الآخر، فلا يستحب الجمع بين البدل والمبدل معًا كما لا يستحب ذلك في المبدلات التي لها أبدال، والله تعالى أعلم. انتهى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى (٣/ ٥١٩) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْعَنَهُمْ

لَعْنًا كَبِيرًا﴾:

قرأ بعض القراء بالباء الموحدة. وقرأ آخرون بالثاء المثلثة، وهما قريبان في المعنى، كما في حديث عبد الله بن عمرو: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي. قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ، إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ». أخرجاه في الصحيحين، يروى «كبيرًا» و«كثيرًا»، وكلاهما بمعنى صحيح.

واستحب بعضهم أن يجمع الداعي بين اللفظين في دعائه، وفي ذلك نظر؛ بل الأولى أن يقول هذا تارة، وهذا تارة، كما أن القارئ مخير: بين القراءتين أيتهما قرأ فحسن، وليس له الجمع بينهما، والله أعلم.

قلت (مصطفى): ولا شك أن هناك مواطن يستحب فيها الإكثار من الدعاء، ففيها تنوع الأدعية، وتعدّد على وجه الاستحباب، كالسجود، إذ قال النبي ﷺ: «وَأَمَّا

السُّجُودُ: فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقِمْنُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ^(١).

وفي رواية: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»^(٢).

ففي مثل هذا المواطن، يستحبُّ الإكثار من الدعاء، فمن ثمَّ يستحبُّ الجمع بين الدعوات، وكذلك تعظيم الرب في السجود، وكذلك الدعاء عقب التشهد لقول النبي ﷺ: «ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ».

ولكن ثمَّ مواطن لا يستحب فيها هذا الجمع بين الدعوات والأذكار، كالتشهد على سبيل المثال، فلا يُذكر تشهّد ابن مسعود الذي رواه عن النبي ﷺ، ثم نعقبه بتشهد ابن عباس، ثم بتشهد أبي موسى، ثم بتشهد عائشة، فهذا صنيعٌ لم يرد عن النبي ﷺ، فمثل هذا المواطن يقتصر فيه على تشهّد واحد، وإن جاز لنا أن نتشهد بتشهد ابن مسعود في صلاة، وبتشهد ابن عباس في صلاة أخرى، وبتشهد أبي موسى في الثالثة، وبتشهد عائشة في صلاة رابعة، لكن الجمع بينهم في صلاة واحدة في جلسة واحدة صنيع لم يعهد عن النبي ﷺ، ولا أعلمه ورد عن سلفنا الصالح رحمهم الله.



(١) مسلم (مع النووي ٤/ ١٩٦).

(٢) مسلم (مع النووي ٤/ ٢٠٠).

اشتقاق الأدعية من الأسماء ومدلولاتها

فيتفأل الشخص بالأسماء الحسنة، ويستنبط منها الأدعية الملائمة لأهلها، فإذا أتاك من اسمه صالح، قلت له: أصلحك الله، ودعوت له بالصلاح، وإذا أتاك من يسمي بسعد، فادع الله له بالسعادة، ففي هذا تطيب للقلوب، وجلب للمودة.

وقد قال النبي ﷺ: «أَسْلَمُ سَأَلَمَهَا اللَّهُ، وَغَفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، وَعُصَيَّةُ عَصَتْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(١).

وأسلم وغفار وعصية من قبائل العرب.



(١) أخرجه البخاري (٣٥١٣، ٣٥١٤)، ومسلم (حديث ٢٥٢١).

سؤال الله القبول والتَّعَوُّذُ بالله من دعاء لا يسمع

وبعد هذا العرض، وبعد الاجتهاد في الدعاء؛ بل ومعه كذلك ينبغي أن يسأل الداعي ربَّه القبول، فإن العامل قد يعمل والمجتهد يجتهد، ويبالغ في الاجتهاد، ولا يدري هذا ولا ذاك هل يُتَقَبَّلُ منه العمل أم لا؟ فحينئذ يجدر بالعبد أن يسأل ربه القبول، وعليه أن يتعوَّذ بالله من دعاء لا يُسمع.

* فرسولنا ﷺ كان يتعوَّذ بالله من دعاءٍ لا يسمع ^(١).

* وخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، ومعه ولده إسماعيل يسألان الله القبول، وهما يرفعان القواعد من البيت، فيقولان: ﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. ويقول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾.

* وامرأة عمران نذرت ما في بطنها محرراً خالصاً لله، وتقول في ذلك: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

* وليحرص العبد على التقوى، فإن الله قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

تَمَّت بحمد الله وتوفيقه أبواب فقه الدعاء.

ونسأل الله القبول.

وإلى أبواب الاستغفار مستعيناً بالله ﷻ.

* * *

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٤١ / ١٧) من حديث زيد بن أرقم، أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ...». الحديث، وفيه: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»..

أبواب
الاستغفار

استهلال

وبيانُ طرفٍ من فوائد الطاعات

يعلم كلُّ عاقلٍ نظر في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ، واستقرأ أحوال الأمم والشعوب والجماعات والأفراد، أن من أعظم الأسباب والوسائل لاستجلاب النعم واستدرارها، والمحافظة عليها، وعلى بقائها؛ بل ونموها وازديادها طاعة الله ﷻ، والإيمان به وتوحيده، وفعل الخيرات والاستغفار من الذنوب، وكف الأذى عن العباد.

* قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

* وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَآدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.

[المائدة: ٦٥، ٦٦].

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

* * *

أثر الذنوب والمعاصي في زوال النعم وحلول النقم

وكذلك يعلم هذا الناظر المُتأنِّي، والباحث المدقق عن أسباب زوال النعم، وحلول البلايا والنقم، يعلم تمام العلم، أن من أعظم أسباب زوال النعم، وحلول النقم، الكفر بالله، وكثرة المعاصي والجرائم والذنوب والبعد عن طريق الله سبحانه وتعالى، ومعاداة أوليائه وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

فكم من أمة، وكم من قرية كانت في سعة من الرزق ورغد من العيش، وسلامة في الأبدان، وأمن في الأوطان، فحادت عن طريق الله سبحانه وتعالى، فحلَّ عليها العذاب، ونزل بها العقاب، وتبدَّلت عليها الأحوال، وضربت مثلاً للحاضر والباد.

* قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ عَثَتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا تُكْرًا ۝٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسْرًا ۝٩ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّقُوا لِيَ الْآلِبِينَ﴾ [الطلاق: ٨-١٠].

* وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ۝١١ كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝١٢ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢-١١٣].

* وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا

(١) وهي مكة.

كَفَرُوا وَهَلْ تُجْزَى إِلَّا الْكَفُورَ ﴿سبأ: ١٥-١٧﴾.

* **وها هم قوم نوح:** قال الله في شأنهم: ﴿وَقَوْمٌ نُوْحٌ لَّمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: ٣٧].

* **وها هي عاد:** تلك القبيلة التي لم يُخلق مثلها في البلاد، من الله عليهم بطول في الأجسام وسلامة في الأبدان، وسعة في الأرزاق، فاستكبروا وتعالوا على الله، وعلى خلقه، فماذا كانت العاقبة؟ قال الله سبحانه: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٥، ١٦].

* **سلط الله على هذه القبيلة الطاغية الباغية الريح العقيم،** كما قال سبحانه: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾.

[الذاريات: ٤١، ٤٢].

وكما قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَكَمُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازُ نَحْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦، ٧].

* **وها هم ثمود:** الذين جابوا الصخر بالواد، تلكم التي بين الله لها طريق الهداية فاستحببت العمى على الهدى، ماذا كان من أمرها؟ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: ١٧].

تلك القبيلة التي أنعم الله عليها بنبيها صالح عليه السلام وبالناقة، ناقة الله التي كانت تشرب الماء يومًا، ويشربون لبنها يومًا، فتأمروا على قتلها وجحدوا نعمة ربهم، فماذا كان من أمرهم!!؟

كذبوا صالحًا، وكفروا، وانبعث أشقى رجل منهم، وخرج لقتل الناقة فعقرها،

فَتْهُ الدِّينَ وَالْجَنَّةَ

فَدَمَّرَهُمُ اللَّهُ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَهَا ۖ﴾ (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۖ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۖ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۖ﴾ [الشمس: ١٢-١٥].

* وكذلك فرعون ذو الأوتاد، الذين طغوا في البلاد: ﴿فَاكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ۖ﴾ (١٣) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۖ﴾ [الفجر: ١٢، ١٣].

* هذا فرعون الظالم: الذي طغى وبغى، وكان له ملك مصر، والأنهار كانت تجري من تحته مُنْعَمًا في الكنوز والمقام الكريم، فاستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق، وتعالى وتكبر وتجبر، فماذا كان من أمره وأمر جنده؟! إنه تعالى على المرسلين بقوله: ﴿يَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۖ﴾ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۖ﴾.

[الزخرف: ٥١، ٥٢].

بل تناول وتعاضم فقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ۖ﴾ [النازعات: ٢٤]. وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ۖ﴾ [القصص: ٣٨]. * وسعى في الأرض ليفسد فيها، ويهلك الحرث والنسل، ذبح الأطفال، شرّد الرجال، استحيا النساء وسخّ! رهن، فماذا كان من أمره بعد هذا التكذيب وذاك العناد؟! قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ۖ﴾ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْنِدٍ ۖ﴾.

[القمر: ٤١، ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ، وَالْمُؤْتَفِكَةُ بِالْخَاطِئَةِ ۖ﴾ (٩) فَصَوَّرَ رَسُولُ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ۖ﴾ [الحاقة: ٩، ١٠].

وقال تعالى: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۖ﴾ [المزمل: ١٦].

وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ﴾ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۖ﴾ (٥٨).

[الشعراء: ٥٧، ٥٨].

فها هي عاقبة الظلم، وها هي عاقبة البغي، وها هي عاقبة الكفر والتكذيب!!!
هذا على مستوى الأمم والشعوب، أمم وشعوب أخذت بأكملها، وتحولت
النعم عليهم إلى نقم، كما قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ
حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا
وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].
وليس على مستوى الأمم والشعوب فحسب؛ بل على مستوى الجماعات،
والأفراد كذلك.

* ها هم أصحاب الجنة - أصحاب الحديقة والبستان -:
الذين يَبْتَغُوا الشَّرَّ وَيَبْتِغُوا الْبَخْلَ، وَأَقْسَمُوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾، ولا يستشنون، تأمروا
لمنع الفقير والمحتاج حقَّه، فماذا كان؟!؟

﴿فَطَافَ عَلَيْهِ طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُرُّ زَايِلُونَ﴾ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿[القلم: ١٩، ٢٠].

* ها هو قارون الطاغى الباغى: آتاه الله من المال ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى
القوة، لكن يا ترى هل شكر؟ كلاً، ما شكر بل بغى على قومه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ
قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِّنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى
الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ
وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ
مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَكَثَرَتْ جَمْعاً وَلَا يُسْئَلُ عَنْ دُئُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٧٨) فَخَرَجَ
عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَنَلْبَسُنَّ أَوْفَكَ قُرُونًا إِنَّهُ لَذُو
حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلِكُم ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْصَّابِرُونَ﴾ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ
يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ [القصاص: ٧٦-٨١].

فِتْنَةُ الدِّجَانِ وَالْجَنَانِ

* **ها هو إبليس يُطرد شر طردة من الجنان** لعصيانه وامتناعه عن طاعة الله، ورفضه

السجود لآدم، فيطرد شر طردة: ﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذَّةً وَمَا مَذْهُورًا﴾ [الأعراف: ١٨].

﴿فَاهِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣].

* **فهذه هي عواقب المعاصي والظلم والشر والفساد**، ها هي العواقب الوخيمة

والشروع الجسيمة للذنوب والمعاصي، كما قال تعالى في مواطن من كتابه العزيز:

﴿فَاخْذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [غافر: ٢١].

﴿فَأَهْلَكْتَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٤].

﴿فَلَمَّا أَصَفْنَا أَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَغَرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٥٥ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا

لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥، ٥٦].

﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١].

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوْءُ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[الروم: ١٠].

﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا

لِيُؤْمِنُوا﴾ [يونس: ١٣].

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦].

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس: ١٤].

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾.

[الشورى: ٣٠].

فالمعاصي تزيل النعم حتى عن أهل الصلاح

* فيها هو آدم ﷺ وزوجه حواء عليها السلام: كانا في نعيم، وكانا في الجنان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ﴾.

[طه: ١١٨، ١١٩].

وكما قال سبحانه: ﴿وَيَتَذَكَّرُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٩].

فماذا كان من آدم وزوجه بعد هذا النعيم وبعد هذا الستر الجميل!!؟

﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].

فماذا كان؟؟ أخرج ﷺ من الجنة هو وزوجه، نزع عنهما لباسهما!

كما قال تعالى: ﴿يَنْبَغِي آدَمَ لَا يَفْئِنَّاكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٧].

وفي الآية الأخرى: ﴿فَدَتَّ لُهُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾

[طه: ١٢١].

فانظر إلى أثر المعاصي والذنوب، انظر إلى أثر المعصية، والعياذ بالله، وكيف

تبدل الستر عرياً!!؟ وأصبح المستور عرياناً!!؟

* **وها هو يونس ﷺ:** ذهب مغاضباً، فكان بطن الحوت له سجنًا، وأي سجن!!؟

إنه سجن في قاع البحار!!!

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۖ لَلِئْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

[الصافات: ١٤٣، ١٤٤]

فعمومًا، فإن المعاصي والذنوب سبب لزوال النعم، وحلول النقم، وتحول

العافية، وجميع السخط، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

* * *

ضعف الإنسان وخطؤه وحتمية وقوعه في الذنوب

* خلق الإنسان ضعيفاً، كما قال الله سبحانه: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾.

[النساء: ٢٨].

* وكذلك، خلق عجولاً، كما قال الله سبحانه: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾.

[الإسراء: ١١].

* وكذلك، فإنه خلق خلقاً لا يتمالك، قال النبي ﷺ: «لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ، تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ، يَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَجُوفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ»^(١).

* وجبل الإنسان على الخطأ، قال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْذِبُوا؛ لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْذِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^(٢).

* وقدرت على ابن آدم الذنوب، قال رسول الله ﷺ: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ، نَصِيبُهُ مِنَ الزَّنا، مُدْرِكُ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الْإِسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرَّجُلُ زِنَاهَا الْخَطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى،

(١) أخرجه مسلم (٣٦١١) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»^(١).

* وعصى آدم ﷺ فعصيت ذريته، وجحد فجحدت ذريته، كما قال النبي ﷺ، ففي «سنن الترمذي»^(٢) بإسناد صحيح لشواهده، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنِي كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبَيْصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبَيَّضَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الْأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ فَقَالَ: رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ: أَوْلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوْلَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ آدَمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِيءُ آدَمَ فَخَطِيئَتْ ذُرِّيَّتُهُ».

* فلم ينبُج من الذنوب أحدٌ، حتى أهل الصلاح.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

[النحل: ٦١].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ^(٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي أَلْزَمُوا وَعَمَلُهُمْ أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[الزمر: ٣٣-٣٥].

* * *

(١) البخاري (٦٢١٢)، ومسلم (٢٦٥٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، واللفظ لمسلم.

(٢) الترمذي (٣٠٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وشاهده عند ابن حبان (٢٠٨٢)، والحاكم (١).

فتح باب التوبة للعباد

فلهذا الذي ذكر؛ لأن الإنسان خلق ضعيفاً!! وخلق أيضاً عجولاً!! وخلق خلقاً لا يتمالك!!

* لأنه قد قدرت عليه الذنوب، وجبل على المعاصي.

* لهذا وقبلة: رحمة الله بعباده، فقد فتح الله أمامهم باب التوبة آناء الليل وأطراف النهار، وجعل للتوبة باباً مفتوحاً لا يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها.

* وحثَّ الله سبحانه وتعالى العباد على التوبة، وحرَّضهم عليها ورغَّبهم فيها؛ بل وأمرهم بها.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿[الزمر: ٥٣، ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

[النور: ٣١].

وقال سبحانه: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦].

وقال سبحانه: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].

* وينادي الله سبحانه وتعالى بعباده كما في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»^(١).

وقال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠].

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي...». الحديث، وفيه القدر المذكور (حديث ٢٥٧٧).

* ولما قال الشيطان: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال الله: «فَبِعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَبْرَحُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُوا مِنِّي»^(١).

* وينادي الله ﷻ عباده في الثلث الأخير من الليل: «مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرْ لَهُ»^(٢).

* وحثَّ الله عباده على التَّوْبَةِ النَّصُوحِ: بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التَّحْرِيم: ٨].

* وحثهم على المسارعة إلى التوبة والرجوع إليه: فقال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

[آل عمران: ١٣٣].

* وبين الله سبحانه وتعالى أنه يريد التوبة على عباده: فقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

* * *

فرح الله ﷻ بتوبة العبد

قال النبي ﷺ: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ، إِذَا وَجَدَهَا»^(٣).

(١) أحمد (٣/ ٢٩).

(٢) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٢٨)، ومسلم (٦/ ٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (ص ٢١٠٢)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً.

وقال عليه الصلاة والسلام ^(١) أيضًا: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ ^(٢) مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَالَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ».

وفي الصحيحين ^(٣)، من حديث أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ». وفي لفظ لمسلم ^(٤): «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ، كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بَارِضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيَسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيَسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذَا هُوَ بِهَا، فَأَتَمَّهُ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ».



ووصف الله نفسه بـ: «العفو» وبـ «الغفور» وبـ «التواب»، وبأنه «أهل التقوى» و«أهل المغفرة» في جملة مواطن:

فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣].

وقال سبحانه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

ووصف نفسه بـ «الغفور» فقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا، وأشار إليه البخاري (٢٣٠٨).

(٢) الدويية هي: الأرض القفر، والفلاة الخالية.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦٣٠٩)، ومسلم (ص ٢١٠٥).

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٢٧٤٧).

وقال سبحانه: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾.

[سبأ: ١٥].

ووصف نفسه بأنه «أهل المغفرة»، فقال: ﴿هُوَ أَهْلُ النَّفْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾.

[المدثر: ٥٦].



الله سبحانه وتعالى

يحث نبيه ﷺ على الاستغفار

* **وَحَثَّ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى الاستغفار**، وفي هذا تهيج لأُمَّته على طلب المغفرة وحُضُّ لها على ذلك، إذ قد أمر نبيُّها الذي هو خيرها - بل سيد ولد آدم على الإطلاق - بالاستغفار، ولأُمَّته فيه أسوة حسنة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

* قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

[النساء: ١٠٦].

* وقال سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: ٥٥].

* وقال سبحانه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

* **ففي هذا**، وما ذكر من قبل، كقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وكقوله: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وفي غير ذلك مما تقدم، في هذا كله حثٌّ للجميع على الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله، ونداء للمسرفين على أنفسهم، كي يقبلوا على الله، ويلتمسوا عفوه، ويطلبوا غفرانه.

الأنبياء وأهل الفضل والصلاح

يطلبون العفو ويرجون المغفرة

وكان أسرع الخلق امتثالاً لهذه الأوامر، وإجابةً لهذا النداء هم: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأهل الفضل والصلاح كذلك.

* فيها هو أبونا آدم وأُمُّنا حواء عليهما السلام، لما خالفا أمر الله ﷻ، وأزلهما الشيطان، وأوقعهما في الخطأ بادراً بالتوبة والندم فقالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

* وها هو نوح ﷺ: تأخذه الشفقة على ولده الكافر، فيقول: ﴿رَبِّ إِنِّي بَنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥].

فيقول الله له: ﴿يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

فحينذ يتوجه نوح إلى ربه مستغفراً، ويرجع إلى ربه تائباً، فيقول: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

* وأيضاً: بعد أن ذكر الله قصة نوح مع قومه، وإغراق القوم الكافرين، ونجاة نوح ومن معه أجمعين، قال نوح ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً﴾ [نوح: ٢٨].

* وها هو الخليل إبراهيم ﷺ يقول: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢].

* وها هو موسى ﷺ يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦].
ويقول ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

* **وها هو نبينا ﷺ**، يُعَدُّ له أصحابه في المجلس الواحد: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». وفي رواية: «إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ». مائة مرة^(١).
ويقول عن نفسه: «وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»^(٢).

ويُحِثُّه ربه على الاستغفار، فيقول له: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

[محمد: ١٩]

ويقول سبحانه تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

[النصر: ٣].

* **ويونس ﷺ**، ينادي في الظلمات: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

* **وسليمان ﷺ**، يدعو، فيقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

* **وأبوه داود ﷺ**، يقول الله في شأنه: ﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّهَا فَتَنَةٌ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

* **وها هو أفضل هذه الأمة وخيرها بعد نبينا ﷺ**، ها هو أبو بكر، يسأل رسول الله ﷺ، فيقول له: يا رسول الله، علِّمني دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي. قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود (١٥١٦)، وعبد بن حميد في المنتخب بتحقيقي (حديث ٧٨٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بإسناد صحيح، وانظر تخريجه هناك.

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ١١/١٠١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٢/٣١٧)، ومسلم (١٧/٢٨) مع النووي.

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّوْبَاتِ

* وعمر رضي الله عنه، يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ». وغير هؤلاء كثير.

فكانت التوبة لهم راية، والاستغفار لهم شعارًا، كل كان لربه أوَّابًا.

فتح باب التوبة لمرتكبي الكبائر

وفتح الله ﷻ -باب التوبة والإنابة إليه والاستغفار بعد كل كبيرة من الكبائر حتى لا يقنط أحد من رحمة الله ﷻ، فإهي كبار الذنوب وعظام الجرائم: الشرك والقتل والزنا- يفتح الله الباب أمام مرتكبيها كي يتوبوا منها قبل موتهم قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ﴾ (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ.

[الفرقان: ٦٨-٧١].

* وما هم أصحاب الأخدود: الذين كفروا، وظلموا وحرقوا المؤمنين والمؤمنات، وقذفوهم في النار، وما كان للمؤمنين والمؤمنات من ذنب إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد، هؤلاء أصحاب الأخدود الذين فرَّقوا بين الوالدة وولدها، وقذفوا ولدها أمام عينيها في النار، وجلسوا على حافة الأخدود يتلذذون بمشاهدة أهل الإيمان وهم يقذفون في النيران، ويستمتعون بذلك، هؤلاء أصحاب الأخدود الذين اجتهدوا غاية الاجتهاد لصرف الناس عن دينهم، مع كل هذه الجرائم التي صدرت منهم يفتح الله لهم باب التوبة كي يتوبوا، قال -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنَوْا الْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ يفيد أنهم لو تابوا قبل الله توبتهم، فسبحانك

يا ربنا ما أحلمك وما أرحمك !!!

*** وها هم قطاع الطريق:** تفتح أمامهم أبواب التوبة؛ كي يتوبوا، ويرجعوا عن غيهم وفسادهم، ويقطعوا عن الناس شرهم.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [المائدة: ٣٣، ٣٤].

*** وها هم الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات:**

تفتح أمامهم أبواب التوبة والإنابة إلى بارئهم ومولاهم كي يتوبوا ويقبلوا على عمل الصالحات وإقامة الصلاة وترك الشهوات.

قال سبحانه وتعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾﴾.

[مريم: ٥٩، ٦٠].

*** وهؤلاء الذين يرتكبون الكبائر البشعة؛ من قذف المحصنات الغافلات المؤمنات**

بالزنا والفاحشة: تُفتح أمامهم ^(١) أبواب التوبة من هذا الذنب الكبير، فيقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

[النور: ٤، ٥].

*** وها هو رجل قتل تسعة وتسعين نفساً:** ثم سأل عن أهل الأرض فدلَّ على

(١) وقد اشترط لذلك، كثير من أهل العلم أن يُكذَّب هذا القاذف نفسه، ويظهر براءة المؤمنة، أو المؤمن المقذوف من التهمة التي رماها بها. وسيأتي لذلك مزيد إن شاء الله.

راهب فأتاه، ولكن للأسف!! راهب قليل العلم والفقه، أخبره أن لا توبة له، فقتله فأتى به المائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على عالم، فأتاه فأخبره أن له توبة، فكان ماله بعد ذلك إلى رحمة الله، ﷺ وتلقته ملائكة الرحمة، على ما ورد في الصحيحين^(١)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَاَنْطَلَقَ؛ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَذْنَى، فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَذْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَكَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا، «أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ».

وكذلك هؤلاء القوم الذين لا يعقلون: الذين نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات، لم يراعوا الأدب في ذلك، هؤلاء أيضًا فتح الله لهم باب التوبة والمغفرة لما صدر منهم، إن هم تأدبوا؛ قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝﴾ [الحجرات: ٤، ٥].

(١) البخاري (حديث ٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

فسبحانك ربنا ما أحلمك وما أرحمك!! إذ ناديت العباد فقلت. -وقولك الحق -:
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].
سبحانك، ما أوسع رحمتك، وأعظم حلمك!! إذ قلت: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.
[النساء: ٦٤].

ما أحلمك، وما أرحمك، وما أعظم وأجمل كرمك؟! إذ قلت: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ
يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

وما أعدلك في كل ما قضيت به، وحكمت!!!
فلك الحمد آناء الليل وأطراف النهار.



التحذير من اليأس والقنوط من رحمة الله

فلا ينبغي، أن يقنط أحدٌ أبداً من رحمة الله، فاليأس والقنوط من رحمة الله عَجَبٌ
كبيرة من الكبائر.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].
وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].
وقد ذهب فريق من أهل العلم إلى أن المراد بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا
بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

إن العبد يُذنب، ثم يظن أن ذنبه لا يغفر، فيترك الاستغفار، ويترك الرجوع إلى
الله، فَمِنْ ثَمَّ يَقَعُ فِي التَّهْلُكَةِ^(١). والعياذ بالله.

(١) أخرج الطبري (٣١٦٧) بإسناد صحيح، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

فَتْهُ الدُّنْيَا وَالتَّوْبَاتِ

* وفي الصحيح، عن النبي ﷺ^(١) فيما يحكي عن ربه ﷻ قال: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ».

* **وها هو رجل يكثر من شرب الخمر،** فيؤتى به إلى رسول الله ﷺ، فأخرج البخاري^(٢) من حديث عمر رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يَلْقَبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا^(٣) عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٤).

[البقرة: ١٩٥]، قَالَ: «هُوَ الرَّجُلُ يُصِيبُ الذُّنُوبَ، فَيُلْقِي بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، يَقُولُ: لَا تَوْبَةَ لِي». وفي رواية (٣١٦٩): «هُوَ الرَّجُلُ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيَقُولُ: لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ». وأخرج الطبري نحوه عن عبيدة أيضًا، فأخرج بإسناد صحيح (٣١٧٤) عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيَّ، عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «هُوَ الرَّجُلُ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيَسْتَسْلِمُ وَيُلْقِي بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، وَيَقُولُ: لَا تَوْبَةَ لَهُ. يَعْنِي قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]».

وقال الطبري بعد أن أورد جملة أقوال في تفسير الآية الكريمة: «وَكَذَلِكَ الْآيِسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ لِذَنْبِ سَلَفٍ مِنْهُ مُلِئَتْ يَدَايِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ نَهَى عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]».

(١) أخرجه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

(٣) نقل الحافظ ابن حجر في (ما هنا أقوال، أقربها: ما نقله عن أبي البقاء في إعراب الجمع أنه قال: «ما» زائدة، أي: فوالله علمت أنه. والهمزة على هذا مفتوحة قال: ويحتمل أن يكون المفعول محذوفًا، أي: علمت عليه أو فيه سوء، ثم استأنف فقال: «إنه يحب الله ورسوله».

(٤) عند أبي يعلى (١/ ١٦١) من طريق هشام بن سعد، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ

وفي رواية: أن رجلاً قال: أَخْزَاهُ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ»^(١).

فجدير بالعبد أن لا يقنط أبداً من رحمة الله ﷻ؛ بل كلما سقط ووقع في ذنب قام واستغفر وأناب، فليس ثمَّ أحدٌ بمعصوم من الذنب، وقد قال تعالى في شأن المتقين الذين أعدت لهم الجنان: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فذكر من صفاتهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ وَمَنْ يُغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿[آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

فحتى التقي قد تصدر منه كبيرة!!، قد تزل قدمه، ويقع في فاحشة!! ولكنه يُقلع عنها وينيب إلى ربه ويستغفر.

* وها هم المرسلون، قال تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ (١٠) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿[النمل: ١٠، ١١].

* وموسى الكليم عليه أفضل صلاة، وأتم تسليم وعلى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. قتل نفساً فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ إِلَهُهُ، هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].

يُلَقَّبُ حَمَارًا، وَكَانَ يُهْدِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعُكَّةَ مِنَ السَّمْنِ وَالْعُكَّةَ مِنَ الْعَسَلِ، فَإِذَا جَاءَ صَاحِبُهَا يَتَقَاضَاهُ جَاءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطِ هَذَا ثَمَنَ مَتَاعِهِ، فَمَا يَزِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنْ يَنْتَسِمَ وَيَأْمُرَ بِهِ فَيُعْطَى... فذكر الحديث وفيه: «لَا تَلْعَنُوهُ؛ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ». وإسناده حسن.

(١) هي عند البخاري (٦٧٨١).

* وهؤلاء الذين جاءوا بالصدق، وصدقوا به، قال الله عنهم: ﴿لِيَكْفُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الزمر: ٣٥]. ففيه دليل على أنهم عملوا شيئاً من السوء.

* * *

تحذير من يقنط الناس من رحمة الله

وكذلك، فليحذر العبد، من أن يقنط شخصاً من رحمة الله، فهذا هو مصير الراهب الذي أفتى قاتل التسعة والتسعين نفساً بأنه لا توبة له، قتله الجاني فأتى به المائة.

* وصحَّ عن رسول الله ﷺ^(١) أنه قال: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، مُتَوَاحِشَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلَنِي وَرَبِّي، أَبْعَثْ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، -أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ-، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ: كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ».

وفي صحيح مسلم^(٢)، من حديث جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي عَنْ فُلَانٍ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». أَوْ كَمَا قَالَ.

* * *

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠١)، وإسناده حسن.

(٢) مسلم (حديث ٢٦٢١).

وليحذر العبد من التهاون بالذنوب والمعاصي

فالله سبحانه وتعالى كما وصف نفسه بأنه غفور رحيم، وصف نفسه بأنه شديد العقاب، في غير موطن من كتابه.

✽ قال سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[المائدة: ٩٨].

✽ وقال سبحانه وتعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣].

✽ وقال سبحانه وتعالى: ﴿نَحْنُ عِبَادِي أَفَىٰ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

فكما أنه سبحانه وتعالى يتجاوز عن السيئات، ويعفو عنها، فهو سبحانه يأخذ بالذنوب، ويعاقب به إن شاء.

✽ وقد يظن الشخص أن الذنب صغير، وهو عند الله كبير، كخوض الخائضين بألستهم في أعراض المؤمنين والمؤمنات:

✽ قال الله تعالى في شأن أهل الإفك، الذين خاضوا بألستهم في عرض أمنا الفاضلة عائشة رضي الله عنها: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّةِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

✽ وقال النبي صلى الله عليه وسلم - في شأن صاحبي القبرين -: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ثم قال: «بَلَى» (١). أي: ما يُعَذَّبَانِ في كبير في أنظاركم، ولكنه كبير عند الله سبحانه وتعالى.

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٣٧٨)، وفي عدة مواطن، ومسلم (٢٩٢) واللفظ للبخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، مرفوعاً، وفيه: مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ». ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَىٰ بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا آخِذُهَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ...».

فَتْهُ الدِّعَاءُ وَالتَّعَوُّذَاتِ

* وقال النبي ﷺ لعائشة لما قالت شيئاً في صفية أم المؤمنين، وأنها قصيرة: «لَقَدْ قُلْتُ كَلِمَةً لَوْ مَزَجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»^(١).

* **وها هم أصحاب رسول الله ﷺ** لما خالفوا أمر نبيه محمد ﷺ، يوم أُحُدٍ حلَّ بهم ما حلَّ من الهزيمة والفرار!!!

* **وها هو خادم لرسول الله ﷺ**، يخدم رسول الله! آمن برسول الله ﷺ، لما قُتل قال الصحابة: هنيئاً له خادم رسول الله، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلاَّ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلَ عَلَيْهِ نَارًا»^(٢)!!

* **وها هي امرأة تُعَذِّبُ في هرة حبستها**، لا هي أطعمتها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت^(٣)!!!

* وعلى كلٍّ؛ فصغيرُ الذُّنُوبِ وكبيرُها مُسْتَطَرٌّ. قال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ [القمر: ٥٣].

وقال سبحانه: ﴿أَخْصَنُ اللَّهُ وَسْوَءُ﴾ [المجادلة: ٦].

وقال: ﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ لِمَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٢٥٠٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٣٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «فتحنا خيبر، ولم نغنم ذهباً، ولا فضةً، إنما غنمنا البقر والإبل والتماع والحوائط، ثم أنصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى، ومعه عبدٌ له يُقالُ له: مدغم، أهدها له أحد بني الضباب، فبينما هو يحطُّ رحل رسول الله ﷺ - إذ جاءه سهمٌ عائرٌ، حتى أصاب ذلك العبدَ، فقال الناس: هنيئاً له الشهادة، فقال رسول الله ﷺ: «بل، والذي نفسي بيده، إنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلَ عَلَيْهِ نَارًا...». الحديث

(٣) أخرجه البخاري (٣٣١٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هَرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعَمْهَا، وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ». ونحوه أشار إليه البخاري عقب حديث ابن عمر، وأخرجه مسلم (حديث ٢٦١٩).

وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴿[الكهف: ٤٩].

وقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

شَرًّا يَرَهُ ﴿[الزلزلة: ٧، ٨].



مزيد من النصائح

لمن ابتلوا بالمعاصي وتورطوا فيها

إضافة إلى ما ذُكر، من حَثِّ أصحاب المعاصي على الإقلاع عنها، والندم منها، والتوبة والاستغفار، والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى، وإتباع السيئة بالحسنة، وعدم القنوط من رحمة الله، وترك اليأس من روح الله، إضافة إلى هذا وغيره نسوق هذه النصائح:

مفارقة موطن المعصية:

* يستحب للعاصي، القائم على معصية، الذي لا يستطيع التخلص منها: أن يفارق موطن المعصية، فإذا كان هناك مثلاً: رجلٌ متعلق بامرأة من النساء، ولا يستطيع أن يمنع نفسه من ارتكاب المحرم معها ابتداءً بالنظرة المحرمة، وانتهاءً بالفاحشة، والعياذ بالله.

فخير علاج لهذا المبتلى، بعد تقوى الله، وطلب العون منه سبحانه وتعالى: أن يفارق موطن المعصية، ويترك المكان الذي تتواجد فيه هذه المرأة، وذلك فراراً من فتنتها؛ ولأن الأماكن التي ارتكبت فيها معاصي تُذكر بهذه المعاصي.

* ونحو ذلك:

إذا كان هناك شخص، ابتلي بشرب الدخان، والمخدرات، فليترك أمكنة هذه الأدخنة والمخدرات ويترك أصدقاء السوء الذين يتعاطونها، ويفرّ من هذه الأماكن. وقد دلت على هذا، جملة أدلة من الكتاب العزيز، ومن سنة النبي الأمين،

محمد ﷺ.

* فمن ذلك:

حديث قاتل التسعة والتسعين نفساً^(١)، الذي قتل الراهب فأتى به المائة، ففيه: أنه دُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: «إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ أَنْطَلِقُ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ، فَأَنْطَلِقْ؛ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَأَخْتَصَمْتُ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ...». الحديث.

* ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

* ومن هذا الباب أيضاً قوله:

﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

* ومن هذا الباب كذلك: تغريب الزاني، فالزاني البكر يُجلد مائة، ويُغرب عاماً، وفي هذا، والله أعلم؛ فضلاً عن الردع بهذه العقوبة، ففيه إبعاده عن موطن المعصية كذلك.

* ومن ذلك أيضاً قوله تعالى:

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

ترك المجاهرة بالمعصية:

ويُنصح من ابتلي بمعصية: ألا يُجَاهِر بهذه المعصية، فقد صح، عن النبي ﷺ أنه

(١) وقد تقدم.

قال: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»^(١).

فضلاً عن ذلك، فإن في المجاهرة بالمعصية؛ نشرًا وإفشاءً لها، مما يُحْمَلُ المجاهرَ إثمٌ مَنْ اقترف مثل هذه المعصية، لقول النبي ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»^(٢).

فينبغي أن يستر المذنب على نفسه، بل عليه أن يجتهد في التوبة والاستغفار والستر على نفسه، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

قوة العزيمة ونماذج لتوبة بعض التائبين:

فينبغي أن يقوِّي الشخص عزمته، ويقبل على التوبة إلى الله سبحانه وتعالى بقلبه ولسانه وجوارحه، ويقطع عن المعاصي، ويدع الضعف والخور، وقد ضرب لنا سلفنا الصالح أروع الأمثلة في ذلك.

* **فها هي امرأة تأتي معترفة بذنبها، تريد أن تتطهر من ذنبها، وتلقى الله، ولا تَبِعَةَ** عليها، فتَجُودُ بنفسها لله سبحانه وتعالى، وتأتي معترفةً بالذنب إلى رسول الله ﷺ؛ كي يقيم عليها الحد، ويهدأ بالها، ويسكن خاطرها، ولا تَهْمَنَهَا الملابس المحيطة بها، ولا يَهْمَنَهَا حَمْلُهَا الذي في بطنها، ولا وليدها بعد أن وضعت، تلك هي الغامدية، وهذه هي قصتها التي يقشعُرُ لها الجلد، ويرقُّ لها القلب، ويقف معها الفؤاد وجلاً، وها هي قصتها كما في الصحيح^(٣)، من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه: «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

(٣) صحيح مسلم (حديث ١٦٩٦).

جُهِينَةَ أَتَتْ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزَّنى، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَصَبْتُ حَدًّا^(١)، فَأَقِمَّهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: «أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعْتَ فَأْتِنِي بِهَا»، فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَشُكَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرَجَمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَقَدْ زَنْتَ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى؟!»،

*** وَهَا هُوَ رَجُلٌ آخِرٌ يَأْتِي مُعْتَرِفًا بِذَنْبِهِ يَرِيدُ التَّطَهْرَ،** يَأْتِي عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

فَيُعَرِّضُ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَيَتَحَوَّلُ عَنْ يَسَارِهِ، كُلُّ ذَلِكَ كَيْ يَتَطَهَّرَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَهَا هِيَ قِصَّتُهُ، وَهَذَا هُوَ حَدِيثُهُ كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ^(٢):
أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنَ النَّاسِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَنَادَاهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي زَنَيْتُ، -يُرِيدُ نَفْسَهُ-، فَأَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَتَنَحَّى لِشِقِّ وَجْهِهِ الَّذِي أَعْرَضَ قَبْلَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي زَنَيْتُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَجَاءَ لِشِقِّ وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي أَعْرَضَ عَنْهُ، فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ، دَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَبْكَ جُنُونٌ؟» قَالَ: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَخْصَنْتَ؟» قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ».

*** وَهَا هُوَ تَصَرَّفٌ فِي غَايَةِ مِنَ الثَّبَاتِ،** وَالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، حَقًّا إِنَّهُ

تَصَرَّفَ رَشِيدٌ صَدَرَ مِنْ قَلْبِ أَوَّاهٍ مَنِيْبٍ، هَا هُوَ مَا عَزُ وَتِلْكَ هِيَ الْغَامِدِيَّةُ، وَهَا هِيَ قِصَّتُهُمَا، كَمَا أَوْرَدَهَا مُسْلِمٌ^(٣) فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ بَرِيدَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ مَا عَزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهَّرْنِي، فَقَالَ: «وَيْحَكَ»^(٤)، ارْجِعْ

(١) أي: ارتكبت أمرًا يوجب الحدَّ.

(٢) البخاري (حديث ٦٨٢٥)، ومسلم (١٣١٨).

(٣) مسلم (١٦٩٥).

(٤) ويحك. قال في النهاية: ويح: كلمة ترحم وتوجع، يقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها.

فَتْهُ الدِّعَاءُ وَالتَّعَوُّذَاتِ

فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهَّرْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: «فِيمَ أَطَهَّرُكَ؟» فَقَالَ: مِنَ الزَّنى، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبِهَ جُنُونٌ؟» فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، فَقَالَ: «أَشْرَبَ خَمْرًا؟» فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَ^(١)، فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمَرٍ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَزْنَيْتَ؟» فَقَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ: قَائِلٌ يَقُولُ: لَقَدْ هَلَكَ، لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ. وَقَائِلٌ يَقُولُ: مَا تَوْبَةُ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَا عَزِ، أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ، قَالَ: فَلَبَّثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ»، قَالَ: فَقَالُوا: غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ»، قَالَ: ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ^(٢) مِنَ الْأَزْدِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَهَّرْنِي، فَقَالَ: «وَيَحَكِّ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ» فَقَالَتْ: أَرَاكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَدْتَ مَا عِزَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَتْ: إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزَّنى^(٣)، فَقَالَ: «أَنْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهَا: «حَتَّى تَضْعِي مَا فِي بَطْنِكَ»، قَالَ: فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ^(٤) حَتَّى وَضَعَتْ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «قَدْ وَضَعَتِ الْغَامِدِيَّةُ»، فَقَالَ: «إِذَا لَا تَرْجُمُهَا وَنَدْعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: إِلَيَّ رَضَاعُهُ^(٥) يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: «فَرَجَمَهَا». وللحديث رواية أخرى عند مسلم أيضاً، فيها:

(١) فاستنكهه: أي: شمَّ رائحة فمه، طلب نكحته بشم فيه، والنكحة رائحة الفم.

(٢) غامد: بطن من جهينة.

(٣) إنها حبلى من الزنى: أرادت: إني حبلى من الزنى، فعبرت عن نفسها بالغيبة.

(٤) فكفلها رجل من الأنصار: أي: قام بمؤنتها ومصالحها، وليس هو من الكفالة التي هي بمعنى الضمان،

لأن هذا لا يجوز في الحدود التي لله تعالى.

(٥) إليَّ رضاعه: إنما قاله بعد الفطام، وأراد بالرضاعة: كفايته وتربيته، وسماه رضاعاً مجازاً.

أن ماعز بن مالك الأسلمي، أتى رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَزَيَّيْتُ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي، فَرَدَّهُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ زَيَّيْتُ، فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: «أَتَعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بَأْسًا، تُنْكِرُونَ مِنْهُ شَيْئًا؟» فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا وَفِي الْعَقْلِ، مِنْ صَالِحِينَ فِيمَا نَرَى، فَأَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا فَسَأَلَ عَنْهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ، وَلَا بِعَقْلِهِ، فَلَمَّا كَانَ الرَّابِعَةَ حَفَرَ لَهُ حُفْرَةً، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ.

قَالَ، فَجَاءَتِ الْغَامِذِيَّةُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ زَيَّيْتُ فَطَهِّرَنِي، وَإِنَّهُ رَدَّهَا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَرُدُّنِي؟ لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا، فَوَاللَّهِ إِنِّي لِحَبْلَى، قَالَ: «إِمَّا لَا فَاذْهَبِي» ^(١) حَتَّى تَلِدِي، فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خُرْقَةٍ، قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ، قَالَ: «اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ»، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةٌ خُبْزٍ، فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فَيُقْبَلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ^(٢) بِحَجَرٍ، فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ ^(٣) الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ: «مَهْلًا يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ».

ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا، وَدُفِنَتْ.

* هَا هُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانُوا مُوَلَّعِينَ بِشَرْبِ الْخَمْرِ قَبْلَ تَحْرِيفِهَا، فَمَاذَا

(١) إِمَّا لَا فَاذْهَبِي: هو بكسر الهمزة من (إما) وتشديد الميم. الأصل: إن ما، فأدغمت النون في الميم وحذف فعل الشرط فصار (إمّا) لا، ومعناه: إذا أبيت أن تستري على نفسك وتتوب وترجعني عن قولك فاذهبي حتى تلدي، فترجعين بعد ذلك.

(٢) فيقبل خالد: حكاية للحال الماضية، أي: فأقبل.

(٣) فتنضّح: روي بالحاء المهملة وبالمعجمة، والأكثر على المهملة، ومعناه: ترشش وانصب. قاله النووي.

كان منهم لما نزل تحريم الخمر رضي الله عنهم وأرضاهم؟ فقد أمروا بدنان الخمر وأوعيتها أن تُكسَّر وتُهراق، فجرت في سكك المدينة، وهاهو الحديث بذلك.

أخرجه البخاري ومسلم^(١)، من حديث أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: (واللفظ لمسلم) كُنْتُ سَاقِي الْقَوْمِ، يَوْمَ حُرِّمَتِ الْخَمْرُ فِي بَيْتِ أَبِي طَلْحَةَ، وَمَا شَرَابُهُمْ إِلَّا الْفَضِيخُ: الْبُسْرُ وَالتَّمْرُ، فَإِذَا مُنَادٍ يُنَادِي، فَقَالَ: اخْرُجْ فَانْظُرْ، فَخَرَجْتُ، فَإِذَا مُنَادٍ يُنَادِي: «أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ»، قَالَ: فَجَرَّتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: اخْرُجْ فَاهْرِقْهَا.

فَقَارَنُ بَيْنَ عَزِيمَةِ هَؤُلَاءِ الْأَفْذَادِ، وَعَزِيمَةِ أَهْلِ زَمَانِنَا -إِنْ صَحَّتِ الْمَقَارَنَةُ-، أَهْلُ زَمَانِنَا يَتَنَاوَلُ أَحَدُهُمُ الدُّخَانَ وَتَحْتُهُ عَلَى الْإِقْلَاعِ عَنْهُ لَضَرُّهُ وَتَدْمِيرُهُ لِلْبَدَنِ وَلَمَّا فِيهِ مِنَ الْإِسْرَافِ، فَيَمَاطِلُ أَحَدُهُمْ أَشَدَّ الْمَمَاطِلَةِ، وَيَجَادِلُ غَايَةَ الْجِدَالِ، فَشَتَّانِ مَا بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَأَوْلَئِكَ، وَأَيْنَ الثَّرِيَّا وَأَيْنَ الثَّرَى؟!!

أَلَا تَتَأَسُّ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، بِهَذَا الرَّجُلِ فِي عَزِيمَتِهِ، ذَلِكُمُ الرَّجُلُ الَّذِي قَعَدَ بَيْنَ رَجُلِي ابْنَةِ عَمِّهِ كَيْ يَزْنِيَ بِهَا، فَلَمَّا قَالَتْ لَهُ: اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفْضُصْ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، قَامَ وَتَرَكَهَا، وَانْصَرَفَ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تعالى؟! ها هي قصته -إِنْ لَمْ تَكُنْ تَذْكُرْهَا-، أَخْرَجَهَا الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ^(٢)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله، أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ^(٣) فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَامْرَأَتِي، وَلِي صَبِيَّةٌ صَغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ^(٤)، حَلَبْتُ،

(١) أخرجه البخاري (٥٥٨٢)، ومسلم (١٩٨٠) واللفظ لمسلم .

(٢) البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٣) غار، الغار: الثقب في الجبل.

(٤) فإذا أرحت عليهم، أي: إذا رددت الماشية من المرعى إليهم، وإلى موضع مبيتها، وهو مُراحها، يُقال:

فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ، فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمِ الشَّجَرِ^(١)، فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَحِثْتُ بِالْحَلَابِ^(٢)، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصَّبِيَّةَ قَبْلَهُمَا، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ^(٣) عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبِي^(٤) وَدَائِبُهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً، فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ.

وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ، أَحْبَبْتُهَا، كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعَبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَحِثْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رَجُلَيْهَا^(٥)، قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ^(٦)، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ.

وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا يَفْرِقُ أَرْزُ^(٧)، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرْقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ^(٨)، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقْرًا

أَرَحْتُ الماشية وروحها، بمعنى.

(١) نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمِ الشَّجَرِ وفي بعض النسخ: (نأى بي)، هما لغتان وقرأتان، ومعناه بعد، والنأى البعد.

(٢) بِالْحَلَابِ: الإناء الذي يحلب فيه، يَسْعُ حَلْبَةُ نَاقَةٍ، ويُقال له: المحلب. قال القاضي: وقد يريد بالحلاب هنا اللبن المحلوب.

(٣) يَتَضَاغُونَ: أي: يصيحون ويستغيثون من الجوع.

(٤) فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبِي: أي: حالي اللازمة.

(٥) فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رَجُلَيْهَا: أي: جلست مجلس الرجل للوقاع.

(٦) لَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، الْخَاتَمُ: كناية عن بكارتها. وقولها: «بحقه» أي: بنكاح، لا بزنى.

(٧) يَفْرِقُ: يفتح الرء وإسكانها، لغتان، الفتح أجود وأشهر، وهو: إناء يسع ثلاثة أصع.

(٨) فَرَغِبَ عَنْهُ: أي: كرهه وسخطه وتركه.

وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي، قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا، فَخُذْهَا فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرِ وَرِعَاءَهَا، فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ».

أَلَا تَتَأَسَّ بِالصَّدِيقِ يَوْسُفَ، وَتَقْتَدِي بِهِ فِي رَفْضِهِ لِلْفَاحِشَةِ، وَبُعْدِهِ عَنِ الْخَنَاءِ وَالزَّانَا، وَلِجُورِهِ إِلَى اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كِي يَنْجِيهِ وَيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ.

وقوله: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

* **ها هو رجل آخر صحابي يُقال له:** مرثد، كان يحب امرأة يُقال لها: عناق، ويزني بها في جاهليته فكفّه دينه، ومنعه إيمانه بعد أن أسلم من الزنا بها، وأعرض عنها، وهاهي قصته رضي الله عنه، أخرجها الترمذي ^(١) بإسناد حسن من طريق: عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: كان رجل يقال له: مرثد بن أبي مرثد، وكان رجلاً يحمل الأسرى من مكة ويأتي بهم المدينة، قال: وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها: عناق وكانت صديقة له، وإنه كان وعد رجلاً من أسارى مكة يحمله، قال: فجيئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة، قال: فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلي بجانب الحائط، فلما انتهت إلي عرفت، فقالت: مرثد؟ فقلت: مرثد. فقالت: مرحباً وأهلاً هلم فبت عندنا الليلة. فقلت: يا عناق حرّم الله الزنا، قالت: يا أهل الخيام، هذا الرجل يحمل أسراءكم، قال: فتبعني ثمانية وسلكت الخندمة فأنتهيت إلى كهف أو غار فدخلت، فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظل بولهم على رأسي وعماهم الله عني، قال: ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي فحملته وكان

(١) الترمذي (٤ / ١٥٢).

رَجُلًا ثَقِيلًا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْإِذْخِرِ، فَفَكَكْتُ عَنْهُ أَكْبَلَهُ فَجَعَلْتُ أَحْمِلُهُ وَيُعِينَنِي حَتَّى قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْكِحْ عَنَاقًا؟ فَأَمْسَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَتْ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَرْثُدُ! الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ» فَلَا تُنْكِحُهَا».

ألا فليبادر المؤمن إلى الاستغفار من ذنبه والإقلاع عنه، وليستغفر لإخوانه المؤمنين والمؤمنات الذين سبقوه بالإيمان، وليعلم المؤمن أن هناك ملائكة تستغفر له.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

* * *

* ومن لوازم الاستغفار:

التحلل من المظالم

أما بالنسبة للذنوب والمعاصي والجرائم التي ارتكبتها الشخص في حق المؤمنين والمظالم التي ظلمهم بها: فيجب عليه أن يتحلل منهم في ذلك قدر استطاعته، ويرد إليهم المظالم التي ظلمهم بها.

* **فيها هو الشهيد يُغفر له كلُّ ذنبٍ إلا الدين^(١):**

ففي صحيح مسلم^(٢)، أن النبي ﷺ، قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٨٨٦)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ، قال: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ، إِلَّا الدِّينَ».

(٢) مسلم (حديث ٢٥٨١).

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

فِينَا، مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»

فإذا سرق رجل مالا من شخص يعرفه، فلا يكفي أن يقول: «أستغفر الله» بل عليه أن يرد المال إلى صاحبه.

كذلك إذا أفتى عالم من العلماء الناس فتية فعشهم فيها عن عمد، فلا يكفي أن يقول: «أستغفر الله». بل عليه أن يبين وجه الصواب في هذه الفتيا.

يدل على هذا وذاك، قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠].

* وقول النبي ﷺ عن المؤمنين: «إِذَا خَلَصُوا مِنَ النَّارِ، حُسِبُوا عَلَى قَنْطَرَةِ الْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ، كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا»^(١).

* وقال النبي ﷺ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الْقُرْنَاءِ»^(٢).

* وكذلك من قذف امرأة بالزنا، وهي بريئة لا يكفي في توبته قوله: «أستغفر الله» فالله ﷻ يقول: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿[النور: ٤، ٥].

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، حُسِبُوا بِقَنْطَرَةِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نَقُّوا وَهَدُّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحْذُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَذْلَ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا».

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

المعصية إذا لم يتب منها العبد تجرُّ إلى معصية أخرى

هذا وليعلم، أن المعصية تجرُّ إلى معصية أخرى إذا لم يحدث لها توبة وإنابة واستغفاراً، وكذلك فالذنوب ينمو، ويزداد إذا لم يتب منه العبد، والشيطان يستزل العبد بمعاصيه.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥].

فقوله: ﴿اسْتَزَلَّهُمُ﴾ أي: أوقعهم في الزلة، وهي الخطيئة، وقد ذكر بعض العلماء في ذلك أقوالاً:

منها: أن القوم (الذين فرُّوا) كانوا، قد ارتكبوا أخطاء فيما سلف، إما قبل القتال، وإما في أثنائه بتركهم مواقعهم ومخالفتهم أمر رسول الله ﷺ، فخشوا، أن يواجهوا العدو، وهم على هذه الحال من الذنوب، فدفعهم ذلك إلى الفرار، والله تعالى أعلم.

* وإذا نظر العبدُ نظرةً إلى شيءٍ محرَّم، ولم يحدث له هذه النظرة توبةً فسرعان ما ينمو أثرها، ويستقر في قلبه استقراراً، قد يؤول إلى الفاحشة، عياداً بالله.



تفاوت كفارات الذنوب بحسب عظم الذنب

وكلمة أستغفر الله، ليست بكافية لمحو أثر الذنب في كل الأحوال، فلكلّ ذنب كفارةٌ بحسبه تكفي لمحوه، وتدميره بإذن الله^(١)، فنظرة الرجل إلى امرأة لا تحل له، قد يكفي لمحو أثر الذنب المتعلق بها قول الرجل: «أستغفر الله»، وقُبلة الرجل للمرأة التي لا تحل له أمرٌ فيها النبي ﷺ بالوضوء، وصلاة ركعتين، كما أسلفنا، ولو كانت كلمة «أستغفر الله» وحدها كافية لاقتصر عليها رسول الله ﷺ.

* ثم الزنا أشدّ وأعظم من أن يُكفّر بصلاة ركعتين، وقد رجم النبي ﷺ في الزنا لما جاءه ماعز، وقال له: طهرني يا رسول الله. وقد جلد النبي ﷺ في الزنا أيضًا من لم يُحصن.

* ومن نسي صلاة من الصلوات، لا يكفي أن يقول: «أستغفر الله»؛ بل لابد له من صلاتها، روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ» ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٢) [طه: ١٤].

هذا، فيمن نسيها لا يقبل منه، أن يقول فقط: «استغفر الله»؛ بل عليه أن يصلّيها ولا بدّ، فكيف بمن تركها عمدًا؟!!

* والبزاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها، كما صح عن النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم، من حديث أنس رضي الله عنه^(٣)، فلا يكفي لمحو ذنب البزاق في المسجد، أن تقول: «أستغفر الله».

* وصحّ عن رسول الله ﷺ، فيما أخرجه البخاري ومسلم، أنه قال في شأن

(١) هذا من باب الأسباب والمسببات، وإلا فالله سبحانه يغفر الذنوب جميعًا إن شاء، ولو بدون صدور الاستغفار من العبد، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٩٧)، ومسلم (حديث ٦٨٤).

(٣) البخاري (٤١٥)، ومسلم (٥٥٢).

الحالف باللات والعزى: «مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ، فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: بِاللَّاتِ، فَلْيُقْل: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أَقَامِرَكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ»^(١).

* وأخرج مسلم، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ ضَرَبَ غُلَامًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ أَوْ لَطَمَهُ، فَإِنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ يُعْتِقَهُ»^(٢).

* وصح^(٣)، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ؛ مِنْ عَرَضِهِ، أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدَرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ».

* وقال النبي ﷺ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الْقَرَنَاءِ»^(٤).

فلزم هنا التحلل من المظالم؛ فضلاً عن الاستغفار.

واليمين المنعقدة، ليست كفارتها، ان يستغفر العبد ربه؛ بل كفارتها، كما قال تعالى: ﴿فَكَفَّرْنَاهُ بِإِطْعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرُهُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

* أما الظهار: فكفارته أعظم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَُمْ تَوْعُظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [٣] فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا*.

[المجادلة: ٣، ٤].

* والمُجَامَعُ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، أمره النبي ﷺ بعنق رقبة، فلما لم يجد أمره بصيام

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩١/١١)، ومسلم (مع النووي ١٠٦/١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً.

(٢) مسلم (ص ١٢٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٤٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً.

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٨٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً.

شهرين متتابعين، فلمَّا لم يجد أمره بإطعام ستين مسكينًا.

*** وقتل الخطأ** لا يكفي فيه أن يقول العبد: «أستغفر الله»؛ بل لابد فيه من دية.

*** وذهب كثيرٌ من أهل العلم، إلى أن من ترك واجبًا من واجبات الحج يهريق دمًا.**

وقد قدمنا لذلك نماذج آخر في ثنايا هذا الكتيب، فلذلك أذكر نفسي، وإخواني مكرراً أنه ينبغي أن لا يُستحقر الذنب؛ بل على العبد أن يعمل بعد الذنب طاعات توازيه، وتزيد عليه حتى يمحى هذا الذنب، وإن كان ممَّا يتعلَّق بالعباد فعليه أن يتحلل منهم، ويدافع عن أعراضهم، كما وقع فيها، ويرد حقوقهم كما سلبها منهم، ومع ذلك كله يطلب من الله العفو والمغفرة.

فهناك ذنوبٌ تحتاج إلى قول: «أستغفر الله» وذنوبٌ تحتاج مع الاستغفار إلى صلاة ركعتين.

وذنوبٌ لا تكفي لإزالتها -إلا إذا شاء الله- صلاة ركعتين؛ بل تحتاج إلى الصلوات الخمس لتكفيها.

وذنوبٌ لا تكفي الخمس لمحو أثرها، فتحتاج إلى صلاة الجمعة، بما ورد فيها من شروط لتكفير الخطايا.

وذنوب لا تكفي الجمعة لتكفيرها فتحتاج إلى رمضان يكفرها.

وذنوب آخر العمرة كفيلة بتدميرها، ومحو أثرها بإذن الله.

وذنوبٌ لا يكفيها إلا الحج.

وذنوبٌ آخر أمرها موكل إلى الله تعالى، ولا يكفي عمل العبد لمحوها، إنما أمرها إلى الله سبحانه وتعالى إن شاء غفرها، وإن شاء عاقب عليها، فليكن العبد معها دائماً في خوف ورجاء، خوف من العقوبة عليها، ورجاء في رحمة الله ﷻ.

وما توفيقنا إلا بالله، نسأله سبحانه العفو والمغفرة. والله أعلم.

مسألة

*** هل يجوز للشخص، أن يطلب من شخص يظن فيه الصلاح أن يستغفر له؟**

الظاهر: أن هذا جائز؛ بل مشروع مستحب، فقد قال عمر لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله، استغفر لي»^(١).

وقال الله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

وقال عمر رضي الله عنه لأويس: استغفر لي، فاستغفر له، وها هي قصته^(٢)، كما رواها مسلم، من طريق أسير بن جابر، أن أهل الكوفة، وفدوا إلى عمر، وفيهم رجل ميمّن كان يسخر بأويس، فقال عمر: هل هاهنا أحد من القرينين؟ فجاء ذلك الرجل، فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد قال: «إن رجلاً يأتيكم من اليمين، يقال له: أويس، لا يدع باليمين غير أمّ له، قد كان به بياض، فدعا الله فأذهب عنه، إلا موضع الدّينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم».

وفي رواية لمسلم، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن خير التابعين، رجل يقال له: أويس، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم».

وفي رواية لمسلم أيضاً، من طريق أسير بن جابر، قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمين، سألهم: أفياكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: فكان بك، برص، فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم، قال: لك والدّة؟ قال: نعم،

(١) البخاري (حديث ٢٤٦٨)، ومسلم.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٤٢) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ^(١)، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فافْعَلْ» فَاسْتَغْفِرَ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبَاءِ النَّاسِ^(٢) أَحَبُّ إِلَيَّ.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوَافَقَ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، قَالَ: تَرَكَتُهُ رَثَ الْبَيْتِ^(٣)، قَلِيلَ الْمَتَاعِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا بَرَّةَ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فافْعَلْ» فَاتَى أُوَيْسًا فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحَدْتُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ، قَالَ أُسَيْرٌ: وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً، فَكَانَ كُلَّمَا رَأَاهُ إِنْسَانٌ، قَالَ: مِنْ أَيْنَ لَا أُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ؟!

* وقال إخوة يوسف ﷺ لأبيهم: ﴿يَتَابَانَا أَسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾.

[يوسف: ٩٧].

وفي صحيح مسلم^(٤)، أن أُمَّ الدَّرْدَاءِ، قَالَتْ لَصَفْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ، فَقُلْتُ (أي صفوان): نَعَمْ، قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ:

(١) أمداد أهل اليمن، هم الجماعة الغزاة الذين يمدون جيوش الإسلام في الغزو، واحدهم «مدد».

(٢) غبراء الناس: أي: ضعافهم وصعاليكهم، وأخلاقهم الذين لا يؤبه لهم.

(٣) رث البيت: هو بمعنى قليل المتاع، والرائثة والبذاة، بمعنى واحد، وهو: حقارة المتاع وضيق العيش.

(٤) مسلم (مع النووي ١٧ / ٥٠).

«دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ...» الحديث.

* * *

* والاستغفار للمشركين غير جائز:

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝﴾ (١١٣) وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿[التوبة: ١١٣، ١١٤].

أي: فإن احتجَّ محتجٌّ بأن إبراهيم استغفر لأبيه، حين قال: ﴿وَاعْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦].

فهذا الاحتجاج، مردودٌ على المحتجِّ به، فإن إبراهيم، إنما قال مقالته: ﴿وَاعْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾. لوعِدٍ كان قد وعد به أباه من قبل، حيث قال له: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧]. وأيضًا، فإن الله قال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوْمِ هُمُ الْبَاقُونَ بِرَاءً مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴿[الممتحنة: ٤]. أي: فلا تتأسوا بإبراهيم عليه السلام في مقالته لأبيه المشرِك.

* هذا، وقد صحَّ عن النبي ﷺ، أنه قال: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي، أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذَنْ لِي»^(١).

* * *

(١) أخرجه مسلم (حديث ٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

ومن أدب الاستغفار^(١): أن يعزم العبد المسألة:

ولا يقولنَّ العبدُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنَّ شِئْتَ»، ولكن ليعزم المسألة، لما صحَّ، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنَّ شِئْتَ، لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لَا مُكْرَهَ لَهُ»^(٢).



(١) ويرد في هذا الباب أدب الدعاء، وقد أفردتُ له بابًا في رسالتي «من فقه الدعاء»، فلا استغفار - كما قدمنا - نوع دعاء، ودعاء بطلب المغفرة، فلتنظر سائر الآداب هناك.

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتحة ١١ / ١٣٩)، ومسلم (١٧ / ٣٨٥٤ مع النووي).

من موانع المغفرة^(١)

ابتداءً فالله ﷻ، يغفر لمن يشاء، ولكن هناك ذنوب إذا مات عليها العبد، ولم يتب منها لا تغفر، كالشرك بالله، والعياذ بالله.

قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

[النساء: ١١٦].

*** وأيضاً:** فهناك موانع تمنع مغفرة الذنوب، إلا أن يشاء الله، من حديث أبي هريرة^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ، لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ؛ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ؛ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ؛ حَتَّى يَصْطَلِحَا».

*** ومن ذلك أيضاً:** أكل الحرام، فإذا دعا العبد ربه، وهو آكلٌ لأموال الناس بالباطل، ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وملْبَسُهُ حَرَامٌ، فجديرٌ بأن لا يستجاب له، ففي صحيح مسلم، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُتِيَهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّهُمْ مِنْ طَيِّبَاتٍ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟».

(١) ومن ذلك، عموم موانع إجابة الدعاء.

(٢) مسلم (٢٥٦٥).

*** وكذلك:** للمجاهرة بالذنوب، تأثيرٌ في عدم غفرانها، قال النبي ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَاْفَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ»، وقد تقدم.

* * *

وللاستغفار فضائل وفوائد:

*** فمنها: تكفير السيئات، ورفع الدرجات:**

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحریم: ٨].

وتقدم أن الله ﷻ، يُنادي في الثلث الأخير من الليل: «مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي، فَأَغْفِرَ لَهُ...»^(١)، تقدم قوله تعالى في الحديث القدسي أيضًا: «فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرَ لَكُمْ».

وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ؛ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتَغْفَارٍ وَلَدِكَ لَكَ»^(٢).

*** ومن فوائده:** أنه سبب لسعة الرزق^(٣) والإمداد بالمال والبنين:

(١)، (٢) كلاهما صحيح، وقد تقدما.

(٣) حسن، أخرجه أحمد (٥٠٩ / ٢) من حديث أبي هريرة ؓ، مرفوعًا.

(٤) وهنا نلفت النظر على وجه السرعة لبعض أسباب سعة الرزق، لمن أراد هذه السعة:

*** فمن ذلك،** كما أسلفنا: الاستغفار، وقد قدمناه أدلته.

*** ومن ذلك:** الدعاء، كما دعا من كان قبلنا، فهذا نبي الله عيسى ؑ قال: ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾. وأيضًا ففي صلاة الاستسقاء دعاءٌ وطلبٌ للسقيا، وقال سليمان ؑ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنِّي بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

*** ومن ذلك:** التعوذ من الفقر.

*** ومن ذلك:** الإيمان وتقوى الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(٤) ويرزقه من

حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿[الطلاق: ٢، ٣].

وقال تعالى: ﴿أَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴿[المائدة: ٦٥، ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرَجَةِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَذَبُوا فَاَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿[الأعراف: ٩٦].

* **ومن ذلك أيضًا:** الإنفاق في أوجه الخير، ففي الحديث القدسي: «أَنْفَقْ يَا ابْنَ آدَمَ، أَنْفَقْ عَلَيْكَ». أخرجه البخاري (٤٩٧/٩)، ومسلم (٩٩٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿[سبا: ٣٩].

* **ومن ذلك:** شكر نعم الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿[إبراهيم: ٧].

* **ومن ذلك:** صلة الأرحام، قال النبي ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسَيِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ». أخرجه البخاري (٢٠٦٤، ٥٩٨٥، ٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

* **ومن ذلك:** المتابعة بين الحج والعمرة، فقد قال النبي ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّ مُتَابَعَةَ بَيْنَهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ الْحَبْثَ». أخرجه النسائي (١١٥/٥) من حديث ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما مرفوعًا. وإسناده صحيح.

* **ومن ذلك:** صدق التوكل على الله، لما ورد عن رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا». أخرجه أحمد (٣٠/١)، والترمذي (مع التحفة ٨/٧)، وعبد بن حميد في المنتخب بتحقيقي (١٠) وهو صحيح.

* ولا يخفى على اللبيب حديث: «اسْقِ أَرْضَ فُلَانٍ» الذي أخرجه مسلم (حديث ٢٩٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَا رَجُلٌ بِقَلَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ» [«اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ» الحديقة: القطعة من النخيل، وتطلق على الأرض ذات الشجر] فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابَ [فتنحى ذلك السحاب معنى تنحى: قصد، يُقَالُ: تنحيت الشيء وانتحيته ونحوته إذا قصدته، ومنه سمي علم النحو، لأنه قصد كلام العرب] فَافْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ [الحرّة: أرض بها حجارة سود كثيرة] فَإِذَا شَرْجَةٌ [وجمعها شراج، وهي سابل الماء في الحرار] مِنْ تِلْكَ الشَّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمَسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ - لِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ - فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَأْوُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لَا سَمِيكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتُ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظَرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلْثِهِ، وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلْثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلْثَهُ» وفي رواية لمسلم: «وَأَجْعَلُ ثُلْثَهُ فِي الْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ». ولا يفوت العبد الأخذ بالأسباب كما أمره الله بذلك فإن الله قال: ﴿فَاتَمَشُوا فِي مَنَاقِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿[الملك: ١٥].

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وقال الله سبحانه: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [هود: ٣].

*** ومن فوائده:**

أنه سبب لحصول القوة البدن كذلك.

قال هود لقومه: ﴿وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢].

*** ومن فوائده: أنه سبب لدفع المصائب ورفع البليات:**

فالمصائب في كثير من الأحيان سببها الذنوب والمعاصي ^(١) كما قال تعالى: ﴿وَمَا

وقال: ﴿وَأَخْرُوجُ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: ٢٠].

فهذه جملة أسباب يلتبسها من أراد الثراء، والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

(١) وإن كانت هناك ابتلاءات تقع في بعض الأحيان لإظهار الصادق من الكاذب، ولإنباء المؤمنين وتمحيصهم، ومحق الكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١].

وكما قال سبحانه: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا بِهِمْ لَوْلَا نَفْعُ الْفِتْنَةِ ﴿٢﴾﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

وضبط هذا يمكن في: أن العبد ينظر في نفسه، فإن وجدها خفيفة من الذنوب، فليعلم أن ما وقع فيه إنما هو ابتلاء من الله، فليوطن العبد نفسه على الصبر والرضا بأقدار الله سبحانه وتعالى، وأيضًا ليكثر من الاستغفار فلعله فعل ذنبًا وهو لا يشعر.

أما إذا رأى العبد، نفسه مرتكبًا للمعاصي، ومسرّفًا على نفسه، وحلت به بلية، فليعلم؛ أنها بسبب كسبه؛ فليقلع عن الذنب والمعصية فورًا، وليؤدّ المظالم إلى أهلها، ويقبل على التوبة، والاستغفار، والإنابة، والرجوع إلى الله، وليكثر من أعمال البر والخير المكفرة للذنوب.

أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿[الشورى: ٣٠].
وكما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

[الأعراف: ١٦٨].

وكما قال تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

[البقرة: ٥٩].

فالمصيبة تنزل في كثير من الأحيان بذنب، فإذا أحدث العبد استغفاراً، وتوبة نصوحاً من هذا الذنب ترتفع المصيبة بإذن الله، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

*** ولذلك،** كان أهل الإيمان إذا واجهوا عدواً تذكروا أن الذنوب سبب في تسلط العدو عليهم، فالذي يُسلط هو الله، والذي يكف اليد هو الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَنْتُكُمْ﴾ [النساء: ٩٠].

وكما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

وكما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [الفتح: ٢٤].
فمن ثم كان أهل الإيمان، يستغفرون الله من ذنوبهم؛ حتى لا يتسلط عليهم العدو بسببها.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

*** أما كون الاستغفار سبباً لرفع البلاء:** فقد قال الله سبحانه وتعالى، في شأن نبيه

يونس عليه السلام: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

[الصفات: ١٤٣، ١٤٤]

ووصف تسبيحه، في آية أخرى، بأنه: ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

* * *

ومن فوائد الاستغفار

أنه سبب لبياض القلب وصفائه ونقاؤه

فالذنوب، تترك أثراً سيئاً وسواداً على القلب، كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ، إِذَا أَذْنَبَ، كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ، وَنَزَعَ، وَاسْتَغْفَرَ، صُفِّلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ، زَادَتْ، حَتَّى يَعْلُوا قَلْبُهُ ذَاكَ الرَّيْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»^(١).

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم^(٢)، من حديث حذيفة، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتْنَ؟ فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ، قَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ^(٣) فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ؟ قَالُوا: أَجَلْ، قَالَ: تِلْكَ تُكْفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّيَامُ

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٩٧)، والترمذي (٣٣٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد حسن.

(٢) مسلم (حديث ١٤٤).

(٣) **فتنة الرجل، قال أهل اللغة:** أصل الفتنة في كلام العرب الابتلاء والامتحان والاختبار، قال القاضي: ثم صارت في عرف الكلام، لكل أمر كشفه الاختبار عن سوء، قال أبو زيد: فُتِنَ الرجل يفتن فتوناً إذا وقع في الفتنة، وتحول من حال حسنة إلى سيئة، وفتنة الرجل في أهله وماله وولده ضروبٌ من فرط محبته لهم، وشحه عليهم، وشغله بهم عن كثير من الخير، كما قال تعالى: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾. أو لتفريطه بما يلزم من القيام بحقوقهم، وتأديبهم وتعليمهم، فإنه راع لهم ومسئول عن رعيته، وكذلك فتنة الرجل في جاره من هذا، فهذه كلها فتن تقتضي المحاسبة. ومنها ذنوب يرجى تكفيرها بالحسنات، =

وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيْكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الَّتِي تَمْوُجُ مَوْجَ الْبَحْرِ^(١)؟ قَالَ حَذِيفَةُ: فَأَسَكَتَ الْقَوْمُ^(٢)، فَقُلْتُ: أَنَا، قَالَ: أَنْتَ لِلَّهِ أَبُوكَ^(٣)!

قَالَ حَذِيفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ^(٤) عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا^(٥)، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا^(٦)، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ^(٧) سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا^(٨)، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا^(٩) فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتٍ﴾

(١) التي تموج موج البحر: أي تضطرب ويدفع بعضها بعضاً، وشبَّهها بموج البحر لشدة عظمها وكثرة شيوعها.

(٢) فأسكت القوم: قال جمهور أهل اللغة: سكت، وأسكت لغتان بمعنى: صمت. وقال الأصمعي: سكت: صمت، وأسكت: أطرق. وإنما سكت القوم لأنهم لم يكونوا يحفظون هذا النوع من الفتنة، وإنما حفظوا النوع الأول.

(٣) لله أبوك: كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها؛ فإن الإضافة إلى العظيم تشريف، ولهذا يقال: (بيت الله)، و(ناقة الله). قال صاحب «التحريض»: فإذا وُجد من الولد ما يحمد، قيل له: «الله أبوك». حيث أتى بمثلك.

(٤) تعرض الفتنة: أي: تلصق بعرض القلوب -أي: جانبها- كما يلصق الحصير بجانب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به.

(٥) عوداً عوداً: قال النووي: هذان الحرفان مما اختلف في ضبطه على ثلاثة أوجه: أظهرها وأشهرها «عوداً عوداً»، والثاني «عوداً عوداً»، والثالث «عوداً عوداً» ولم يذكر صاحب التحرير غير الأول. وأما القاضي عياض فذكر هذه الأوجه الثلاثة عن أئمتهم واختار الأول أيضاً.

(٦) فأَيُّ قلبٍ أشربها: أي دخلت فيه دخولاً تاماً، وألزمها، وحلت منه محل الشراب. ومنه: قولهم: «ثوب مشرب بحمرة». أي خالطته الحمرة مخالطة لا انفكاك لها.

(٧) نكت فيهِ نكتة أي: نقط نقطة، قال ابن دريد وغيره: كل نقطة في شيء بخلاف لونه، فهو نكت.

(٨) أنكرها: ردها. قال النووي.

(٩) مثل الصفا: قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: ليس تشبيهه بالصفا بياناً لبياضه، لكن صفة أخرى، لشدة على عقد الإيمان وسلامته من الخلل، وأن الفتنة لم تلصق به، ولم تؤثر فيه، كالصفا، وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا^(١)، كَالْكُوزِ مُجَحَّيًا^(٢) لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ.

قَالَ حَذِيفَةُ: وَحَدَّثْتُهُ؛ أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا^(٣) مُغْلَقًا يُوشِكُ^(٤) أَنْ يُكْسَرَ، قَالَ عُمَرُ: أَكْسَرًا^(٥)، لَا أَبَا لَكَ^(٦)! فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ، قُلْتُ: «لَا بَلْ يُكْسَرُ»، وَحَدَّثْتُهُ «أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ رَجُلٌ يُقْتَلُ أَوْ يَمُوتُ، حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ»^(٧).

(١) مَرَبَادًا، قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: (كَذَا هُوَ فِي أَصُولِ رَوَاتِنَا، وَأَصُولِ بِلَادِنَا، وَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ، وَذَكَرَ الْقَاضِي عِيَاضٌ خِلَافًا فِي ضَبْطِهِ، وَإِنْ مِنْهُمْ مَنْ ضَبَطَهُ كَمَا ذَكَرْنَا، وَمِنْهُمْ مَنْ رَوَاهُ مَرَبْدًا، قَالَ الْقَاضِي: وَهَذِهِ رَوَايَةٌ أَكْثَرُ شَيْوَخَنَا، وَأَصْلُهُ أَنْ لَا يَهْمَزُ، وَيَكُونُ مَرَبْدٌ مِثْلَ مَسْوَدٍ وَمَحْمَرٍ، وَكَذَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ الْهَرَوِيُّ، وَصَحَّحَهُ بَعْضُ شَيْوَخِنَا عَنْ أَبِي مَرْوَانَ بْنِ سِرَاجٍ لِأَنَّهُ مِنْ «أَرَبْدٍ» إِلَّا عَلَى لُغَةٍ مِنْ قَالِ: «أَحْمَارٌ» بِهَمْزَةٍ بَعْدَ مِيمٍ، لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ، فَيُقَالُ: أَرَبَادٌ وَمَرَبْدٌ. وَالدَّالُّ مُشَدَّدَةٌ عَلَى الْقَوْلَيْنِ، وَسَيَأْتِي تَفْسِيرُهُ.

(٢) مُجَحَّيًا، مَعْنَاهُ: مَائِلًا. كَذَا قَالَ الْهَرَوِيُّ وَغَيْرُهُ، وَفَسَّرَهُ الرَّائِي فِي الْكِتَابِ بِقَوْلِهِ: مُنْكَوَسًا، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى الْمَائِلِ، قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: قَالَ لِي ابْنُ سِرَاجٍ: لَيْسَ قَوْلُهُ: «كَالْكُوزِ مُجَحَّيًا» تَشْبِيهًا لِمَا تَقْدُمُ مِنْ سَوَادِهِ؛ بَلْ هُوَ وَصْفٌ آخَرٌ مِنْ أَوْصَافِهِ، بِأَنَّهُ قُلْبٌ وَنُكْسٌ حَتَّى لَا يَلْقَى بِهِ خَيْرٌ وَلَا حِكْمَةٌ، وَمِثْلُهُ بِالْكُوزِ الْمُجَحِّي، وَبَيْنَهُ بِقَوْلِهِ: لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يَنْكُرُ مُنْكَرًا.

(٣) إِنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا: مَعْنَاهُ: أَنَّ تِلْكَ الْفِتْنَ لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْهَا فِي حَيَاتِكَ.

(٤) يَوْشِكُ، أَيُّ: يَقْرُبُ.

(٥) أَكْسَرًا، أَيُّ: أَيْكَسَرُ كَسْرًا؟ فَإِنَّ الْمَكْسُورَ لَا يُمْكِنُ إِعَادَتُهُ بِخِلَافِ الْمَفْتُوحِ؛ وَلِأَنَّ الْكُسْرَ لَا يَكُونُ غَالِبًا إِلَّا عَنْ إِكْرَاهٍ، وَغَلْبَةٍ وَخِلَافِ عَادَةٍ.

(٦) لَا أَبَا لَكَ، قَالَ صَاحِبُ التَّحْرِيرِ: هَذِهِ كَلِمَةٌ تَذَكَّرُهَا الْعَرَبُ، لِلْحَثِّ عَلَى الشَّيْءِ. وَمَعْنَاهَا: إِنْ الْإِنْسَانُ إِذَا كَانَ لَهُ أَبٌ، وَحَزَبُهُ أَمْرٌ، وَوَقَعَ فِي شِدَّةٍ، عَاوَنَهُ أَبُوهُ وَرَفَعَ عَنْهُ بَعْضَ الْكُلِّ، فَلَا يَحْتَاجُ مِنَ الْجَدِّ وَالْإِهْتِمَامِ إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ حَالَةَ الْإِنْفِرَادِ، وَعَدَمِ الْأَبِّ الْمَعَاوَنَةِ. فَيُذَكَّرُ قِيلَ: «لَا أَبَا لَكَ» فَمَعْنَاهُ: جَدِّ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَشَمَّرَ وَتَاهَبَّ تَاهَبًّا مِنْ لَيْسَ لَهُ مَعَاوَنَةٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٧) لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ: جَمْعُ أَغْلُوطَةٍ، وَهِيَ الَّتِي يَغَالُطُ بِهَا. فَهِيَ مَعْنَاهُ: حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا صَدَقًا مُحَقَّقًا، لَيْسَ هُوَ مِنْ صَحْفِ الْكِتَابِيِّينَ، وَلَا مِنْ اجْتِهَادِ ذِي الرَّأْيِ؛ بَلْ مِنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ الْحَائِلَ بَيْنَ الْفِتَنِ وَالْإِسْلَامِ عَمَرُ ﷺ، وَهُوَ الْبَابُ، فَمَا دَامَ حَيًّا لَا تَدْخُلُ الْفِتَنُ، فَإِذَا مَاتَ دَخَلَتِ الْفِتَنُ، وَكَذَا كَانَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَمِنْ ثَمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(١). فالاستغفار، سببٌ لإزالة ما قد تعلق بالقلب من سواد، وما قد ران عليه من ذنوب ومعاصٍ.

* **ومن فوائده:** يجلب محبةَ الربِّ سبحانه وتعالى للعبد، وكفى بمحبة الله نعمةً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

* * *

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/ ٢٣).

بعض صيغ الاستغفار وأوقاته ومواطنه

من ذلك ما يلي:

* **سيد الاستغفار:** رواه البخاري، من حديث شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه ^(١): عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ، أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي، فَاعْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمَسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

* **ومن صيغ الاستغفار:** ما أخرجه البخاري ومسلم ^(٢)، من حديث أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهِذَا الدُّعَاءَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَجِدِّي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وقد ورد ^(٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ: «رَبِّ اغْفِرْ وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»، وفي رواية: «إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ» مائة مرة.

* وللاستغفار أوقاتٌ، ومواطنٌ يُستحبُّ فيها، وإن كانت أبواب التوبة مفتوحة في كل وقت وحين، كما قال النبي الأمين، عليه أفضل صلاة، وأكمل تسليم: «إِنَّ لِلتَّوْبَةِ

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩٧/١١).

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٩٦/١١)، ومسلم (مع النووي ٤٠/١٧).

(٣) صحيح، وقد تقدم.

بَابًا مَفْتُوحًا، لَا يُغْلَقُ؛ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»، لَكِنْ ثُمَّ أَوْقَاتٌ أَرْجَى مِنْ أَوْقَاتٍ، وَمَوَاطِنٌ أَبْلَغُ فِي الْإِجَابَةِ، وَأَقْرَبُ إِلَيْهَا مِنْ مَوَاطِنَ.

*** فَمِنْ ذَلِكَ، وَقْتُ السَّحَرِ:**

*** قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].**

*** وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].**

*** وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(١).**

*** وَمِنْ ذَلِكَ، أَثْنَاءُ الصَّلَاةِ وَعَقِبُهَا، فَمِنْ ذَلِكَ: دَعَاءُ الْإِسْتِفْتَاكِحِ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ، فَفِيهِ: «اللَّهُمَّ، بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ، كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ، نَقِّنِي مِنَ خَطَايَايَ، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ، اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالنَّجْلِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ»^(٢).**

*** وَمِنْ أَدْعِيَةِ الْإِسْتِفْتَاكِحِ، الَّتِي حَوَتْ الْإِسْتِغْفَارَ أَيْضًا: مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ^(٣)، فِي صَحِيحِهِ، مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِي، لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي، فَاعْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ،**

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٢٨/١١)، وَمُسْلِمٌ (مَعَ النَّوَوِيِّ ٣٦/٦)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَرْفُوعًا.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (مَعَ الْفَتْحِ ٢٢٧/٢)، وَمُسْلِمٌ (٩٦/٥)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَرْفُوعًا.

(٣) مُسْلِمٌ (مَعَ النَّوَوِيِّ ٧٦/٦).

لَبَّيْكَ، وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

وفي نفس الحديث .. ثم يكون آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

وفي رواية للحديث عند مسلم (وَإِذَا سَلَّمَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ»... إلى آخر الحديث، ولم يقل: بين التشهد والتسليم).

وكان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(١).

* **ومن ذلك: أثناء السجود**، فقد صحَّ عن النبي ﷺ، أنه قال: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»^(٢).

وكان عليه الصلاة والسلام يقول في سجوده: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ، وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ»^(٣).

* **وبين السجدين**: كان عليه الصلاة والسلام، يقول: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»^(٤).

وقد تقدَّم قول أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٥)، لرسول الله، عَلَّمَنِي دُعَاءً، أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي،

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/ ٢٨١)، ومسلم (مع النووي ٤/ ٢٠١) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/ ٢٠٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً.

(٣) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/ ٢٠١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً.

(٤) أخرجه النسائي (٢/ ٢٣٢)، وأحمد (٥/ ٣٩٨)، وابن ماجه (٨٩٧)، من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعاً.

(٥) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/ ٣١٧)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٢٨) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ».

حملة بعض العلماء على أنه يُقال بعد الانتهاء من التشهد.

وفي «صحيح مسلم»^(١)، من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا أَنْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ، اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ، أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ».

قال الوليد: فقلت للأوزاعي^(٣): كيف الاستغفار؟ قال: تقول: «أستغفر الله، أستغفر الله».

* فيرى المسلم أن الاستغفار يصاحب المصلي من بعد تكملة الإحرام، وحتى ينتهي من صلاته؛ بل وبعد الانتهاء منها.

وكذلك يشرع الاستغفار بعد الانتهاء من الأعمال، فتختم الأعمال بالاستغفار.

* **فالمجالس تختم بالاستغفار:** فأخرج أبو داود^(٤)، من حديث أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ بِآخِرَةٍ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا، مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ». وسنده حسن، وقد قال الحافظ في الفتح: سنده قوي.

* وكان عليه الصلاة والسلام، إذا خرج من الخلاء، قال: «غُفِرَ لَكَ»^(٥).

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ٨٩ / ٥).

(٢) في بعض الروايات: «تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ».

(٣) الوليد والأوزاعي، كلاهما من رجال الإسناد عند مسلم.

(٤) أخرجه أبو داود (١٨٢ / ٢٥).

(٥) أخرجه أحمد (١٥٥ / ٦)، من حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بإسناد حسن.

*** وتقدم:** أن الصلاة تختتم بالاستغفار، سواء قبل التسليم، أو عقب التسليم، فقبل التسليم: قدمنا حديث أبي بكر، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن ذلك بعد التشهد.

أما بعد التسليم، قدمنا حديث ثوبان.

*** وفي الحج:** قال الله: ﴿ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ الْكَاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩].

*** وكان النبي ﷺ، يقول في آخر حياته، بعد أن نزلت عليه سورة النصر، كان يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(١).**

*** وكان يقول عند موته: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ»^(٢).**

*** وذكر الله سبحانه، قصة نبيه نوح عليه الصلاة والسلام، وفي آخر سورة نوح، بعد أن ذكر الله هلاك قوم نوح بالغرق، ذكر سبحانه قول نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي**

(١) في الصحيحين، واللفظ للبخاري (٤٦٩٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي». (البخاري ٤٩٦٧)، وفي رواية أخرى: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي». يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنُ. (البخاري ٤٩٦٨)، ومسلم (٤/ ٢٠١) مع النووي).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٤٤٤) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَى صَدْرِهَا، وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ».

«والرفيق» المراد بهم، كما فسرتها رواية مسلم، التي أخرجها عقب هذه الرواية عن عائشة قالت: كُنْتُ أَسْمَعُ، أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ نَبِيٌّ؛ حَتَّى يُخَبَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَتْ: فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ يَقُولُ: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» قَالَتْ: فَظَنَنْتُهُ خَيْرَ حَبِيبٍ.

قلت: فالمراد بـ: «الرفيق»، هم: المنعم عليهم؛ من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، والله أعلم.

وَلَوْلَدَى وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتُ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا نَزِدَ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾ [نوح: ٢٨].
 * وكذلك يشرع، ويستحب؛ بل ويجب الاستغفار عقب الذنب: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].
 * وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

* وفي الصحيحين^(١)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: فَتَرَكْتُ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلَيْ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي». * وها هو يونس عليه السلام: ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ولما أمر الله المؤمنين والمؤمنات، بغض البصر عقب الأمر بقوله: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].
 وقال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

فجدير، بكل عبد، قد أذنب أن يبادر إلى الاستغفار من ذنبه هذا، خاصة، ومن سائر الذنوب والمعاصي عامة، حتى يلقي ربه نظيفاً خفيفاً من الذنوب والمعاصي، يلقيه، وقد غلبت حسناته سيئاته.

* ويشرع الاستغفار عند الخسوف:

فإن الشمس والقمر، آيتان من آيات الله ﷻ، يخوف الله بهما عباده، وقد قال النبي

(١) البخاري (حديث ٤٦٨٧)، ومسلم (حديث ٣٧٦٣).

عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ»^(١).

*** ومن الأوقات، التي يشرع فيها الاستغفار، ويستحب؛ عند التقلب على الفراش ليلاً^(٢):**

ففي صحيح البخاري، من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي. -أَوْ: دَعَا-، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ، وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ».

*** وعند القيام من الليل للتهجد:**

كذلك يشرع الاستغفار، ففي الصحيحين^(٣)، حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» أَوْ: «لَا إِلَهَ غَيْرُكَ».

(١) أخرجه البخاري (مع الفتحة ٢/ ٥٤٥)، ومسلم (٦/ ٢١٤) من حديث أبي موسى الأشعري، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعاً.

(٢) البخاري (مع الفتحة ٣/ ٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتحة ٣/ ٣)، ومسلم (مع النووي ٦/ ٥٤).

* وكذلك سائر الأوقات التي يستحبُّ فيها الدعاء:

فالاستغفار نوعٌ من أنواع الدعاء، وهو دعاء بطلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى، هذا وإن كانت التوبة - كما قدمنا -، مفتوحة في كل وقت وحين للتائبين، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ؛ لِيُتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ؛ لِيُتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١).



(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/٧٦)، من حديث أبي موسى رضي الله عنه، مرفوعاً، لكن كما هو معلوم، فإن الله فضل بعض الأوقات على بعض، وبعض الساعات على بعض، وبعض الأيام على بعض، وبعض الشهور على بعض.

أَقْوَالٌ وَأَفْعَالٌ

وَأَخْلَاقٌ تَعْمَلُ عَمَلُ الْإِسْتِغْفَارِ

وَتَمَّ أَقْوَالٌ، وَأَفْعَالٌ، وَخِصَالٌ تَقُومُ مَقَامَ الْإِسْتِغْفَارِ، فِي تَكْفِيرِ الذُّنُوبِ، وَمَحْوِ الْخَطَايَا؛ بَلْ وَرَفَعَ الدَّرَجَاتِ كَذَلِكَ.

* فَمِنْ ذَلِكَ مَا يَلِي:

* الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالتَّوْحِيدُ وَعُمُومُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ:

* قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩].

* وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

[الحج: ٥٠].

* وَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [فاطر: ٧].

* وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٣-٣٥].

* وَمِنْ ذَلِكَ: الصَّلَاةُ، وَالزَّكَاةُ، وَالصِّيَامُ، وَالْحَجُّ.

وَهَا هِيَ بَعْضُ الْأَدْلَةِ عَلَى ذَلِكَ:

* أَمَّا الصَّلَاةُ: فَكَوْنُهَا مَكْفَرَةٌ لِلذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، فَلَمَّا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِينَ^(١)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ، لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ». قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ

(١) البخاري (حديث ٥٢٨)، ومسلم (حديث ٦٦٧).

دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا».

* وفي صحيح مسلم، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغَشَّ الْكَبَائِرُ»^(١).

ومن ذلك: الوضوء:

ففي صحيح مسلم^(٢)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ، أَوْ الْمُؤْمِنُ، فَعَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ، نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ، كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَسَّتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ».

وفيه^(٣)، من حديث عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «...مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ، يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ، فَيَتَمَضَّمُضْ، وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَشِرُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ، وَفِيهِ وَخْيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبُهُ لِلَّهِ، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

وكذلك في صحيح مسلم^(٤)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ،

(١) مسلم (حديث ٢٣٣).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٤٤).

(٣) أخرجه مسلم (حديث ٨٣٢).

(٤) مسلم (حديث ٢٥١).

قَالَ: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ».

*** ومن ذلك كثرة السجود:**

ففي صحيح مسلم ^(١)، من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ».

*** ومن ذلك: موافقة الإمام في تأمينه:**

فأخرج البخاري ومسلم ^(٢)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

*** ومن ذلك الذكر بعد الصلاة:**

ففي صحيح مسلم ^(٣)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ، ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ».

*** وصوم رمضان أيضًا يكفر الذنوب:**

*** وفي صحيح البخاري ^(٤)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا**

(١) أخرجه مسلم (حديث ٤٨٨).

(٢) البخاري (مع الفتح ٢/٢٨٣)، ومسلم (مع النووي ٤/ ١٢٨).

(٣) مسلم (مع النووي ٥/ ٩٤).

(٤) البخاري (حديث ١٩٠١).

غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

* وكذلك الصدقة تُكْفِّرُ:

قال الله تعالى: ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وفي الصحيحين^(١)، من حديث حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «... فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ، وَمَالِهِ، وَجَارِهِ؛ تُكْفِّرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصَّيَامُ، وَالصَّدَقَةُ...».

* وصوم يوم عرفة، ويوم عاشوراء:

ففي صحيح مسلم^(٢)، من حديث أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ؛ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ، أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ».

* والحج والعمرة ينفيان الذنوب:

ففي الصحيحين^(٣)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ، لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ».

وفي الصحيحين^(٤) أيضًا، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

* وكذلك: الشهادة في سبيل الله:

قال الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا

يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧].

(١) البخاري (حديث ١٨٩٥)، ومسلم (حديث ١٤٤).

(٢) مسلم (حديث ١١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (مع الفتوح ٣/ ٥٩٧ ص ١٧٧٣)، ومسلم (حديث ١٣٤٩).

(٤) البخاري (حديث ١٥٢١)، ومسلم (حديث ١٣٥٠).

فَتْهُ الدِّعَاءُ وَالتَّعَوُّذَاتِ

وفي صحيح مسلم^(١)، من حديث، أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَامَ فِيهِمْ، فَذَكَرَ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ، أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ قُتِلْتُ؟» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَتُكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدِّينَ، فَإِنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ».

* وكذلك الأذكار:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِكْرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذِّكْرُ أَكْثَرُ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

* فمن ذلك: قول: (سبحان الله وبحمده):

وفي الصحيحين^(٢)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ».

* ومن ذلك: التهليل صباحًا ومساءً:

فأخرج البخاري ومسلم^(٣)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدَلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ».

(١) مسلم (حديث ١٨٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٦/١١)، ومسلم (مع النووي ١٧/١٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٨/٦)، ومسلم (١٧/١٧).

* وشهود مجالس الذكر كذلك:

ففي الصحيحين^(١)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً، يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ...»، فذكر الحديث، وفيه: «فَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ».

* وعموم الأعمال الصالحة:

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتِ﴾ [هود: ١١٤].
ولقول سبحانه وتعالى: ﴿وَيَذَرُهُنَّ بِالْحَسَنَةِ أَلْسِيَّاتِ﴾ [الرعد: ٢٢].
* وكذلك أنواع الابتلاءات والمصائب: إذا صير عليها العبد:

سبب في تكفير الخطايا، ومحو الذنوب:

ففي الصحيحين^(٢)، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، -شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا-، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا».

وفيها^(٣): من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا».
وفيها^(٤): من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ».

(١) البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (مع النووي ١٧ / ١٤).

(٢) البخاري (حديث ٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

(٣) البخاري (حديث ٥٦٤٠)، ومسلم (حديث ٢٥٧٢).

(٤) البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم (٢٧٥٣).

وفي صحيح مسلم^(١): أن النبي ﷺ قال لأم السائب: «لا تَسْبِي الحُمَى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».

*** وكذلك: الأخلاق الكريمة، من عفو، وصفح، وإحسان إلى الناس كل ذلك يكفر**

السيئات:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[النور: ٢٢].

وقد نزلت هذه الآية في الصديق أبي بكر رضي الله عنه، لما أقسم بالله أن لا ينفق على مسطح بن أثاثه؛ لخوضه مع الذين خاضوا في الإفك، ولاتهامه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة.

ففي الصحيحين^(٢)، من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: فذكرت حديث الإفك، وفيه: أن عائشة رضي الله عنها، قالت: فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رضي الله عنه، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أَثَاثَةَ؛ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ: وَاللَّهُ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ **[البقرة: ١٧٣].**

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ، إِنِّي لَا حِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي.

فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ.

قلت: ففي الآية: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ **[النور: ٢٢].**

فدل ذلك على: أن العفو والصفح يجلبان الغفران.

(١) مسلم (مع النووي ١٦ / ١٣٠).

(٢) البخاري (مع الفتح ٦ / ١٩٨)، ومسلم (١٧ / ١٠٢).

وكذلك العفو عن القاتل أو الجاني:

كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ [المائدة: ٤٥].

* وكذلك: التجاوز عن المعسر سبب من أسباب المغفرة:

ففي الصحيحين^(١)، من حديث، أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفَتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ».

وفيهما، من حديث حذيفة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ، رُوحَ رَجُلٍ، مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعْمَلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا، قَالُوا: تَذَكَّرَ، قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَأَمْرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظَرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ».

* وكذلك: التأدب مع حديث رسول الله ﷺ:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَسْوَ تَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣].

* * *

(١) البخاري (حديث ٢٠٧٨)، ومسلم (١٥٦٢).

(٢) البخاري (٢٠٧٧)، ومسلم (١٥٦٠) واللفظ لمسلم.

بعض صيغ الاستغفار من القرآن الكريم

* ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦].

* ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

* ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

* ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾.

[الأعراف: ١٥١].

* ﴿رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم: ٨].

* ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[آل عمران: ١٤٧].

* ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

* ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

* ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦].

* ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

* ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[الممتحنة: ٥].

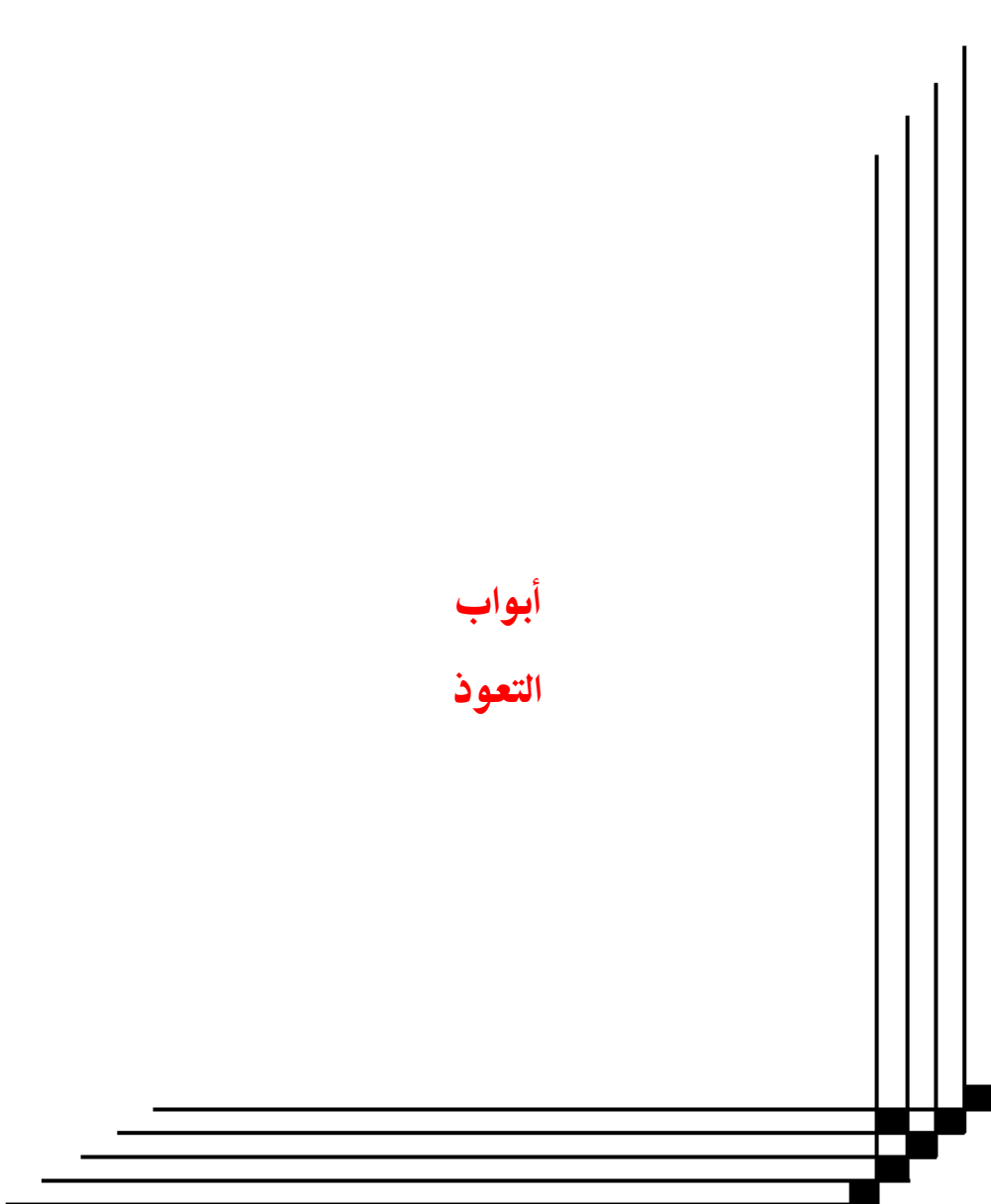
* ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

* ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وبهذا القدر، اجتزئ من أبواب الاستغفار

* * *

أبواب
التعوذ



مدار الأدعية التي ندعو بها والتعوذات

- * إن الأدعية، التي ندعو بها، تدور على أربعة أمور في غالب الأحوال.
- * **الأمر الأول:** خيرٌ لم نحصل عليه، نسأل الله إياه.
- * **الأمر الثاني:** خيرٌ نحن فيه، نسأل الله أن يحفظه علينا.
- * **الأمر الثالث:** شرٌ نحن فيه، نسأل الله زواله.
- * **الأمر الرابع:** شرٌ نخشى وقوعه، فنسأل الله أن يصرفه عنا.
- * فالأمران (الأول والثاني) يشملهما اسم الدعاء، والأمران (الثالث والرابع) دعاءٌ أيضًا لكن يطلق عليهما التعوذ، فالتعوذ دعاءٌ بصرف الشر الذي نحن فيه، أو بصرف الشر الذي نخشى وقوعه.
- فمن معاني الاستعاذة، اللجوء والاستجارة.**
- فكلمة أعوذ معناها ألجأ وأستجير، وأعوذ بالله معناها: ألجأ إلى الله وأستجير بالله؛ كي يحفظني، -كي يُسلمني من المكروه والسوء، كي ينجيني مما أنا فيه من مكروه، ويزيله عني، كي يدفع عني شرًا أنا فيه، أو شرًا أخشاه.
- وبمن نستعيز:**
- * **إننا نستعيز بالله ﷻ.**
- * **نستعيز بأسماء الله ﷻ وصفاته.**
- * **نستعيز بوجهه الكريم وعزته.**
- * **نستعيز بأفعال الله ﷻ وقدرته.**
- * **نستعيز بكلمات الله التامّات.**
- فالحق الذي يُقال، ويُتبع أن الذي يُعِيد -يصرف الشرّ والسوء والمكروه، ويزيل الهموم والغموم- هو الله ﷻ.

وهذا مزيدُ بيانٍ وتفصيلٍ لما يُتَعَوَّذُ به:

التَّعَوُّذُ بِاللَّهِ:

التَّعَوُّذُ بِالرَّحْمَنِ:

التَّعَوُّذُ بِرَبِّ النَّاسِ - رَبِّ الْفَلَقِ - بِرَبِّي.

التَّعَوُّذُ بِمَلِكِ النَّاسِ - وَبِإِلَهِ النَّاسِ.

التَّعَوُّذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ.

التَّعَوُّذُ بِعَظَمَةِ اللَّهِ، وَالتَّعَوُّذُ بِعِزَّتِهِ، وَالتَّعَوُّذُ بِقُدْرَتِهِ.

التَّعَوُّذُ بِرِضَا اللَّهِ، وَالتَّعَوُّذُ بِمَعَاْفَاتِهِ، وَالتَّعَوُّذُ بِهِ مِنْهُ جَلًّا وَعَلَا.

التَّعَوُّذُ بِوَجْهِ اللَّهِ.



ولا نتعوذ بمخلوق^(١)

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].
وعن معنى الآية الكريمة، فالمعنى: والله أعلم: أن رجلاً من الإنس، كان يلجؤون إلى الجن، يطلبون منهم حمايتهم وحفظهم، ومنعهم ممن أرادهم بسوء، فلما رأت الجن منهم هذا الصنيع، ظهر للجن أن لهم فضلاً على هؤلاء الإنس، فزادوهم إزعاباً وإخافة وذعراً، حتى يستمروا في اللجوء إليهم والعوذ بهم.
فقوله: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، أي: زادت الجن الإنس ﴿رَهَقًا﴾. أي: خوفاً وذعراً ورعباً، وكذا زادتهم آثاماً بلجوتهم إليهم.
ويحتمل أيضاً أن يكون قوله: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، أي: زادوهم إثماً وطغياناً، أي: أن الجن ازدادت طغياناً، وارتكبت آثاماً بسبب استعاذة الإنس بهم، وكذا زادوهم استحلالاً لمحارم الله ﷻ.

أما الحافظ ابن كثير رحمه الله فقد قال:

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، أي: كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا، أي: إذا نزلوا وادياً، أو مكاناً موحشاً، من البراري وغيرها، كما كان عادة العرب في جاهليتها. يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم، ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، أي: خوفاً وإرهاباً وذعراً، حتى يبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوداً بهم، كما قال قتادة: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، أي: إثماً، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة.

(١) وسيأتي في أواخر هذه الأبواب إن شاء الله فصل في توجيه الوارد في الاستعاذة بغير الله.

وقال الثوري، عن منصور عن إبراهيم: ﴿فَرَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، أي: ازدادت الجن عليهم جراحة.

وقال السدي: كان الرجل يخرج بأهله، فيأتي الأرض فينزلها، فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضّر أنا فيه، أو مالي، أو ولدي، أو ماشيتي، قال: فإذا عاذ بهم من دون الله، رهقتهم الجن الأذى عند ذلك.

وقال ابن أبي حاتم^(١): حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، حدثنا الزبير بن الخريت، عن عكرمة قال: كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد، وكان الإنس إذا نزلوا واديًا هرب الجن، فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي.

فقلت الجن: نراهم يفرقون منا، كما نفرق منهم. فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخيل والجنون، فذلك قول الله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾.

قلت (مصطفى): ومن الأدلة، على عدم جواز الاستعانة بالجن أيضًا:

وجود الجن زمن النبي ﷺ، ولم يرد أن النبي ﷺ، استعان بهم في شيء من أمره، فقد غزا غزوات، وحفر الخندق، وفقدت منه أشياء، واحتاج إلى أشياء، ولم يرد في خبر ثابت. -فيما وقفت عليه-، أن النبي ﷺ استعان بالجن في شيء من ذلك.

* وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنَّ قَدْ أَسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ

(١) هذا سند صحيح إلى عكرمة، لكنني في ريب من سماع ابن أبي حاتم من يحيى بن سعيد القطان رَحِمَهُ اللهُ، وفي بعض النسخ أبو سعيد بن يحيى عن سعيد، ولا أعرف ليحيى بن سعيد ولدًا كنيته أبو سعيد، إنما «أبو سعيد» كنية يحيى بن سعيد.

والذي يبدو لي -والله أعلم-: حدثنا أبو سعيد، عن يحيى بن سعيد، وأبو سعيد هو الأشج، وهو عبد الله ابن سعيد الأشج شيخ ابن أبي حاتم، وهو ثقة.

وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ
مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَظْمِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿[الأنعام: ١٢٨، ١٢٩].

أَمَّا مَا وَرَدَ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ
مَحْرَبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ [سبأ: ١٣]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ،
فَهَذَا خَاصٌّ بِسَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ قَالَ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ
بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

* * *

توجيه بعض الوارد من الاستعاذة بغير الله^(١)

قد وردت في أبواب الاستعاذة بعض الأحاديث، التي ينبغي أن تفهم في ضوء ما ذكر، وتوجه إذا احتاج الأمر إلى توجيهها، بما يتفق مع الأصول والقواعد العامة، من هذه الأحاديث ما يلي:

ما أخرجه مسلم^(٢)، في صحيحه إذ قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ (وَاللَّفْظُ لِابْنِ الْمُثَنَّى)، قَالَا: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، أَنَّهُ كَانَ يَضْرِبُ غُلَامَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ، فَقَالَ: أَعُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ، فَتَرَكَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ لَلَّهِ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»، قَالَ: فَأَعْتَقَهُ.

فالشاهد منه قوله: «أَعُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

فأقول -وبالله التوفيق- إن هذه الزيادة شاذة والله أعلم، فالحديث، رواه الأعمش (وهو سليمان بن مهران)، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال: قال أبو مسعود البدرى: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط، فسمعتُ صوتاً من خلفي (أعلم أبا مسعود) فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: لما دنا مني، إذا هو رسول الله ﷺ، فإذا هو يقول: «اعْلَمْ، أبا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ، أبا مَسْعُودٍ». قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي، فَقَالَ: «اعْلَمْ، أبا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ»^(٣)، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا.

وفي بعض الروايات، فقلت: يا رسول الله، هو حرٌّ لوجه الله، وليس فيه ذكر

(١) وقد أوردتها في كتابي: «ذلکم الله ربکم»، وها أنا ذا أوردتها هاهنا، فالمقام مقامها.

(٢) مسلم في طرق، حديث (١٦٥٩).

(٣) مسلم (١٦٥٩).

الاستعاذة برسول الله ﷺ، وهذا هو الصحيح عن الأعمش، بدون ذكر الاستعاذة. وذلك لأن جماعة رَوَوْا الحديث ^(١)، عن الأعمش منهم: عبد الواحد بن زياد، وجريير، وسفيان، وأبو عوانة، وأبو معاوية، لم يذكروا استعاذة الغلام برسول الله ﷺ. وكذا، فإن محمد بن جعفر راوية شعبة، لم يذكر هذا اللفظ: (أَعُوذُ بِاللَّهِ، أَعُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ)، وكذا فقد اختلف على ابن أبي عدي نفسه، فأثبت اللفظة، ابن المثنى، ولم يثبتها ابن بشار. فالظاهر شذوذها، والله أعلم.

ويمكن تصوير الخلاف على النحو التالي:

بدون استعاذة ←	عبد الواحد بن زياد			
	جريير			
	أبو عوانة			
بدون استعاذة ←	أبو معاوية	الأعمش عن		
بدون استعاذة ←	محمد بن جعفر	إبراهيم عن أبيه،		
	ابن بشار	شعبة →	عن أبي مسعود	
	ابن المثنى	→ ابن أبي عدي		
ذكر استعاذة ←				

فالناظر يرى بوضوح تفرد ابن المثنى بالزيادة، ويرى شذوذها جلياً، والله أعلم، وعلى فرض ثبوتها، فرسول الله ﷺ كان موجوداً لم يكن غائباً.

والاستعاذة كالسؤال، ولكنها، وكما سلف سؤال بصرف الشر، فكما أنه يجوز لك أن تسأل شخصاً حياً يسمعك شيئاً يقدر عليه، فكذلك يجوز لك أن تسأل شخصاً

(١) انظر: صحيح مسلم، طرق حديث (١٦٥٩).

حيًا يسمعك أن يمنعك ممن ظلمك، فتقول: يا زيد، وزيد يسمعك، هذا يضربني، امنعني منه، أو اضربه فإنه يضربني ونحو ذلك، والله أعلم.

والحديث الثاني:

أخرجه مسلم^(١)، من طريق سلمة بن شبيب: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَعِينٍ: حَدَّثَنَا مَعْقِلٌ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ سَرَقَتْ، فَأُتِيَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَعَاذَتْ بِأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ لَقَطَعْتُ يَدَهَا». **فالشاهد من قوله: (فَعَاذَتْ بِأُمِّ سَلَمَةَ)**

وعلى فرض ثبوت هذا الحديث، فمعنى فعازت بأم سلمة، أي: لجأت إلى أم سلمة، كي تشفع لها عند رسول الله ﷺ، وهذا، وكما سلف سؤال الشخص الشفاعة فيما يقدر عليه في الدنيا.

أما عن سند الحديث، ففيه ما يلي:

أولاً: أبو الزبير مدلس^(٢)، وقد عنعنه.

ثانياً: رواية معقل، عن أبي الزبير، ضعيفا، ضعفها الإمام أحمد رحمه الله.

ثالثاً: الحسن بن أعين، تكلم فيه بعض العلماء، وإن كان قد نُقل توثيقه عن بعضهم، فقد قال فيه أبو حاتم الرازي: أدركته ولم أكتب عنه.

هذا، وقد ضعف بعض أهل العلم عدداً من الأحاديث التي رويت من هذا

الطريق: طريق الحسن، عن معقل، عن أبي الزبير، والله تعالى أعلم.

الحديث الثالث: ما أخرجه البخاري ومسلم^(٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال:

(١) أخرجه مسلم (١٦٨٩).

(٢) وكثيراً ما تقبل عنعنة أبي الزبير، عن جابر، لكن انفراده بهذا اللفظ يحملنا على طلب صريح السماع، والله أعلم.

(٣) البخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (٢٨٨٦).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَكُونُ فِتْنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَشَتَّرَفُهُ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلَجًا فَلْيَعُذْ بِهِ».

وفي بعض الروايات: «فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلَجًا، أَوْ مَعَادًا، فَلْيَسْتَعِذْ».

فأقول -وبالله التوفيق- إنه معنى معادًا فليستعذ، أي: مكانًا يعتزل فيه، فليعتزل فيه، أو مكانًا يتحصن فيه، فليتحصن به بعيدًا عن الفتن، دلَّ على ذلك ما ورد في بعض الطرق^(١)، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ...». فذكر الحديث، وفيه: «فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ».

قلت: فحديث رسول الله ﷺ يُفسَّر بعضه بعضًا، ولا يمتنع أيضًا أن تذهب إلى شخص حيٍّ تقول له: أريد أن أختفي في بيتك، كي تنقضي هذه الفتنة، فهذا راجع أيضًا إلى طلب شيء من الشخص الحي، فيما يقدر عليه هذا الشخص، وليس بغائب عنك.

الحديث الرابع: أخرجه مسلم^(٢)، في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «يَعُودُ عَائِدٌ بِالْبَيْتِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بَيِّدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ»... فذكر الحديث.

والشاهد منه: «يَعُودُ عَائِدٌ بِالْبَيْتِ».

والجواب عليه: أنه ليس معنى قوله ﷺ: «يَعُودُ عَائِدٌ بِالْبَيْتِ». أن هذا العائد، يقول: أعوذ بالبيت أن يحفظني.

(١) عند مسلم (٢٨٨٧)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) مسلم (٢٨٨٢).

وإنما المعنى: أنه يلجأ شخصٌ إلى البيت ظناً منه، أن أعداءه سيقرون الكعبة، البيت الحرام، ولن يعتدوا عليه فيها، وأن الله سيحميه من شرهم إذا ذهب، ودعا الله عند الكعبة، وقد وردت رواية عند مسلم^(١)، فيها: «الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يُؤْمِنُونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ». هذا، والله تعالى أعلى وأعلم.

والنَّاطِرُ إِلَى تَعَوُّذَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يجد أنه -صلوات الله وسلامه عليه-، لم يستعذ بغير الله ﷻ.



(١) عند مسلم (٢٨٨٤).

ونستعيد من ماذا؟

- * نستعيد من كل ما نخشاه؟
- * نستعيد من كل مكروه ومن كل سوء.
- * نستعيد من شرور الدنيا والآخرة.

وبشيء من التفصيل فإننا

- * نستعيد بالله ﷻ من غضبه، وعقابه.
- * فإذا خشينا أن يغضب الله علينا، فمن ذا الذي يدفع عنا غضب الله؟
إنه لن يدفع عنا غضب الله إلا الله.
- إذا خشينا أن يسخط علينا ربنا ﷻ، فمن ذا الذي يدفع عنا سخط ربنا ﷻ؟! إنه لن يدفع عنا سخط ربنا إلا أن يرضى عنا ربنا، ويصرف عنا سوء والسخط، وإذا كنا نخشى العقوبة من الله، فمن ذا الذي يدفعها عنا، ويصرفها عنا إلا الله.
- إن المصائب، والابتلاءات، والعقوبات، والنعم، كل ذلك يُقدِّره الله ﷻ، ولا يقع شيء منه إلا بإذن الله.
- * قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [التغابن: ١١].
- * وقال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ [الحديد: ٢٢].
- * وقال تعالى في شأن أقوام: ﴿ أَصَابَتْهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٠٠].
- * وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٤].
- * وقال تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ﴾ [العنكبوت: ٢١].

* وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ [الكهف: ٥٩].

* وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ﴾.

[المؤمنون: ٧٦].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨].

* وقال تعالى: ﴿وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ٤٢ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ ٤٣ ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ

وَأَحْيَا...﴾ [النجم: ٤٢-٤٤].

* وقال تعالى: ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود: ١٢٣].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ لَّنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

* وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا

يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٧].

* * *

فلذا لزمنا أن نستعيز بالله من غضبه وعقابه ومن سخطه وعذابه

وبهذا جاءت النصوص:

* ففي صحيح مسلم ^(١)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفَرَّاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعْتُ يَدَيَّ عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ، أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

* وفي صحيح مسلم أيضًا، من حديث أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: كَيْفَ تَصُومُ؟ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، غَضَبَهُ، قَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَغَضَبِ رَسُولِهِ، فَجَعَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يُرَدِّدُ هَذَا الْكَلَامَ حَتَّى سَكَنَ غَضَبُهُ.. الحديث ^(٢).

وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يتعوذ بالله ﷻ من جميع سخطه

* أخرج مسلم ^(٣) في صحيحه، من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ مِنْ دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ».

* وفي سنن أبي داود، من طريق مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ مِنَ الْفَزَعِ كَلِمَاتٍ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ

(١) مسلم (١٨٢٢).

(٢) مسلم (٢٧١٦).

(٣) مسلم (٧٠٤٤).

التَّامَّة، مِنْ غَضَبِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمَنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَخْضُرُونَ»^(١).

وكبيان لما سبق وشرح موجز له أقول وبالله التوفيق:

عن معنى: «أعوذ برضاك من سخطك»، أي: أَلجأ إليك، وأستجير بك، أسألك أن ترضى عني، وأن تدفع عني سخطك، وأن تدفع عني توابع سخطك.
قوله: «وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ». أي: أَلجأ إليك، أطلب منك العافية والرحمة بدلاً من أن تعاقبني.

* ولَمَّا كَانَ الشَّخْصُ، لَا يَسْتَطِيعُ الْفِرَارَ مِنَ اللَّهِ ﷻ، وَلَا أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُجِيرَنَا مِنَ اللَّهِ، فَلَزِمْنَا أَنْ نَفِرَّ إِلَى اللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠].
نَفِرُّ إِلَيْهِ، كَمَا يَنْجِينَا مِنْ عَذَابِهِ وَعِقَابِهِ، فَهَذَا مِنْ مَعْنَى قَوْلِنَا: وَنَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، وَنَحْوُهَا: لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

وقولنا: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ». أي: مهما حمدناك، وأثنينا عليك، من حسن الثناء وقلنا في شأنك وحقك كل قول جميل، نستطيع أن نتكلم به، وكل خير وكل شكر، فإننا لا نستطيع أن نوفيَّكَ حَقَّكَ، وَلَا أَنْ نَشْكُرَ نِعْمَتَكَ، فَنَعْمُكَ عَلَيْنَا لَا يَحْصِيهَا إِلَّا أَنْتَ كَمَا قُلْتَ، -وقولك الحق-، ﴿وَلِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].
ثُمَّ إِنَّ حَمْدَنَا لَكَ، وَشُكْرَنَا لَكَ، وَثَنَاءَنَا عَلَيْكَ، وَذِكْرَنَا لَكَ بِكُلِّ خَيْرٍ، وَتَوْحِيدَنَا، وَتَسْبِيحَنَا وَتَكْبِيرَنَا وَتَهْلِيلَنَا بِقَوْل: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا أَلْهَمْتَنَا، وَأَرْشَدْتَنَا إِلَيْهِ مِنْ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ، كُلُّ هَذَا إِنْعَامٌ مِنْكَ إِلَيْنَا، وَتَفَضُّلٌ عَلَيْنَا، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى شُكْرٍ أَيْضًا.

فكيف نوفيَّكَ شكرك، وشكرنا لك نعمة تحتاج إلى شكر.

(١) أبو داود (٣٨٩٣)، ورجاله يُحسن حديثهم، إن سلم من خلل، في رواية: محمد بن إسحاق، عن عمرو ابن شعيب.

وحمدا لك نعمةً تحتاج إلى شكر.

وكذا ما ألهمتنا من توحيدك وسلوك طريق الاستقامة والذكر نعمة تحتاج إلى شكر كذلك.

فلا نستطيع إعطاءك حقك من الثناء، ولكن أنت، كما أثبتت على نفسك.

وقوله: «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ». أي: نلجأ إلى الله ﷻ كي ينجينا من عاقبة غضبه، وكي يصرف عنا غضبه، ويصرف عنا أسباب غضبه.

فالله ﷻ يغضب، غضباً على الوجه اللائق به - جل وعلا - فمن ذا الذي يستطيع أن يدفع عنا غضب ربنا إلا هو سبحانه وتعالى؟؟

ومن ذا الذي يصرف عنا عاقبة غضبه إلا هو سبحانه وتعالى؟ إنه لا يستطيع ذلك أحدٌ إلا هو سبحانه. فلذا فإننا نقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ».

وكذلك، إذا غضب علينا رسول الله ﷺ، فلا نأمن أن يحل بنا عقابٌ من الله؛ لكوننا أغضبنا رسوله الذي أرسله، ولا نأمن أن يدعو علينا رسول الله ﷺ، فيستجيب الله دعاءه، فلزمنا أن نلجأ إلى الله كي يدفع عنا عواقب غضبه وغضب رسوله.

ولزمنا أن نلجأ إلى الله؛ كي يحفظنا من فعل ما يغضبه، ويغضب رسوله، فلن يحفظنا، ولن يجيرنا من الوقوع فيما يُغضب الله علينا إلا الله ﷻ.

ومن معاني: «كَلِمَاتُ اللَّهِ التَّامَّةُ». أي: الجامعة، الكاملة، الفاضلة، التي لا تعدلها كلمات، ولا تجزئ عنها كلمات، فهي الكافيات الشافيات التامات غير الناقصات، ألجأ إلى الله، ألجأ إليه، وإلى كلماته التامة التي يدفع بها الضرر عني، ألجأ إلى كلماته التي بها يرضى عني، ومن ثم يحفظني من أن أقع فيما يغضبه أو تحل بي عاقبة غضبه، ألجأ إليه كي يصرفني عن مسببات غضبه.

ألجأ إليه، كي ينجيني من كل فعل سيئ، أو قول سيئ، أو نية سيئة، تغضبه عليّ،

ويعذبني بسببها.

كذا، فإني ألجأ إليه ذاكراً له بكلماته التامة، متعوّذاً بكلماته التامة، مستجيراً بها؛ كي يحفظني من شرور عبادته، ومن همزات الشياطين، ومن حضورهم^(١)، ويدخل في كلمات الله التامة القرآن، وكذا التهليل، والتكبير، والتحميد، والتسبيح، والتمجيد، ونحو ذلك، وكذا كل ما يتعوذ به، وكذا ما تكلم الله به.

وفي الحديث؛ إثبات صفة الكلام لله، وعلى هذا جماهير أهل السنة والجماعة، فالله يتكلم، وقد قال عن كتابه الكريم: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وكذا فإن كل الأحاديث القدسية الصحيحة، هي كلام الله، فالله يتكلم ويقول، وينادي، كل ذلك على الوجه اللائق به سبحانه.

وكما أنه يدخل في معنى قولنا: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ». ألجأ إلى الله ذاكراً له بكلماته التامة، متقرباً إلى الله بها، مستعيذاً بها.

فيدخل أيضاً ألجأ إلى الله؛ كي يصرف عني السوء، بكلماته التامة الجامعة الكاملة الوافية، ألجأ إلى الله كي يتكلم ويأمر بصرف السوء عني. وثمّت معانٍ أخرى، والله أعلم.



(١) وسيأتي لذلك باب قريب إن شاء الله.

التعوذات بالله ﷻ من الشياطين ومن حضورهم وهمزاتهم

أقول، وبالله التوفيق:

لقد أخبرنا الله ﷻ بعداوة الشيطان لنا:

* فقال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

* وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٦٢].

* وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ..﴾ [النور: ٢١].

والنصوص في هذا الباب كثيرة:

ولقد أقسم إبليس، لما أخرج من الجنة، قائلاً: ﴿فِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿[ص: ٨٢، ٨٣].

* وقال: ﴿فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١١) ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِمْ عَيْنًا ذِي ظُهُورٍ مُخْتَلِفٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ أَغْوَيْنَا وَلَكِنَّهُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿[الأعراف: ١٦، ١٧].

فالشيطان يسعى جاهداً لصد الناس عن كل سبيل من سبل الخير.

وفي الحديث^(١)، عن سبرة بن أبي فاكه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ، قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرَفِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسَلِّمُ وَتَذَرُ دِينَكَ، وَدِينَ آبَائِكَ، وَأَبَاءِ أَيْبِكَ، فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ، وَتَدْعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ، كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطَّوْلِ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ، فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَتُقَسَّمُ

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٦ / ٢١ - ٢٢).

الْمَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ﷻ، أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ﷻ، أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ».

* فلزمننا أن نستعيد بالله من الشيطان الرجيم، ومن جنده، وأتباعه، لزمنا أن نلجأ إلى الله؛ كي يحفظنا من شرور الشياطين، ومن حضورهم وهمزاتهم.

* لقد قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٦].

* لقد أمرنا أن نستعيد برب الناس، وملكهم، وإلههم من شر الوسواس الخناس^(١).

* لقد قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

وسياتي أيضًا، قول النبي ﷺ: «... وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَه».

* * *

(١) وسياتي لذلك باب عما قريب إن شاء الله.

ونتعوذ بالله من الشيطان الرجيم إذا حاول الشيطان أن يشككنا في

خالقنا سبحانه أو يفسد علينا إيماننا

أخرج البخاري ومسلم ^(١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَّهِ».

*** وُشِّرَتْ الاستعاذة عند تلاوة القرآن**، وذلك لأن الشيطان، يريد من العبد، أن لا يفهم كلام الله، ولا يعقل مراده، ولا يدرك أوامره ونواهيه، ولا يتحصل على أجره وثوابه.

*** قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].**

والشيطان يسعى لإفساد صلاة الشخص، فلزمنا التعوذ بالله من شيطان الصلاة:

أخرج مسلم في صحيحه ^(٢) من حديث عثمان بن أبي العاص، أتى النبي ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي، يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ، يُقَالُ لَهُ: خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ، فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتَّقِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا». قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي.

وأخرج مسلم ^(٣)، من حديث أبي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ، إِذَا سَمِعَ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ، أَحَالَ لَهُ ضُرَاطٌ؛ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ. فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوْسَوْسَ، فَإِذَا سَمِعَ الْإِقَامَةَ ذَهَبَ؛ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوْسَوْسَ».

(١) البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤)

(٢) مسلم (٥٧٨٩).

(٣) مسلم (٩٠/٤) مع النووي.

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

وفي رواية عند مسلم ^(١)، من حديث، أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ أَذْبَرَ الشَّيْطَانَ وَلَهُ حُصَاصٌ».

لقد حاول الشيطان، أن يفسد على النبي ﷺ صلاته، لكن تعوذ رسول الله ﷺ، بالله ﷻ، فحفظه الله، وسلمه، ونجاه، ونصره على الشيطان.

أخرج مسلم ^(٢)، في صحيحه، من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَمِعَنَاهُ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ» ثُمَّ قَالَ «أَلْعَنَكَ بِلْعَنَةِ اللَّهِ» ثَلَاثًا، وَبَسَطَ يَدَهُ، كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا، لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قَالَ: «إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ، جَاءَ بِشَهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِِي، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنَكَ بِلْعَنَةِ اللَّهِ التَّامَّةِ، فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخَذَهُ، وَاللَّهِ لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ لَأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وَلَدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ».

التَّعَوُّذُ أَثْنَاءَ السُّجُودِ

لما كانت، الاستعاذة داخلية في الدعاء، -كما أشرنا من قبل- ولكنها دعاء، بصرف الشر وزواله، ولما قاله رسول الله ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ» وقال: «فَاكْثُرُوا الدُّعَاءَ». -يعني في السجود-: «فَقَمِّنْ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ». شرعت لنا الاستعاذة في السجود.

وقد أخرج مسلم في صحيحه، من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفَرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدَيَّ عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ،

(١) مسلم (٩٠ / ٤).

(٢) مسلم (١١٤٨).

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(١).

والشياطين تحضر أماكن، وأحياناً لا تحضرها ولا تشهدها، ومنهم من هو أقوى

فتنة وإغواء من الآخر.

قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾^(١٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ

يَحْضُرُونِ ﴿[المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

* وأخرج مسلم^(٢)، في صحيحه، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ إِبْلِيسَ، يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَحِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَحِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُذْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ».

* وأخرج مسلم^(٣)، من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا، قَالَتْ: فَعِزْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ أَغْرَبْتِ؟» فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَمَعَكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ».

* وأخرج مسلم في صحيحه^(٤) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَفَلَ مِنْ غَزْوَةِ خَيْبَرَ، سَارَ لَيْلَهُ؛ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْكَرَى عَرَسَ، وَقَالَ لِبَلَالٍ: «اكْمُلْ لَنَا اللَّيْلَ»، فَصَلَّى بَلَالٌ مَا قُدِّرَ لَهُ، وَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَلَمَّا تَقَارَبَ الْفَجْرُ، اسْتَنَدَ بَلَالٌ إِلَى رَاِحِلَتِهِ مُوَاجِهَ الْفَجْرِ، فَغَلَبَتْ بَلَالًا عَيْنَاهُ، وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى رَاِحِلَتِهِ، فَلَمْ

(١) مسلم (حديث ١٨٢٢).

(٢) مسلم (٢٨١٣).

(٣) مسلم (٢٨١٥).

(٤) مسلم (حديث ٦٨٠) وانظر: البخاري (٥٩٥).

يَسْتَقِظُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَا بِلَالٌ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ حَتَّى ضَرَبَتْهُمُ الشَّمْسُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَوَّلَهُمْ اسْتِيقَظًا، فَفَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَيُّ بِلَالُ» فَقَالَ بِلَالٌ: أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ - بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ - بِنَفْسِكَ، قَالَ: «اقْتَادُوا»، فَاقْتَادُوا رَوَاحِلَهُمْ شَيْئًا، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ، قَالَ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا»، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

وفي رواية لهذا الحديث، عند مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: عَرَسْنَا مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ نَسْتَقِظْ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ بِرَأْسِ رَاحِلَتِهِ، فَإِنَّ هَذَا مَنْزِلُ حَضْرَانَا فِيهِ الشَّيْطَانُ»، قَالَ: فَفَعَلْنَا، ثُمَّ دَعَا بِالْمَاءِ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، (وَقَالَ يَعْقُوبُ: ثُمَّ صَلَّي سَجْدَتَيْنِ)، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى الْغَدَاةَ.

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه^(١)، من حديث حُذَيْفَةَ، قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا، لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا؛ حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَضَعُ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ، مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ، كَانَتْهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِيَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، كَأَنَّمَا يُدْفَعُ، فَأَخَذَ يَدَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ، يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ، أَنْ لَا يُذَكَّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهِذِهِ الْجَارِيَةِ؛ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا، فَأَخَذْتُ يَدَهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيُّ؛ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ يَدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ يَدُهُ فِي يَدِي مَعَ يَدَهَا».



(١) مسلم (مع النووي ١٣/١٨٧).

التعوذ عند دخول الخلاء ونهيق الحمار

ونعوذ بالله من الشيطان، في المواطن التي تحضرها الشياطين، فإنهم يحضرون في الأماكن الخبيثة، فلذا نتعوذ بالله عند دخول الخلاء.

* ففي الصحيحين ^(١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ» ^(٢).

* ونتعوذ بالله عند نهيق الحمار، كما قال رسول الله ﷺ: «وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيْقَ الْحِمَارِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَانًا» ^(٣).

* * *

(١) البخاري (١٤٢ و ٦٣٢٢)، ومسلم (١٢٢).

(٢) قبل الخُبث والخبائث، المراد بها: ذكران الشياطين وإناثهم.

(٣) البخاري (٣٣٠٣) ومسلم (٢٧٢٩).

التعوذ بالله عند الغضب

ولما كان الشخص عند الغضب لا يتصرف بطريقة حسنة، تنم عن عقل وسداد ورشاد، ولما كان الشيطان يحضر عند الغضب، ويوسوس للشخص، وينفخ فيه، ويزين له الباطل، شرع لنا أن نستعيد بالله عند الغضب.

أخرج البخاري ومسلم^(١) من حديث سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَجُلَانِ يَسْتَبَانِ، فَأَحَدُهُمَا أَحْمَرُ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ^(٢)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ». فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ.

* وأخرج البخاري ومسلم^(٣)، من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ، تَصَيَّفَ رَهْطًا، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: «دُونَكَ أَضْيَافُكَ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَفْرُغْ مِنْ قِرَاهُمُ قَبْلَ أَنْ أَجِيءَ»، فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَتَاهُمُ بِمَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: اطْعَمُوا، فَقَالُوا: أَيْنَ رَبُّ مَنْزِلِنَا، قَالَ: اطْعَمُوا، قَالُوا: مَا نَحْنُ بِأَكْلِينَ؛ حَتَّى يَجِيءَ رَبُّ مَنْزِلِنَا، قَالَ: اقْبَلُوا عَنَّا قِرَاكُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ جَاءَ، وَلَمْ تَطْعَمُوا لَنَلْقَيْنَ مِنْهُ، فَأَبَوْا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَجِدُ عَلَيَّ، فَلَمَّا جَاءَ تَنَحَّيْتُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتُمْ، فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ»، فَسَكَتُ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ»، فَسَكَتُ، فَقَالَ: «يَا غُنْثَرُ، أَقَسَمْتُ عَلَيْكَ، إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَوْتِي لَمَّا جِئْتُ»، فَخَرَجْتُ، فَقُلْتُ: سَلْ أَضْيَافَكَ، فَقَالُوا: صَدَقَ، أَتَانَا بِهِ، قَالَ: «فَإِنَّمَا أَنْتَ ظَرْتُمُونِي، وَاللَّهُ لَا أَطْعَمُهُ اللَّيْلَةَ»، فَقَالَ الْآخَرُونَ: وَاللَّهُ لَا نَطْعَمُهُ حَتَّى

(١) البخاري (٣٢٨٢)، ومسلم (١٠٩).

(٢) الأوداج: عروق الوريد.

(٣) البخاري (مع الفتح ١٠ / ٥٣٤)، ومسلم (مع النووي ١٤ / ٢١).

تَطْعَمَهُ، قَالَ: «لَمْ أَرِ فِي الشَّرِّ كَاللَّيْلَةِ، وَيَلِكُمْ، مَا أَنْتُمْ؟ لِمَ لَا تَقْبَلُونَ عَنَّا قِرَاطَكُمْ؟ هَاتِ طَعَامَكَ»، فَجَاءَهُ، فَوَضَعَ يَدَهُ فَقَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ، الْأُولَى لِلشَّيْطَانِ، فَأَكَلْ وَأَكْلُوا».

وإذا كانت بين شخص، وآخر شحنة، ووفق الله أحدهما للعفو والمسامحة والتجاوز، ومقابلة الإساءة بالإحسان، وهذا بلا شك من كريم الأخلاق، ثم إنه أقرب إلى الله ﷻ، وأعظم أجراً للعافي عن الناس، فقد قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]، وقال: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

والشيطان، لا يرضى بكل هذا، لا يرضى بالصلح، ولا يرضى بالعفو؛ بل يريدنا فتناً مشتعلة بين المسلمين، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]. فلما ذكر، فإن الشيطان يحضر آنذاك، ويوسوس للشخص، ويحض على عدم العفو، لذا فقد أرشدنا الله ﷻ عقب ما ذكرنا به من مقابلة الإساءة بالإحسان، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

فلزمننا، أن نلجأ إلى الله؛ كي يعيذنا من الشيطان ووساوسه، وكي لا يصدنا الشيطان عن العفو والصفح.



الاستعانة بالله على عدم الوقوع في الخطأ، وعلى النجاة من الزلل

* **فمن ذلك:** قول نوح عليه السلام، بعد أن دعا لولده بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي أَبْنَى مِنْ أَهْلِي..﴾، وعاتبه الله بقوله: ﴿يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦].

حيث، دعا نوح بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧]. أي: يا رب إني أُلجأ إليك وأستجير بك كي تحفظني حتى لا أسأل ما ليس لي به علم، فإنك يا رب، إن تركتني ونفسي فسأقع في الخطأ مرة ثانية.

ومن ذلك، قول الصديق يوسف عليه السلام: ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

من الاستعاذة بالله أيضاً للحفاظ من الوقوع في الخطأ، قول يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ [يوسف: ٧٩]. أي: نعوذ بالله، أن نقع في الظلم والجور فنأخذ البريء.



التعوذ بالله من أن تخبطنا الشيطان عند الموت

فالشيطان يسعى؛ كي يُختم للخلق بالكفر والعصيان، ونتعوذ بالله ﷻ من ميتة السوء، بكل صورها وأشكالها.

أخرج أبو داود وغيره ^(١)، بسند صحيح، عَنْ أَبِي الْيَسْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرْدِي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَرَقِ، وَالْحَرَقِ، وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا».

ونتعوذ بالله من الشيطان صباحًا ومساءً

أخرج أبو داود وغيره ^(٢)، من حديث أبي هريرة، قال: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ، قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ، أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ، وَإِذَا أَمْسَيْتُ. قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهِ. قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ».

ويشرع التعوذ عمومًا صباحًا ومساءً:

وقد ورد شيء من هذا في حديث سيد الاستغفار، وأيضًا فقد أخرج الترمذي وغيره ^(٣)، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَصَابَنَا طَشٌ وَظُلْمَةٌ، فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ بِنَا، ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامًا مَعْنَاهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ بِنَا، فَقَالَ:

(١) أبو داود (١٥٥٢) والنسائي في السنن الصغرى (٥٥٣١).

(٢) أبو داود (٥٠٦٧).

(٣) الترمذي (٣٥٧٥)، والنسائي (٢١٩/٨) واللفظ له، وإسناده حسن.

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالْتَعَوُّذَاتِ

«قُلْ» فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟، قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثًا يَكْفِيكَ كُلَّ شَيْءٍ».

وفي حديث ابن مسعود، في صحيح مسلم، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمْسَى قَالَ: «... وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا»^(١).

ومن الاستعاذة صباحًا ومساءً

أخرج أبو داود^(٢)، وغيره من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ، حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي، وَقَالَ عَثْمَانُ^(٣) (عَوْرَاتِي) وَأَمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي».

ومن الحروز قراءة سورة البقرة، أو الآيتين الأخيرتين^(٤) منها

أخرج مسلم في صحيحه^(٥)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ». وفي الصحيح^(٦)، من حديث أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ».

(١) وفي بعض الروايات «وشر ما فيها»، والحديث أخرجه مسلم (٧٠٠٨).

(٢) أبي داود (٥٠٧٤)، والنسائي (١٠٣٢٥).

(٣) هو أحد الرواة.

(٤) وكذا قراءة آية الكرسي، وستأتي إن شاء الله.

(٥) مسلم (٨٦/٦).

(٦) البخاري (مع الفتح ٩/٩٤).

وفي صحيح مسلم ^(١)، من حديث أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقْرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَّاتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقْرَةِ، فَإِنَّ أَخَذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرَكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ». قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَّغْنِي أَنَّ الْبَطْلَةَ: السَّحَرَةُ.

ومن الحروز آية الكرسي

أخرج البخاري معلقاً ^(٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ ... فذكر قصته مع الشيطان وقول الشيطان ^(٣) له دَعْنِي أُعَلِّمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ... فذكر الحديث، وذكر أبو هريرة قول رسول الله ﷺ له: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ».

تعويذ الصبيان والبنات

ونعوذُ أبناءنا وبناتنا من الشيطان الرجيم:

قالت أم مريم لَمَّا وَضَعَتْهَا: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

[آل عمران: ٣٦].

(١) مسلم (٦/١٨٩).

(٢) مع الفتح (٤/٤٨٧).

(٣) وكان الشيطان في صورة رجل.

فِيهِ الدُّعَاءُ وَالْعُذُوكَاتُ

وأخرج البخاري^(١)، من حديث، ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ^(٢)، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ».

وأخرج البخاري ومسلم^(٣)، من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ^(٤) - أَوْ أَمْسَيْتُمْ - فَكُفُّوا صَبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرُوا^(٥) آيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا^(٦)، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ».



(١) البخاري (٣٣٧١).

(٢) **والهامة**: هي دابة الأرض المؤذية، وقد تطلق على الحيات، والعقارب، والقمل، وكل حشرة ذات شر. **والعين الامة**: عين الحاسد التي تلم بالإنسان، أي تصيبه.

(٣) البخاري (مع الفتح ٨٨ / ١٠)، ومسلم (٢٤١ / ١٣).

(٤) المراد إقبال الليل بعد غروب الشمس، والله أعلم.

(٥) **خمروا**، أي: غطوا، والتخمير التغطية.

(٦) في بعض روايات البخاري: «وَلَوْ يُعَوِّذُ تَعْرِضُهُ عَلَيْهِ».

ما يفعل عند الرؤيا المكروهة والأحلام المزعجة

الرؤيا المكروهة، والأحلام المزعجة في أكثر الأحيان، إنما هي تحزين من الشيطان، فالشيطان يسعى لإدخال الحزن، والقلق والاضطراب على ابن آدم، كما يصنع في النجوى، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٠].

وكذلك، فإن الشيطان، قد يتلاعب بالشخص في منامه، ويتشكل له بصور وأشكال لإزعاجه وتفزيعة، وثمت أمور تفعل علمنا إياها رسولنا الكريم -عليه أفضل صلاة وأتم تسليم-، بفعلها لا نقلق، ولا نضطرب، بل نهذا ونسكن ونطمئن بإذن الله ﷻ، **وتلخيصها فيما يلي:**

أولاً: التعوذ بالله من شرّها.

ثانياً: التفل عن اليسار ثلاثاً.

ثالثاً: التحول عن الجنب الذي كنا عليه.

رابعاً: نقوم ونصلي.

خامساً: لا نحدث بها أحداً.

وبهذا جاءت، جملة الأحاديث، عن رسول الله ﷺ، فإذا فعلنا ذلك لا نبالي؛ بل نطمئن ونهدأ، ونسكن بإذن الله.

وها هي الأحاديث الواردة في هذا الصدد.

* أخرج البخاري^(١)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا،

(١) البخاري (٦٩٨٥).

وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ، مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ».

وعند البخاري^(١)، من حديث أبي سلمة، يَقُولُ: لَقَدْ كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا، فَتَمْرِضُنِي؛ حَتَّى سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ، يَقُولُ: وَأَنَا كُنْتُ لَأَرَى الرُّؤْيَا تَمْرِضُنِي؛ حَتَّى سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ، مَا يُحِبُّ، فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ، وَلْيَنْفِلْ ثَلَاثًا، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَدًا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ».

وفي رواية في الصحيحين^(٢)، من حديث أبي قَتَادَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ فَلْيَتَعَوَّذْ مِنْهُ، وَلْيَبْصُقْ عَنْ شِمَالِهِ، فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ».

وعند مسلم^(٣)، من حديث جَابِرٍ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ».

وأخرج الإمام مسلم^(٤)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٍ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ».

(١) البخاري (٤٢٠ / ١٢).

(٢) البخاري (٣٧٣ / ١٢)، ومسلم (١٧ / ١٥).

(٣) مسلم (٢٠ / ١٥).

(٤) مسلم (٢٠ / ١٥).

طائفة من الحروز والتحصينات

ومن الحروز، التي يتحرز بها الشخص -فضلاً عما ذكر- ما يلي:

* قول: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء

قدير:

أخرج البخاري ومسلم^(١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةِ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ».

التعوذ بالمعوذات عند الشكوى والمرض

أخرج البخاري ومسلم^(٢)، من حديث عائشة رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا اشْتَكَى وَجَعَهُ الَّذِي تُوفِّي فِيهِ، طَفِقَتْ أَنْفَثُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، الَّتِي كَانَ يَنْفِثُ، وَأَمْسَحُ بِإِصْبَعِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْهُ.

التعوذ بالمعوذات عند النوم

أخرج البخاري^(٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَخَذَ

(١) البخاري (مع الفتح ٦/٣٣٨)، ومسلم (مع النووي ١٧/١٧).

(٢) البخاري (مع الفتح ٨/١٣١)، ومسلم (١٣/١٨٣ مع النووي)، وانظر: بعض ما ورد من تعليق (فتح الباري ٩/٦٢).

(٣) البخاري (مع الفتح ١١/١٢٥).

مَضَجَعَهُ نَفَثَ فِي يَدَيْهِ، وَقَرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ ^(١)، وَمَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ.

وأخرج البخاري ^(٢) أيضاً، من حديث عائشة: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

وفي رواية أخرى في الصحيحين ^(٣) عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ بِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَبِالْمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ» قَالَتْ عَائِشَةُ: «فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ» قَالَ يُونُسُ: كُنْتُ أَرَى ابْنَ شَهَابٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ إِذَا أَتَى إِلَى فِرَاشِهِ.

(١) قال الحافظ في الفتح (٨ / ١٣١): والمراد: بالمعوذات سورة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ^(١)، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ^(٢)، وجمع إما باعتبار أن أقل الجمع اثنان، أو باعتبار أن المراد: الكلمات التي يقع التعوذ بها من السورتين، ويحتمل أن المراد بالمعوذات هاتان السورتان مع سورة الإخلاص وأطلق ذلك تغليياً وهذا هو المعتمد.

ثم قال الحافظ، في تعليقه على الحديث، في كتاب «فضائل الأعمال»: قوله: (قوله باب فضل المعوذات أي الإخلاص والفلق والناس)، وقد كنت جوزت في باب الوفاة النبوية، -يقصد كلامه الأول من كتاب المغازي، أن الجمع فيه بناء على أن أقل الجمع اثنان، ثم ظهر من حديث هذا الباب، -سيأتي إن شاء الله- أنه على الظاهر، وأن المراد: بأنه كان يقرأ بالمعوذات، أي: السور الثلاث، وذكر سورة الإخلاص معهما تغليياً؛ لما اشتملت عليه من صفة الرب، وإن لم يصرح فيها بلفظ التعويد، وقد أخرج أصحاب السنن الثلاثة، وأحمد، وابن خزيمة، وابن حبان، من حديث عقبة بن عامر، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس». فقرأهن رسول الله ﷺ، ثم قال: «لم يتعوذ الناس بمثلهن». أو «لا يتعوذ الناس بمثلهن» وفي لفظ: «اقرأ المعوذات دبر كل صلاة...»، فذكرهن.

(٢) البخاري (مع الفتح ٩ / ٦٢).

(٣) البخاري (١٠ / ٢٠٩)، ومسلم (١٧ / ٤٥).

شيء من صلاة الليل

وأخرج البخاري ومسلم^(١)، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ، فَقِيلَ: مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ، مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ».

دفع الشكوك والبعد عن مواطن الشبهات والريب

وأخرج البخاري ومسلم^(٢)، من حديث صَفِيَّةَ -زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ- أَخْبَرَتْهُ، أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا يَقْلِبُهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ، عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ، مَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ»، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يُلْغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِّ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا».

ترك كلمة لو المصحوبة بالاعتراض على القدر

وأخرج مسلم^(٣)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ، مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، احْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا،

(١) البخاري (٢٨/٣)، ومسلم (٦٣/٦).

(٢) البخاري (٢٨/٣)، ومسلم (٦٣/٦).

(٣) مسلم (١٦/٢١٥ مع النووي).

وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

تقليل التثاؤب وكظمه قدر الاستطاعة

وأخرج البخاري^(١)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرِدْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ الشَّيْطَانُ».

وعند البخاري ومسلم^(٢)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ - أَرَاهُ أَحَدُكُمْ - مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثًا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْتَغِي خَيْشُومَهُ».

التصبح بسبع تمرات عجوة

وأخرج البخاري ومسلم^(٣)، من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اصْطَبَحَ، كُلَّ يَوْمٍ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ سُمٌّْ، وَلَا سِحْرٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ».

الرقية بأمّ القرآن

وأخرج البخاري ومسلم^(٤)، من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَلَمْ يَقْرُؤْهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ،

(١) البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٣٨).

(٢) البخاري (٦/ ٣٣٩)، ومسلم (٣/ ١٢٧).

(٣) البخاري (١٠/ ٢٣٨)، ومسلم (١٤/ ٢).

(٤) البخاري (١٠/ ١٩٨)، ومسلم (١٤/ ١٨٧).

إِذْ لُدَّ سَيِّدُ أَوْلِيَّكَ، فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ، أَوْ رَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُؤْنَا، وَلَا نَفْعُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعَلًا، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأَمِّ الْقُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بُرَاقَهُ وَيَتَنَفَّلُ، فَبَرَأَ فَأَتَوْا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا: لَا نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: «وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ، خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسُهُمٍ»

لا تقل تعس الشيطان

وأخرج أبو داود^(١)، من طريق أبي المَلِيحِ، عَنْ رَجُلٍ، قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَثَرْتُ دَابَّةً، فَقُلْتُ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: «لَا تَقُلْ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَازَمَ؛ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ، تَصَاغَرَ؛ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ».

قال (مصطفى): والظاهر لي -والله أعلم-: أنه يمنع أيضاً قول الشخص، وسواس قهري، فإن الوسواس ضعيف، لا يقهر أحداً، وقد يتعاضم بمثل هذا القول الذي يقولونه عنه (وسواس قهري).

ذكر الله عند دخول البيت، وعند الخروج

وأخرج مسلم^(٢)، من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عِشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَذْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعِشَاءَ».

(١) أبو داود (٢٦٠ / ٥).

(٢) مسلم (١٩٠ / ١٣).

وفي زيادة، عند مسلم: «وَإِنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عِنْدَ طَعَامِهِ، وَإِنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عِنْدَ دُخُولِهِ».

* هذا، وهنالك حروز أخر نحتز بها من الشيطان الرجيم، موجودة في مواطنها من أبواب الأذكار، والدعوات، والتحصينات، وغيرها فليراجع إليها من شاء.



التعوذ بالله من شرور النفس وسيئات العمل

* ولما كانت النفس، أَمَّارة بالسوء، في غالب الأحوال، كما قد ورد في كتاب الله ﷻ، إذ قالت امرأة العزيز: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣].
 شرع لنا، أن نتعوذ بالله من شر النفس، وما عساه أن تجلبه لنا هذه النفس الأمارة بالسوء من مكروه، وسوء وعذاب، وذلك بعصيانها وتمرداها على أوامر الله، ولقد صحَّ أن النبي ﷺ علَّم أصحابه التشهد في الحاجة، قال: «التَّشَهُدُ فِي الْحَاجَةِ: أَنْ يَحْمَدَ لِلَّهِ، نَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرِّ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ، فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ، فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». وَيَقْرَأُ ثَلَاثَ آيَاتٍ^(١).

* وعند أبي داود، والترمذي، وغيرهم^(٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه، لما قال له أبو بكر رضي الله عنه أخبرني بشيء، أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت. قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَ^(٣). قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ».



(١) النسائي (٣٢٧٧)، وأبو داود (٢١١٨).

(٢) أبو داود (٥٠٦٧) والترمذي (٣٣٩٢).

(٣) يدخل في شركه -بالكسر- سعيه لإيقاعنا في الشرك بالله، وتقرأ أيضًا شركه -بالفتح- أي: حباله ومصائده، التي يحاول أن يصطاد بها بني آدم لإيقاعهم في كل ما يريده منهم ويهواه ويحبه.

التعوذ بالله من نفس لا تشبع

*** وشرع لنا أن نتعوذ بالله من نفس لا تشبع:**

ففي صحيح مسلم^(١)، من حديث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا».

فالنفس دائماً تطمع، ومن ثم تتجه إلى الحرام، وتتجه إلى الحسد.

وقريب منه، عند الترمذي^(٢) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ».

*** ووردت الاستعاذة الله، من شر السمع والبصر، واللسان، والقلب، بل ومن شر المنى:**

وذلك، لأن السمع قد يوجّه إلى مُحَرَّم، فيستمع الشخص إلى ما حرمه الله، وكذا البصر ينظر الشخص إلى ما حرمه الله عليه، وكذا القلب قد يعقد العزم على فعل مُحَرَّم، والمنى قد يكون في حرام، واللسان قد ينطق بالمحرم عليه، فتحلّ بالشخص عقوبات كل ذلك، لذا شرع لنا أن نستعين بالله من شرور كل ما ذكر.

أخرج أبو داود^(٣)، في سننه من حديث أَبِي أَحْمَدَ شَكْلٍ بْنِ حُمَيْدٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا

(١) مسلم (٢٧٢٢).

(٢) الترمذي (٣٤٨٢).

(٣) أبو داود (١٥٥١)، والترمذي (٣٤٩٢)، والنسائي (٧٨٢٦) وغيرهم.

رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي دُعَاءً، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِّي».

التعوذ بالله من شر ما عملنا، ومن شر ما لم نعمل

*** وُشْرَع لَنَا، أَنْ نَتَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ مَا عَمَلْنَا، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ نَعْمَلْ:**

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ ^(١)، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمَلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ».

وَوَجْهَ التَّعَوُّذِ بِاللَّهِ، مِنْ شَرِّ مَا عَمَلْنَا وَاضِحٌ، وَذَلِكَ لِكَوْنِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، تَجْلِبُ الْمَصَائِبَ وَالْعَذَابَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِذْ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

*** أَمَّا الْإِسْتِعَاذَةُ مِنْ شَرِّ مَا لَمْ نَعْمَلْ، فَقَدْ يَحْتَاجُ إِلَى إِضْاحٍ، وَوَجْهَ ذَلِكَ أَنَّ الشَّخْصَ، قَدْ يَتَخَلَّفُ عَنْ عَمَلٍ، أَوْ قَوْلٍ، أَوْ جَهَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَيَسْبَبُ تَرْكَ هَذَا الْعَمَلِ تَحُلُّ الْعُقُوبَةَ عَلَيْهِ، فَلِذَا اسْتَعَاذْنَا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ مَا لَمْ نَعْمَلْ أَيْضًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.**

*** هَذَا، وَمِنْ الْوَارِدِ فِي الْإِسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْنَا، مَا وَرَدَ فِي سَيِّدِ الْإِسْتِغْفَارِ:**

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ ^(٢) فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ، شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»

(١) مسلم (٦٩٩٤)، وأبو داود (١٥٥٠)، وغيرهما، وانظر: التتبع للدارقطني.

(٢) البخاري (٦٣٠٦).

التعوذ بالله من النار

وقد ورد التعوذ بالله من النار، في عدة أحاديث، عن رسول الله ﷺ، وكذا التعوذ بالله من عذاب جهنم، لا يكاد الحصر يأتي عليها، وكثير منها أورده ضمنًا في ثنایا هذا المبحث.

التعوذ بالله من كل صور العذاب

نتعوذ بالله من عذاب النار.

نتعوذ بالله من عذاب القبر.

نتعوذ بالله من عذاب الدنيا ونصبها.

أخرج مسلم^(١) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ، وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَدَّثَ بِهِ^(٢)، فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبَرُ^(٣) سِتَّةً، أَوْ خَمْسَةً، أَوْ أَرْبَعَةً، - قَالَ: كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجُرَيْرِيُّ - فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبَرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: «فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاقِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةُ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا^(٤)، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ». ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ

(١) مسلم (٣٧١٥).

(٢) حادثة، أي: مالت.

(٣) أقبر، جمع قبر.

(٤) لا تدافنوا، أي: لا تدفنوا موتاكم.

مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ.

التعوذ بالله من عذاب الدنيا

* **ورد التعوذ بالله من العذاب، الذي قد يحلُّ في الدنيا:**

أخرج البخاري^(١) من حديث جابر رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أَوْ يَلْسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَهْوَنُ - أَوْ هَذَا أَيْسَرُ -».

التعوذ بالله من فتنة القبر وعذاب القبر

وتواردت النصوص، بالتعوذ من فتنة القبر، وهي سؤال الملكين، للشخص في القبر، وقد ورد في الحديث: «إِنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ، مِثْلَ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ».

وأخرج البخاري ومسلم^(٢)، من حديث، عائشة رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ».

(١) البخاري (٤٦٢٨).

(٢) البخاري (٦٣٧٦)، ومسلم (٤٩).

فَتْهُ الدُّعَاءِ وَالتَّعَوُّذَاتِ

وثبت من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه ^(١)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

وعند مسلم ^(٢)، من حديث عائشة رضي الله عنها أَخْبَرَتْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ». فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْمَغْرَمِ! فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».

وقد ورد التعوذ بالله، من عذاب القبر في عدة أحاديث أخر

*** منها:** حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في صحيح مسلم ^(٣)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ».

وحديث عائشة رضي الله عنها ^(٤)، في الصحيحين، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ». فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».

التعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن

أخرج مسلم ^(٥) في صحيحه، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ». قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

(١) مسلم (٣٧١٥).

(٢) مسلم (١٢٧٢).

(٣) مسلم (مع النووي ٧٨/٥).

(٤) البخاري (٨٣٢)، ومسلم (مع النووي ٨٧/٥).

(٥) مسلم (٣٧١٥).

- * وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الْفِتَنِ» ^(١).
- * وقال عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ» ^(٢).
- * وقد تَعَوَّذَ النَّبِيُّ ﷺ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثٍ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا ^(٣).

التعوذ من فتن الحياة الدنيا كلها

وهي الفتن، التي تؤول بصاحبها إلى أن ينصرف عن دينه، ويعدل عن الصراط المستقيم، إلى صراط الجحيم.

وكذا يشرع التعوذ من فتنة الممات، وتشمل هذه الفتنة سوء الخاتمة، وتشمل سؤال الملكين، واختبارهم للشخص في قبره، وتشمل تخبط الشيطان للإنسان عند الموت.

أخرج البخاري ومسلم ^(٤)، من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

ونتعوذ بالله من فتنة المحيا والممات، فقد كان النبي ﷺ، يتعوذ بالله من ذلك، ويأمر به.

أخرج البخاري ومسلم ^(٥)، من حديث أَنَسِ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ،

(١) البخاري (٧٠٨٩)، ومسلم (٦١٨٩).

(٢) البخاري (٤٤٧)، ومسلم (٧٠).

(٣) انظر: البخاري (٢٨٢٢)، ومسلم (٦٣٦٥).

(٤) البخاري (٢٨٢٣)، ومسلم (٥٠ و ٥٢).

(٥) البخاري (٢٨٢٣)، ومسلم (٥٠ و ٥٢).

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

وعند مسلم^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يُعَلِّمُهُمُ الدُّعَاءَ، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ».

* **أما عن فتنة المحيا،** فهي فتن الحياة الدنيا التي تصرف الشخص عن طاعة الله، وطاعة رسوله، وكذا فمنها الابتلاءات التي لا يطيقها الشخص، ولا يحتملها فتفضي به إلى العدول عن طريق الحق والاستقامة إلى طريق الغي والباطل والضلالة.

* **وأما فتنة الممات،** فيدخل فيها الفتنة عند الموت، وتخبط الشيطان للإنسان عند الموت، وسعيه أن يختم للشخص بالكفر والسوء، ويدخل في فتنة الممات أيضًا، سؤال الملكين في القبر للعبد؛ من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ويدخل فيها صور العذاب عند الممات، وفي القبر وبعد البعث، وما بعد الممات عمومًا.

* **أما العجز،** فهو عدم القدرة على فعل الشيء، فيريد الشخص، أن يصلي فلا يستطيع، ويريد أن يعمل الخيرات فلا يستطيع، لمرض شديد، أو لشلل أصابه، أو لأي عارض أعجزه عن العمل والحركة وفعل النافع.

* **أما الكسل،** فهو القعود عن فعل الشيء، والتكاسل عنه مع القدرة على فعله. فترى شابًا قويًا ولكن دائمًا يؤثر النوم ويؤثر الجلوس وإذا طوّل بأي عمل لا ينهض له سواء كان العمل من العبادات التي يتقرب بها إلى الله، أو كان العمل مما ينفعه في دنياه.

فتراه متكاسلاً رغم قوته وبدانته وسلامته من الآفات عيادًا بالله.

(١) مسلم (١٢٧٢).

*** أما الجبن،** فيحمل الشخص على ترك الخير، وعلى ترك الصلوات، ويحمله على الاستسلام لأية ضغوط عليه فيبقى الجبان حائرًا مترددًا خوافًا من أي شيء.

والبخل يحمل صاحبه على منع ما افترضه الله عليه

فيبخل بالزكوات المفروضة، ويبخل بصنائع المعروف، ويبخل بالنصح، ويبخل بالعلم، ويبخل بالسلام، ويبخل بكل خير يقرب من الله.

*** أما الهرم،** فهو كبر السنّ، المصحوب بالتخريف، وذهاب العقل فإذا وصل الشخص إلى هذا الحدّ أصبح مزدريّ في الناس يتهمون عليه، ويسخرون منه، ويتمنون موته اليوم قبل غدًا لمشقته عليهم.

هذا، وقد أخرج البخاري ومسلم^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

* * *

(١) البخاري (٢٨٢٣)، ومسلم (٥٠).

التعوذ بالله من الجهل

قال موسى عليه السلام: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، وقال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

فلجأ نوح عليه السلام إلى ربه؛ كي يحفظه وينجيه من سؤال ما ليس له به علم. فالجهل داءٌ عظيم، يوقع في كل قبيح وذميم، والجهل يوقع الشخص في الشرك والكفر والإلحاد، والجهل يوقع الشخص في البدع والضلالات والإحداث في الدين، والجهل يوقع الشخص في العصيان، والجهل يوقع الشخص في مشاكل مع الناس هو في غنى عنها.



ونتعوذ بالله ﷻ من الجبن والبخل وسيئ الأخلاق

أخرج البخاري ^(١) وغيره من طريق عمرو بن ميمون الأودي، قال: كَانَ سَعْدُ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، كَمَا يُعَلِّمُ الْمُعَلِّمُ الْغُلَمَانَ الْكِتَابَةَ، وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُمْ ذُبْرَ الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، فَحَدَّثْتُ بِهِ مُصْعَبًا فَصَدَّقَهُ. وأخرج البخاري ^(٢) من طريق مصعب بن سعد، قال: كَانَ سَعْدُ، يَأْمُرُ بِخَمْسٍ، وَيَذْكُرُهُنَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِهِنَّ: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ

(١) البخاري (٢٨٢٢).

(٢) البخاري (٦٣٦٥).

مِنَ الْجَبَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا - يَعْنِي فِتْنَةَ الدَّجَالِ - وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

وثبت في حديث أنس، وقد تقدم أن النبي ﷺ كان يتعوذ بالله من الجبن ^(١).



ومن أسباب التَعَوُذِ مِنَ الْجَبَنِ ^(٢)

أن الجبن، قد يحمل الشخص على ضياع دينه ودنياه.
فالجبان يفر من المعارك، ويولي الدبر، والله يقول: ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَ ذِئْبِهِ إِلَّا
مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦].

والجبان، قد يتخلف عن الصلوات المكتوبات؛ خوفاً على نفسه بزعمه من
مطارد الشرط في بعض الدول له، والجبان قد يترك أمواله لمن يخيفونه ويهددونه،
والجبان قد يتخلف عن كلمة الحق، وشهادة الحق، والجبان قد يفرط في عرضه،
والجبان يصبح أضحوكة بين الناس.

فلهذا ولغيره، توارد التَعَوُذُ بِاللَّهِ مِنَ الْجَبَنِ، ذلكم الخلق السيء.
والبخل ^(٣) يحمل صاحبه على البخل بالزكوات المفروضة، ويحمله على البخل
بصدقات التطوع، ويحمله على البخل بالعلم، والبخل بالسلام، ويحمله على منع
الماعون، ولذا فقد ثبت التَعَوُذُ بِاللَّهِ مِنَ الْبَخْلِ؛ بل وثبت الأمر به كذلك.

(١) البخاري (٢٨٢٣)، ومسلم (٥٠).

(٢) وتقدم شيء من ذلك قريباً.

(٣) وتقدم شيء من ذلك قريباً.

التعوذ بالله من أن نرد إلى أرذل العمر

وذلك، لأن أرذل العمر يصاحبه التخريف، ويُزري بالشخص أمام الخلق، وقد قال تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥]. وقد تقدم ^(١) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يَقُولُ: «وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ». بل وكان يأمر بذلك أيضًا ^(٢). **وكذا،** فإن النبي ﷺ يتعوذ بالله من الهرم ^(٣).

التعوذ بالله من فتنة الغنى ومن فتنة الفقر

لما كان المال، كثيرًا ما يفتن أصحابه، ويصرفهم عن طاعة الله، شُرع لنا التعوذ بالله من فتنه.

*** أما كون المال قد يفتن، فللأدلة الآتية:**

*** قول الله تعالى:** ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧].

*** وقال تعالى:** ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۚ إِنَّ رَأْيَهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦، ٧].

أي: أن الإنسان، إذا رأى نفسه مستغنيًا عن الخلق بدأ في الطغيان والتجبر والكبر.

*** وقال تعالى:** ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣].

*** وقال تعالى:** ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسَى مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ [الزمر: ٨].

فلذا شرع لنا التعوذ بالله من فتنة الغنى.

*** ولما كان الفقر كذلك قد يتسبب في انصراف الشخص عن دينه، وعن أخلاقه،**

(١) البخاري (٢٨٢٢).

(٢) البخاري (٦٣٦٥).

(٣) البخاري (٢٨٢٣)، ومسلم (٥٠).

فقد يحمله الفقر على الكفر.

وقد يحمله الفقر على السرقة، وقد يحمله الفقر على حس العباد، وقد يحمله الفقر على الفاحشة، وعلى غير ذلك من صور المعاصي والكبائر والبدعة في الدين.

فلذلك، ولغيره شرع لنا التعوذ بالله من فتنة الفقر، أخرج البخاري، ومسلم^(١)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ».

التعوذ بالله من المغرم والمأثم

أما المغرم، فهو الدين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْغَرَمِينَ﴾، وكذا يدخل فيه الغرامة التي يغرّمها الشخص لعارض من العوارض.

فالديون تحمل صاحبها أحياناً على الكذب وعلى أن يعد ويخلف.

فيأتي صاحب الدين يطالب، بدين، فيقول له المدين اتّني غداً، فيأتي غداً، ولا يجد حقه، وهكذا يكرّر الوعود والإخلاف فيها فيأثم بسبب إخلاف الوعد، وقد دلّ النص على ذلك.

أخرج البخاري ومسلم^(٢)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ، ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ». فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».

(١) البخاري (٦٣٧٦)، ومسلم (٤٩).

(٢) البخاري (٢٣٩٧)، ومسلم (١٢٩).

التعوذ بالله من فتنة المسيح الدجال

تواردت النصوص، في التعوذ بالله من فتنة المسيح الدجال.

ثبت ذلك في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، في الصحيحين ^(١) فقد ذكرت: أن النبي ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ، وَيَقُولُ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ».

*** وثبت ذلك،** من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند مسلم ^(٢).

*** وثبت ذلك،** من حديث زيد بن ثابت عند مسلم أيضًا ^(٣)، ومن عدة طرق، عن

النبي ﷺ.

ففتنة الدجال، فتنة عظيمة، فإنه يضل كثيرًا من الناس ويخرجهم من الإسلام إلى الكفر، عيادًا بالله، ولذا فإن رسول الله ﷺ، قال: «مَا بَيْنَ خَلْقِ الدَّجَالِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ» ^(٤).

*** وعند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ،** من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ذُكِرَ الدَّجَالُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَنَا: «لَفِتْنَةُ بَعْضِكُمْ أَخَوْفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، وَلَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِمَّا قَبْلَهَا إِلَّا نَجَا مِنْهَا، وَمَا صُنِعَتْ فِتْنَةٌ مُنْذُ كَانَتْ الدُّنْيَا صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً، إِلَّا تَتَضَعُ لِفِتْنَةِ الدَّجَالِ» ^(٥).

*** وعند البخاري ^(٦)،** من حديث حذيفة، أن النبي ﷺ، قَالَ فِي الدَّجَالِ: «إِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَنَارُهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَمَاؤُهُ نَارٌ».

(١) البخاري (٦٣٧٦)، ومسلم (٤٩).

(٢) مسلم (١٢٧٢).

(٣) مسلم (٣٧١٥).

(٤) مسلم (حديث ٢٩٤).

(٥) أحمد (٣٨٩/٥) بسند صحيح.

(٦) البخاري (٧١٣٠).

ولذا، فإن الأنبياء حذروا أممهم منه.

ففي الصحيحين، من حديث، أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ»^(١).

وعند البخاري أيضاً^(٢)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ الدِّجَالِ حَدِيثًا مَا حَدَّثَهُ نَبِيٌّ قَوْمَهُ إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّهُ يَحْيِي مَعَهُ مِثْلَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الْجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ».

ولذا ولغيره شرعت لنا التعوذ بالله من الدجال في الصلوات وغيرها.

أخرج البخاري ومسلم^(٣)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدِّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ». فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ كَذَبًا، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ».

وعند مسلم^(٤)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا فَرَعَ أَحَدُكُمْ مِنَ الشَّهَادَةِ الْآخِرِ، فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدِّجَالِ».

وعند مسلم^(٥) من حديث ابن عباس، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يُعَلِّمُهُمُ الدُّعَاءَ، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ

(١) البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

(٢) البخاري (٣٣٣٨)، ومسلم (٢٩٣٦).

(٣) البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩).

(٤) مسلم (٥٨٨)، وفي بعض الروايات (ولم يذكر الآخر).

(٥) مسلم (٥٩٠).

بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ».

التعوذ بالله من أن نظلم العباد أو يظلمونا

* قال الصديق يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾

[يوسف: ٧٩].

* وقال موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].

* وقال أيضًا: ﴿وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: ٢٠]. أي: لجأت إلى الله عز وجل، الذي هو ربي وربكم كي يحفظني من رجمكم لي.

وفي الحديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ»^(١).

* ولما رأت مريم عليها السلام، بشرًا سويًا أمامها في خلوتها، وقد انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا -تعوذت بالله قائلة: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾.

[مريم: ١٨].

وأخرج أبو داود^(٢)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها، قالت: مَا خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا رَفَعَ طَرَفَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ، أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أَضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ، أَوْ أُزَلَ، أَوْ أَظْلِمَ، أَوْ أُظْلِمَ، أَوْ أَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ».

(١) وله شواهد يصح بها.

(٢) أبو داود (٥٠٩٦)، وفي سنده انقطاع، لكونه من طريق الشعبي، عن أم سلمة، ولم يسمع منها، ولكن لكثير من فقراته شواهد.

ومن التعوذ بالله من أذى البشر

ما أخرجه مسلم ^(١)، من حديث أبي مسعودٍ، أَنَّهُ كَانَ يَضْرِبُ غُلَامَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ، فَقَالَ: أَعُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ، فَتَرَكَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ لَلَّهِ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»، قَالَ: فَأَعْتَقَهُ.

التعوذ بالله من أن يأخذ شخص حق غيره

أخرج النسائي وأحمد وغيرهما ^(٢)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتِ الْأَنْصَارُ: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ. فَاتَاهُمْ عُمَرُ فَقَالَ: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ؟» قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ.

التعوذ بالله من الابن الشرير

أخرج مسلم في صحيحه ^(٣)، من طريق عامر بن سعدٍ، قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ ^(٤)، فَلَمَّا رَأَاهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّكَّابِ، فَنَزَلَ فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ».

(١) مسلم (٤٣٢٢ و ٤٣٢٣).

(٢) النسائي في المجتبى (٧٧٧)، وأحمد (١٣٣).

(٣) مسلم (٢٩٦٥)، وانظر: أحمد (١/ ٣٦٢) وأبو يعلى (٢/ ٨٥) وغيرهم.

(٤) وكان أميراً على الذين قتلوا الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، (قائد للسرية)، وكان عمر هذا شريفاً مفسداً.

ونتعوذ بالله عند جدال المجادلين المبطلين

* قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

[غافر: ٥٦].

ويشرع التعوذ بالله من شر الرياح

أخرج الإمام مسلم ^(١) رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»، قَالَتْ: وَإِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ، تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَادْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ، سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: لَعَلَّهُ، يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ عَادٍ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤].

وعند أبي داود ^(٢) مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ إِذَا رَأَى نَاشِئًا، فِي أَفْقِ السَّمَاءِ تَرَكَ الْعَمَلَ، وَإِنْ كَانَ فِي صَلَاةٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا» فَإِنْ مَطَرَ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا هَنِيئًا».

التعوذ من شرور الأمراض والآلام

أخرج مسلم ^(٣)، مِنْ حَدِيثِ، عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، أَنَّهُ شَكََا إِلَى رَسُولِ

(١) مسلم (١٥).

(٢) أبو داود (٥٠٩٩) بسند صحيح.

(٣) مسلم رقم (٥٧٨٨).

الله ﷻ، وَجَعَا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأْلَمُ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ».

التعوذ بالله عند بدايات السفر من مشقة السفر وتوابعه

أخرج مسلم -واللفظ له-^(١)، والبخاري بنحوه من حديث ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ»، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «أَيُّونَ تَأْتِيُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ».

وأخرج النسائي^(٢)، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ يَدْعُو بِهِؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ، وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ».

التعوذ بالله عند السَّحَرِ فِي السَّفَرِ

أخرج مسلم^(٣) في صحيحه، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَسْحَرَ، يَقُولُ: «سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَحُسْنِ بَلَاءِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبِنَا، وَأَفْضَلُ

(١) مسلم (٤٢٥)، وله لفظ قريب عند البخاري (١٧٩٧).

(٢) حسن لشواهده، وأخرجه النسائي (٥٤٨٧).

(٣) مسلم (٣٩/١٧).

عَلَيْنَا، عَائِدًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ».

أما قوله: «وَأَسْحَرَ». أي: دخل عليه وقت السحر، ومنه الثلث الأخير من الليل.

وقول: «سَمِعَ سَامِعٌ». أي: أخبر يا من تسمعنا، أننا نحمد الله، ونشني عليه، ونشكره على حسن نعمه علينا (فالبلاء هنا المراد به النعم). ثم يدعو قائلاً: يا ربنا كن لنا صاحباً وتفضل عليك بنعمك، ثم يتعوذ بالله من النار، أي مستجيراً بك، يا ربي، ولا جئاً إليك كي تعيذني من النار.

التعوذ بالله من القذف والخسف

أخرج البخاري^(١)، من حديث، جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، قَالَ: ﴿أَوْ يَلْسَكُمُ شَيْعًا﴾ [الأنعام: ٦٥]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا أَهْوَنُ» أَوْ «هَذَا أَيْسَرُ».

التعوذ بالله من الضلال

أخرج البخاري ومسلم^(٢)، من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ، لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ».

(١) البخاري (٤٦٢٨).

(٢) البخاري (٧٣٨٣)، ومسلم (٦٧).

الاستعاذة بالله من الحور بعد الكور

أخرج مسلم في صحيحه، من حديث، عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ»^(١).

ومن معاني ذلك تشتت الأمر، بعد اجتماعه، فقد يكون الشخص، أجمع رأيه على فعل شيء، ثم يأتيه عدد من الأقوام كلُّ برأى آخر فيقف متردداً حائراً لا يدري ماذا يصنع، فيصبح في همٍّ بعد أن كان مطمئناً.

ولذا، فإن القطع برأى في المسألة، واتخاذ قرارٍ بالذي يصنع بعد دراسة الأمر، والتوكل على الله يكون أرفق بالشخص، وأولى له، ولقد قال الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

التعوذ بالله من زوال النعم، وتحول العافية

وفجاءة النقم وعموم السخط

أخرج مسلم^(٢) من حديث، عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ».

(١) مسلم (حديث ١٣٤٣).

(٢) مسلم (٧٠٤٤).

التعوذ بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء

فقد كان النبي ﷺ يتعوذ بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء ^(١).
ووردت زيادة لفظها: «وَسَمَاتِ الْأَعْدَاءِ»، ولكن حكم بإدراجها عدد من العلماء،
إلا أن لها شواهد تصحُّ بها ^(٢).

ومما يقوم مقام التعوذ عند الجماع

أخرج البخاري ومسلم ^(٣)، من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ
أَنَّ أَحَدَكُمْ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا
رَزَقْتَنَا، فَقَضَى بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ».

التعوذ بالله عند النوم

أخرج مسلم ^(٤)، في صحيحه من طريق سُهَيْل -وهو ابن أبي صالح-، قَالَ: كَانَ
أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا، إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ، أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ:
«اللَّهُمَّ، رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ
الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ، أَنْتَ آخِذٌ
بِنَاصِيَّتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ
الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ
الْفَقْرِ». وَكَانَ يَرَوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

(١) البخاري (٦٦١٦)، وأمَّا لفظة الأمر التي في بعض الطرق: (تعوذوا) فهي شاذة.

(٢) ومن شواهدهما، ما أخرجه النسائي (٥٤٨٧) وأحمد (٦٦١٨) وغيرهما.

(٣) البخاري (١٤١)، ومسلم (٣٥٢٣).

(٤) مسلم (مع النووي ١٧/٣٥).

الاستعاذة بالله إذا نزلنا منزلاً

أخرج مسلم، والترمذي ^(١)، من حديث خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقولُ: «مَنْ نَزَلَ مِنْزَلاً، ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ».

التعوذ بالله من أمور متعددة

أخرج مسلم ^(٢)، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: لَا أَقُولُ لَكُمْ، إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا».

وعند الترمذي ^(٣)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ».

وأخرج أبو داود ^(٤)، وغيره من حديث أبي هريرة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْقِلَّةِ، وَالذَّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ، أَوْ أَظْلَمَ».

(١) مسلم (٥٥)، والترمذي (٣٤٣٧) واللفظ له.

(٢) مسلم (٢٧٢٢).

(٣) الترمذي (٣٤٨٢).

(٤) أبو داود (١٥٤٤).

التعوذ بالله من الشر كله

وورد عن رسول الله ﷺ، أنه كان يقول: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ»^(١).

شيء عن المعوذتين وفضلهما والتعوذ بهما

ومن أجمل وأكمل وأفضل، ما يتعوذ به؛ المعوذتان: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

* وقد أخرج مسلم في صحيحه، من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتِ، أَنْزَلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»^(٢).

* وفي لفظ آخر عند مسلم: «أُنْزِلَ، أَوْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ، الْمُعَوِّذَتَيْنِ».

* وعند أبي داود، والنسائي، من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَيضًا، قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ الْمُعَوِّذَاتِ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ^(٣).

* وأخرجه الترمذي، وأبو داود، والنسائي^(٤)، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبَيْبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ، وَظُلُمَةٌ شَدِيدَةٌ، نَطْلُبُ النَّبِيَّ ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَذْرَكُنَا «قُلْ» فَلَمْ

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٥٠١٩) وفي سنده مقال، وله شواهد حسنه بها بعض العلماء، انظر: الطبراني في المعجم الكبير (٢٠٥٨)، وفي الدعاء (١١٨).

(٢) مسلم (مع النووي ٩٦/٢).

(٣) أبو داود (١٨١/٢)، والنسائي (٦٩/٣) بإسناد حسن.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٧٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وأبو داود (٥٠٨٢)، والنسائي (٢٥٠/٨).

«قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ»، قُلْتُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ».

* وفي الصحيحين ^(١) من حديث عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، نَفَثَ فِي كَفِّهِ، بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَبِالْمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ.

* وفي صحيح مسلم، من حديث عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرَضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ، نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا مَرَضَ مَرَضُهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَتَةٍ مِنْ يَدِي ^(٢).

وبنظرة سريعة لهاتين السورتين المباركتين، أقول، وبالله التوفيق:

إِنَّ اللَّهَ ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ، أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ، وَالْمُؤْمِنُونَ لَهُ تَبِعٌ، أَنْ يَسْتَعِذَ بِاللَّهِ ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ، يَلْجَأُ إِلَيْهِ، وَيَسْتَجِيرُ بِهِ، وَيَعْتَصِمُ بِهِ، يَسْتَعِذُ بِاللَّهِ رَبِّ الْفَلَقِ، الرَّبِّ فَالِقِ الْإِصْبَاحِ، الَّذِي يَفْلُقُ الصَّبْحَ مِنَ اللَّيْلِ، وَالَّذِي يَفْلُقُ الْحَبَّ وَالنَّوَى، وَالَّذِي يَفْلُقُ كُلَّ شَيْءٍ، أَمَرَ الرَّسُولَ ﷺ أَنْ يَسْتَعِذَ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَالْفَلَقِ الصَّبْحِ، مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ، سِوَاهُ مِنَ الْإِنْسِ أَوْ الْجِنِّ، أَوْ مِنَ الدَّوَابِّ أَوْ الرِّيَّاحِ، وَفِي الْجُمْلَةِ مِنْ شَرِّ كُلِّ مَخْلُوقٍ لَهُ شَرٌّ، مِنْ شَرِّ الْمَخْلُوقَاتِ عَمُومًا.

ثُمَّ عَطَفَ بِالْإِسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، فَأَمَرَ بِالْإِسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، وَهُوَ اللَّيْلُ إِذَا دَخَلَ، وَالْقَمَرُ إِذَا ظَهَرَ، فَالْقَمَرُ عَلَامَةٌ عَلَى دُخُولِ اللَّيْلِ، وَأُطْلِقَ عَلَى اللَّيْلِ غَاسِقٌ لِبُرُودَتِهِ.

هذا، وقد ورد عن النبي ﷺ أَنَّهُ أَخَذَ بِيَدِ عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ فَقَالَ: «يَا

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/٢٠٩)، ومسلم في الطب (٣/٥).

(٢) مسلم (حديث ٢١٩٢).

عَائِشَةُ، اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا فَإِنَّ هَذَا الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ^(١).

ولا تعارض بين تفسير الغاسق إذا وقب بالليل إذا دخل، وبالقمر إذا ظهر، فالقمر علامة على دخول الليل.

أما الاستعاذة بالله من الليل إذا دخل، ذلك لأمر متعددة منها:

*** أن الشياطين تنتشر ليلاً.**

فقد أخرج البخاري ومسلم^(٢)، -وقد تقدم- بسنده إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ، أَوْ أَمْسَيْتُمْ، فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ، وَادْكُرُوا اللَّهَ».. الحديث، وفيه: «فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ».

وكذلك الهوامُّ والسَّباع تخرج من أماكنها، وأهل الشرِّ والفساد ينبعثون كذلك.
وعلى قول من قال: إن الغاسق إذا وقب هو الثَّريَّا، فقالوا: إن الثَّريَّا إذا سقطت كثرت الأسقام والطواعين.. والله أعلم.

*** ومنها،** أن أهل الشرِّ يلبسون على أهل الإيمان في الليل، وأن السَّحرة ينشطون ليلاً، ولهذا فإن عمل الشياطين والسحرة يضعف نهاراً، من ثَمَّ، فإن الله ﷻ، لما ذكر رؤية نبينا محمد ﷺ، لجبريل ﷺ، قال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]. أي: ولقد رأى النبي ﷺ جبريل ﷺ في اتجاه السَّماء الموضح للأشياء، المظهر لها، وهو اتجاه السَّماء في اتجاه طلوع الشمس، وذلك لنفي الالتباس أو التشكك في رؤيته.

*** وأيضاً،** فإن موسى ﷺ، اختار وقتاً تظهر فيه الحقائق جلية، بعيدة عن التشويش والتلبس، لما قال: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩].
*** ولقد جاء إخوة يوسف إلى أبيهم عشاءً يكون:** ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ

(١) الترمذي (٩/ ٣٠٢)، وأحمد (٢/ ٦١ و ٢٠٦ و ٢٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتحة ٨٨/ ١٠)، ومسلم (١٣/ ١٨٣) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعاً.

وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴿١٧﴾ [يوسف: ١٧].

فمجيئهم ليلاً، للتلبيس على أبيهم، وحتى لا تظهر حقيقة بكائهم.
فناسب أن تستعيز برب الفلق، الذي هو الصبح بما يتضمنه، وما يصاحبه من
النُّور، والضياء، ناسب أن نستعيز برب الفلق، من شر الأشرار، الذي يعملون في
الظلام، ويفسدون في الأرض.

ناسب أن نستعيز برب الفلق، الذي يفلق الأشياء، فيخرج النور من الظلمات،
ويجعل مع العسر يسراً.

وتعوّذنا بالله أيضاً من شر النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ، وهن السواحر اللواتي يسحرن
وينفثن في عقد الخيط بعد ذكر المقولات الشريكية والبدعية.

* وأمرنا أيضاً بالتعوذ بالله ﷻ من الحَسَادِ الَّذِينَ يَتَمَنُونَ زَوَالَ النِّعَمِ، عَنَّا،
ويتربصون بنا الدوائر، والحسد هو تمنّي زوال النعم.

فانتظمت السورة المباركة التعوذ بالله من شر عموم الخلق، ثم من شر بعض
الخلق على الخصوص؛ لخطرهم وشرهم، فأمر بالتعوذ بالله من شر الليل وما فيه من
شر الأشرار، وأمرنا بالتعوذ بالله من شر السَّحَرَةِ وَالسَّوَاحِرِ، فالنَّفَّاثَاتِ الْأَنْفُسِ التي
تنفث في العقد سواء كانوا رجالاً أو نساءً.

ثم التعوذ بالله من شر هؤلاء الحساد الذين يخالطوننا ويجالسوننا، ولكننا لا
نعرف نواياهم تجاهنا، وحقيقتهم أنهم يتمنون لنا الشر ويتمنون أن تزول عَنَّا النعم.

أما عن سورة الناس، فإن الله ﷻ أمر رسوله ﷺ، والمؤمنون له تبع، أن يتعوذ
برب الناس، الذي يصلح الناس ويربيهم ويحفظهم، ويكفل لهم ما يحتاجون إليه،
ويدبر أمورهم.

وكذلك، فإنه ملك الناس المتصرف فيهم، ومالكهم، وصاحب السلطان والأمر

والنهي، وملكهم الذي يفزعون إليه عند الشدائد.

وكذلك، فإنه إله الناس، معبودهم الحق، الذي لا معبود لهم بحق سواه.

أُمرنا أن نستعِذ برب الناس، وملكهم، وإلههم، من شر الوسواس، الذي هو الشيطان الذي لا يريد لنا أي خير؛ بل يريد بنا الشرَّ في الدنيا والآخرة، ويرشد إلى الشرِّ، ويدلُّ عليه ويزينه.

ذلكم الشيطان الخناس، الذي يختفي عند ذكر الله، وينشط ويحضر عند الغفلة عن ذكر الله.

ذلكم الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس، سواء كان شيطان جن، أو شيطان إنس يغوي ويضل.

نلجأ إلى الله ربنا وملكنا وإلهنا؛ كي يحفظنا من هذا الشيطان، ومن شياطين الإنس والجن عموماً^(١).

فالحاصل: أن المعوذتين تضممتا الاستعاذة بالله من كل الشرور، شرور الخلق عموماً، وشرور ذوات الأشرار من الخلق على وجه الخصوص..
فناسب أن نحصن أنفسنا بالمعوذات^(٢).

هذا، وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه التفسير القيم:

الفصل الثالث: في أنواع الشرور المستعاذ منها في هاتين السورتين، قال: الشر الذي

يصيب العبد لا يخلو من قسمين:

* إما ذنوب وقعت منه يعاقب عليها، فيكون وقوع ذلك بفعله وقصده وسعيه، ويكون هذا الشر هو الذنوب وموجباتها، وهو أعظم الشرين وأدومهما، وأشدّهما

(١) ولمزيد راجع تفسيري التسهيل لتأويل التنزيل.

(٢) ويدخل فيها سورة الإخلاص كذلك.

اتصالاً بصاحبه.

* وإما شر واقع به من غيره، وذلك الغير إما مكلف أو غير مكلف، والمكلف إما نظيره، وهو الإنسان، أو ليس نظيره، وهو الجني. وغير المكلف: مثل الهوام وذوات الحمة وغيرها.

فتضمنت هاتان السورتان الاستعاذة من هذه الشرور كلها بأوجز لفظ وأجمعه، وأدله على المراد، وأعمه استعاذة، بحيث لم يبق شر من الشرور إلا دخل تحت الشر المستعاذ منه فيهما.

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ:

والشر المستعاذ منه نوعان:

أحدهما: موجود، يطلب رفعه.

والثاني: معدوم، يطلب بقاءه على العدم، وأن لا يوجد. كما أن الخير المطلق

نوعان:

أحدهما: موجود فيطلب دوامه وثباته، وأن لا يسلبه.

والثاني: معدوم فيطلب وجوده وحصوله.

فهذه أربعة هي أمهات مطالب السائلين من ربِّ العالمين. وعليها مدار طلباتهم. وقد جاءت هذه المطالب الأربعة في قوله تعالى حكاية عن دعاء عباده في آخر آل عمران في قولهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، فهذا الطلب لدفع الشر الموجود، فإن الذنوب والسيئات شر، كما تقدم بيانه.

ثم قال: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، فهذا طلب لدوام الخير الموجود وهو الإيمان حتى يتوفاهم عليه. فهذان قسمان.

ثم قال: ﴿رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، فهذا طلب للخير المعدم أن يؤتيهم إياه. ثم قال: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، فهذا طلب أن لا يوقع بهم الشر المعدم، وهو خزي يوم القيامة.

فانتظمت الآيتان المطالب الأربعة أحسن انتظام، مرتبة أحسن ترتيب، قُدم فيها النوعان اللذان في الدنيا، وهما المغفرة، ودوام الإسلام إلى الموت، ثم أتبعاً بالنوعين اللذين في الآخرة، وهما أن يعطوا ما وعدوه على السنة رسله، وأن لا يخزيهم يوم القيامة.

فإذا عرف هذا، فقلوه ﷺ في تشهد الخطبة: «وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا»^(١). يتناول الاستعاذة من شر النفس، الذي هو معدم لكنه فيها بالقوة، فيسأل دفعه وأن لا يوجد.

وأما قوله: «مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا»، ففيه قولان.

أحدهما: أنه استعاذة من الأعمال السيئة، التي قد وجدت، فيكون الحديث قد تناول نوعي الاستعاذة من الشر المعدم الذي لم يوجد، ومن الشر الموجود. فطلب دفع الأول ورفع الثاني.

والقول الثاني: أن سيئات الأعمال، هي عقوباتها وموجباتها السيئة التي تسوء صاحبها، وعلى هذا يكون من استعاذة الدفع أيضا دفع المسبب، والأول دفع السبب. فيكون قد استعاذ من حصول الألم وأسبابه.

وعلى الأول: تكون إضافة السيئات إلى الأعمال من باب إضافة النوع إلى جنسه.

(١) هذا اللفظ جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه، حينما علمه رسول الله ﷺ خطبة الحاجة فعلمه إياها، وفيها: «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا». وهو حديث صحيح أخرجه الترمذي برقم (١١٠٥) وابن ماجه (١٨٩٢)، وعندهما الاستعاذة من شرور الأنفس وسيئات الأعمال، وأخرجه أبو داود برقم (٢١١٨)، وق ٨٩/٦ وحَمَ ٢٩٢/١ مقتصرين على الاستعاذة من شرور الأنفس.

فإن الأعمال جنس، وسيئاتها نوع منها.

وعلى الثاني: تكون من باب إضافة المسبب إلى سببه، والمعلول إلى علته. كأنه قال: من عقوبة عملي. والقولان محتملان.

فتأمل أيهما أليق بالحديث وأولى به، فإن مع كل واحد منهما نوعاً من الترجيح، فيترجح الأول بأن منشأ الأعمال السيئة من شر النفس. فشر النفس يولد الأعمال السيئة، فاستعاذ من صفة النفس، ومن الأعمال التي تحدث عن تلك الصفة. وهذان جماع الشر، وأسباب كل ألم. فمتى عوفي منهما عوفي من الشر بحذافيره.

ويترجح الثاني: بأن سيئات الأعمال هي العقوبات التي تسوء.

وقال ابن القيم رحمه الله (التفسير القيم):

والسبب، الذي لأجله أمر الله بالاستعاذة، من شر الليل، وشر القمر إذا وقب هو: أن الليل إذا أقبل فهو محل سلطان الأرواح الشريرة الخبيثة. وفيه تنتشر الشياطين، وفي الصحيح: أن النبي ﷺ أخبر أن الشمس إذا غربت انتشرت الشياطين، ولهذا قال: «فأكفوتوا صبيانكم، واحبسوا مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء»^(١). وفي حديث آخر

(١) أخرج البخاري (فتح ٣٣٦/٦ و ٣٥٥ و...) ومسلم (ص ١٥٩٤).

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اسْتَجَنَعَ اللَّيْلُ، -أَوْ كَانَ: جُنْحُ اللَّيْلِ-، فَكُفُّوا صَبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْشِيرُ حَبْنَيْدَ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ، وَأَوْكُ سِقَاءَكَ وَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ وَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ تَعَرَّضَ عَلَيْهِ شَيْءٌ».

وفي بعض ألفاظه: «وأكفوتوا صبيانكم عند المساء، فإن للجن أنيساراً، وخطفة».

وفي لفظ عند مسلم، عن النبي ﷺ: «لا تُرسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء، فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء».

(الفواشي: كل شيء منتشر من المال كالإبل والغنم وسائر البهائم وغيرها، وهي جمع فاشية، لأنها تفشو، أي: تنتشر في الأرض).

تنبيه: هذا الحديث غفل عن العمل به كثير من الناس، فحري أن يقوم به أهل السنة

«فَإِنَّ اللَّهَ يَبِثُّ مِنْ خَلْقِهِ مَا يَشَاءُ»^(١).

والليل هو محلُّ الظلام، وفيه تتسلَّط شياطين الإنس والجنُّ ما لا تتسلط بالنهار.
فإن النهار نور، والشياطين إنّما سلطانهم في الظلمات.



(١) في أحد ألفاظ الحديث عند أحمد (٣/ ٣٠٦): «فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَبِثُّ فِي لَيْلِهِ مِنْ خَلْقِهِ مَا شَاءَ». وسندها

صحيح لغيرها. ولها شاهد عند أحمد (٣/ ٣٥٥).

وفي صحيح مسلم: «فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ».

التوكل على الله ﷻ^(١)

ومن أعظم ما نتعوذ به، حسن توكلنا على الله ﷻ، ولقد قال الله ﷻ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وقال تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

وقال سبحانه: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

وأخرج البخاري من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمدٌ صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

[آل عمران: ١٧٣]^(٢).

وفي رواية عند البخاري، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: «كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾»^(٣).

ونوح عليه السلام، يقول لقومه، لما تهددوه وتوعده: ﴿يَقَوْمُ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي

(١) من أشهر معاني التوكل على الله: الاعتماد على الله ﷻ، نعتمد على الله؛ كي يرزقنا وكي ينصرنا، وكي يحفظنا، نعتمد عليه في كل شئونا.

(٢) البخاري (٤٥٦٣).

(٣) البخاري (٤٥٦٤).

وَتَذَكِّرِي بِعَيْنِي اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً
ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿يُونُس: ٧١﴾.

فيا لها من شجاعة!!، ويا له من ثبات، ويا له من حسن اعتصام بالله ﷻ.
وها هو الكليم موسى ﷺ: ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُونٌ
﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿الشعراء: ٦١، ٦٢﴾. فيا له من حسن ظن بالله ﷻ،
وحسن توكل عليه!!

وها هو رسولنا ﷺ، يقول لصاحبه في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَعَنَا﴾
﴿التوبة: ٤٠﴾. ويقول: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِإِثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا». وأبو بكر يقول له قبل: لو
أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا.
فيا له من حسن توكل على الله!!



الخاتمة

ونسأل الله حسنها

تم بحمد الله وتوفيقه، ما أردت التذكير به في هذا السّفر؛ من أبواب الأدعية، والاستغفار، والتعوّذات.

وما كان من صواب فمن الله ﷻ وحده، فله النعمة وله الفضل وله الثناء الجميل الحسن، وما كان من خطأ أو شطط فمن نفسي ومن الشيطان، وأعوذ بالله من ذلك وأستغفره.

وأسأله سبحانه وتعالى -دائمًا وأبدًا- أن يتقبل منا صالح الأعمال بقبول حسن، وأن يغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أسرفنا، ولأزواجنا وذرياتنا، وأهلينا، وللمسلمين والمسلمات، وأن يجعل مثوانا الفردوس.

وصلّ اللهم على نبينا محمد وآله وسلم

والحمد لله رب العالمين

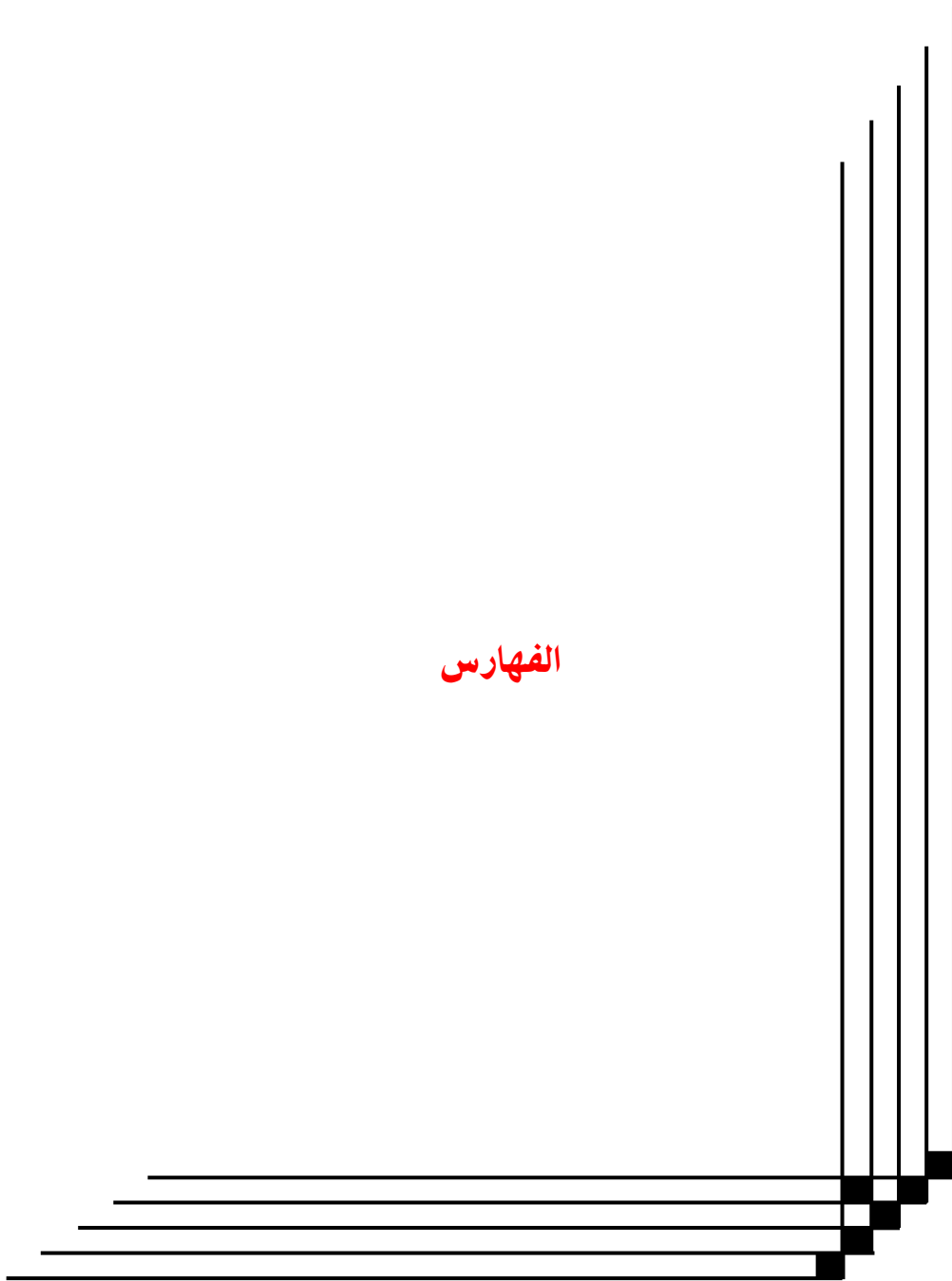
كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

* * *

الفهارس



الفهرس

المقدمة	٥
الدعاء عبادة	١١
ومن أهمية العلم بفقه الدعاء	١٣
شرك أقوام في باب الدعاء	١٣
فالذي يكشف الضرَّ ويوجب المضطرَّ هو الله ﷻ وحده لا شريك له	١٣
وقد ضربت الأمثال لبيان بطلان دعاء من يدعون غير الله	١٦
ابتداع آخرين في هذا الباب	١٦
والدعاء مفتاح لكل خير ومغلاق لكل شر وفيه جلبٌ لكل نفع ودفع لكل ضررٍ	١٨
مزيد من الحث على الدعاء والأمر به والترغيب فيه	٢٣
فليكن ذكر الله ودعاؤه دومًا على لسانك	٢٥
والخليل ﷺ من عظيم شأنه الدعاء	٢٦
ونبي الله نوح ﷺ من شأنه الدعاء	٢٦
مقدمات وأنواع من التوسلات بين يدي الدعاء	٢٨
سؤال الله ﷻ والتوسل إليه بأسمائه الحسنی	٣٢
التوسل إلى الله بفضله وسابق إحسانه ورحمته	٣٧
بيان سبب الدعوة التي يُدعى بها	٤٣
تطيب المطعم والمشرب والملبس حتى يجاب الدعاء	٤٦
ما يقوله من يُريد الاجتهاد في الدعاء	٤٧
ارتفاع الهمم في الدعاء	٤٩
تحري أوقات الإجابة	٥٠
وعموماً فيستحب الدعاء بين يدي الأعمال الصالحة وفي ثنائها وعقبها	٥٨
ومن الدعاء مع الأعمال الصالحة	٦٢
وكذلك فيستحب الدعاء في الليالي المباركة والأيام الطيبة وكذلك الأماكن الطيبة المباركة	٦٤
طرف من أدب الدعاء	٧٠
الإخلاص في الدعاء	٧٠
مساعداً على إجابة الدعوات	٧٢

- ومن تأثير النوايا الحسنة في إجابة الدعاء ٧٢
- اليقين مع الدعاء ٧٢
- التضرع في الدعاء ٧٣
- الاستسلام بين يدي الدعاء ٧٤
- إخفاء الدعاء ٧٦
- استقبال القبلة عند الدعاء ٨٥
- رفع اليدين في الدعاء ٨٧
- الإكثار من الدعاء ٨٩
- وتعظيم الرغبة فيما عند الله ﷻ ٨٩
- طرف من الدعوات الجامعة ٩١
- من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ٩١
- طلب الهداية من الله ﷻ ٩٢
- سؤال الله المغفرة ٩٦
- مزيد من الدعوات الواردة عن رسول الله ﷺ ٩٧
- طلب العلم النافع والتعوذ بالله من علم لا ينفع ٩٩
- سؤال الله الشفاء ١٠٠
- طلب الولد، والدعاء بصلاح الذرية ١٠٣
- مزيد من الدعوات الجامعة من الكتاب والسنة ١٠٥
- دعاء الله ﷻ ألا نكون مع الظالمين في الدنيا ولا في الآخرة ولا إذا نزل عليهم العذاب ١٠٧
- سؤال الله ﷻ أن نكون من الصالحين ومع الصالحين ١٠٧
- الدُّعاء بالثبات على الإسلام والوفاء عليه ١٠٨
- ومن سؤال الله ﷻ الثبات على الإيمان ١٠٨
- الدُّعاء بتوضيح معالم الدين ١٠٩
- الدُّعاء بين يدي لقاء العدو ١٠٩
- صور من الدُّعاء وإن لم تكن صريحة ١١١
- أدعية تستل من الآيات وإن لم تكن بلفظها ١١٣
- ما يقوله من خوفه قوم ١١٣
- ما يقوله من خاف قومًا ١١٣

- ١١٥..... مواصلة الدعاء وتكريره وعدم اليأس من رحمة الله ﷻ
- ١١٨..... النهي عن الاستعجال في الدعاء
- ١١٩..... كلمة جامعة لابن القيم في صفة الدعاء المستجاب
- ١٢١..... دفع إشكال وإجابة على سؤال (بيان سبب تخلف الإجابة أو تأخرها)
- ١٢٩..... وهل تستجاب جميع دعوات الصالحين؟
- ١٣١..... وهل تستجاب دعوة الكافر؟! نعم!! قد تستجاب إذا أراد الله ذلك
- ١٣١..... توجيه قوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤]
- ١٣٣..... وهل يدعو الشخص بأخف المفسدتين إذا كان لزاماً أن تقع واحدة
- ١٣٤..... من عجلت له دعوته في الدنيا هل ينقص من أجره في الآخرة؟
- ١٣٩..... الدعاء للنفس قبل الآخرين
- ١٣٩..... جواز الدعاء للآخرين فقط في بعض الأحيان
- ١٤٠..... دعاء أهل الإيمان لبعضهم البعض سواء كانوا أحياء أو أمواتاً
- ١٤١..... ومن دعاء الصالحين لبعضهم دعاء الملائكة لبني آدم
- ١٤١..... أوقات لا يجاب فيها الدعاء وأدعية لا تستجاب
- ١٤٣..... تعميم الدعاء
- ١٤٦..... جواز تأخير الدعاء لقوم لعلّ من العلل
- ١٤٦..... ولا تطلب الأدنى وترفض الأعلى ولا تدعو بزوال نعم الله
- ١٤٨..... ذم من اقتصر في دعائه على أمور الدنيا
- ١٤٩..... اجتناب السجع المتكلف
- ١٥٠..... النهي عن الاعتداء في الدعاء وبيان صور الاعتداء
- ١٥٠..... والاعتداء هنا: هو الاعتداء في الدعاء، فثم قوم يعتدون في الدعاء
- ١٥٤..... النظر إلى السماء في الدعاء في غير صلاة
- ١٥٥..... دعوات غير جائزة ولا يجوز لك أن تدعو بهذه الدعوات
- ١٥٥..... ومن الممنوع أيضاً أن تدعو بدعوات الكفار المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله
- ١٥٦..... وقد يحلّ بمستعجل العذاب ما طلب من العذاب عاجلاً غير آجل
- ١٥٨..... الدعاء باللعن
- ١٦٦..... النهي عن الدعاء على النفس والأولاد والخدم والمال
- ١٦٧..... النهي عن تمني تعجيل العقوبة في الدنيا وعن الدعاء على النفس بذلك

- ١٦٩..... النهي عن تمني الموت
- ١٧١..... ومتى يجوز للشخص أن يتمني الموت
- ١٧٣..... وهل يدعو الشخص على نفسه لدفع تهمة وجهت إليه إذا طلب منه ذلك
- ١٨١..... استحباب طلب الدعاء من أهل الفضل
- ١٨٤..... هل يوافق كل من طلب الدعاء من شخص؟
- ١٨٥..... منازعة الدعاء
- ١٨٦..... مسألة القنوت في صلاة الفجر
- ١٩١..... تعليق الدعاء
- ١٩٤..... دعاء الاستخارة
- ٢٠٠..... التراجع عن الدعاء
- ٢٠٨..... الدعاء الجماعي
- ٢١٣..... فصل في الصلاة والسلام على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢١٥..... بعض مواطن الصلاة على النبي ﷺ
- ٢١٩..... وهذه بعض صيغ الصلاة على النبي ﷺ
- ٢٢١..... الصلاة والسلام على سائر الأنبياء والمرسلين
- ٢٢٢..... وهل تجوز الصلاة على غير الأنبياء والمرسلين؟
- ٢٢٥..... فصل في آيات لها تعلق بالدعاء وفقهه
- ٢٢٧..... قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾
- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعَجَلَ بِهِمْ إِلَى خَيْرٍ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ فَذَرُوا الَّذِينَ لَا
- يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾
- ٢٣٣..... قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّكَانَ لَوْ دَعَانَا إِلَى
- ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
- ٢٣٦..... قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾
- ٢٣٧..... قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾
- ٢٤١..... قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾
- ٢٤٣..... قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾
- ٢٤٤..... معنى قول أنبأ الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾
- ٢٤٥..... التأمين على الدعاء
- ٢٤٦.....

٢٤٧.....	الدعاء والنذر
٢٤٩.....	قاعدة في الأذكار والدعوات التي رويت بألفاظ مختلفة
٢٥٤.....	اشتقاق الأدعية من الأسماء ومدلولاتها
٢٥٥.....	سؤال الله القبول والتَّعَوُّذ بالله من دعاء لا يسمع
٢٥٧.....	أبواب الاستغفار
٢٥٩.....	استهلال
٢٥٩.....	وبيانُ طرفٍ من فوائد الطاعات
٢٦٠.....	أثر الذنوب والمعاصي في زوال النعم وحلول النقم
٢٦٥.....	فالمعاصي تزيل النعم حتى عن أهل الصلاح
٢٦٦.....	ضعف الإنسان وخطؤه وحتمية وقوعه في الذنوب
٢٦٨.....	فتح باب التوبة للعباد
٢٦٩.....	فرح الله ﷻ بتوبة العبد
٢٧١.....	الله سبحانه وتعالى يحث نبيه ﷺ على الاستغفار
٢٧٢.....	الأنبياء وأهل الفضل والصلاح يطلبون العفو ويرجون المغفرة
٢٧٤.....	فتح باب التوبة لمرتكبي الكبائر
٢٧٧.....	التحذير من اليأس والقنوط من رحمة الله
٢٨٠.....	تحذير من يقنط الناس من رحمة الله
٢٨١.....	وليحذر العبد من التهاون بالذنوب والمعاصي
٢٨٤.....	مزيدٌ من النصائح
٢٨٤.....	لمن ابتُلوا بالمعاصي وتورَّطوا فيها
٢٩٣.....	التحلل من المظالم
٢٩٥.....	المعصية إذا لم يتب منها العبد تجرُّ إلى معصيةٍ أُخرى
٢٩٦.....	تفاوت كفَّارات الذنوب بحسب عظم الذنب
٢٩٩.....	مسألة
٣٠٣.....	من موانع المغفرة
٣٠٨.....	ومن فوائد الاستغفار أنه سبب لبياض القلب وصفائه ونقاؤه
٣١٢.....	بعض صيغ الاستغفار وأوقاته ومواطنه
٣٢٠.....	أقوال وأفعال وأخلاقٌ تعملُ عملُ الاستغفار

- بعض صيغ الاستغفار من القرآن الكريم ٣٢٨
- أبواب التعوذ ٣٣١
- مدار الأدعية التي ندعو بها والتعوذات ٣٣٣
- ولا نتعوذ بمخلوق ٣٣٥
- توجيه بعض الوارد من الاستعاذة بغير الله ٣٣٨
- ونستعيذ من ماذا؟ ٣٤٣
- وبشيء من التفصيل فإننا ٣٤٣
- فلذا لزمنا أن نستعيذ بالله من غضبه وعقابه ومن سخطه وعذابه ٣٤٥
- وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يتعوذ بالله ﷻ من جميع سخطه ٣٤٥
- التعوذات بالله ﷻ من الشياطين ومن حضورهم وهمزاتهم ٣٤٩
- وتتعوذ بالله من الشيطان الرجيم إذا حاول الشيطان أن يشككنا في خالقنا سبحانه أو يفسد علينا إيماننا ٣٥١
- التَّعوذُ أثناء السجود ٣٥٢
- التعوذ عند دخول الخلاء ونهيق الحمار ٣٥٥
- التعوذ بالله عند الغضب ٣٥٦
- الاستعاذة بالله على عدم الوقوع في الخطأ، وعلى النجاة من الزلل ٣٥٨
- التعوذ بالله من أن تخبطنا الشيطان عند الموت ٣٥٩
- وتتعوذ بالله من الشيطان صباحاً ومساءً ٣٥٩
- ومن الاستعاذة صباحاً ومساءً ٣٦٠
- ومن الحروز قراءة سورة البقرة، أو الآيتين الأخيرتين منها ٣٦٠
- ومن الحروز آية الكرسي ٣٦١
- تعويذ الصبيان والبنات ٣٦١
- ما يفعل عند الرؤيا المكروهة والأحلام المزعجة ٣٦٣
- طائفة من الحروز والتحصينات ٣٦٥
- التعوذ بالمعوذات عند الشكوى والمرض ٣٦٥
- التعوذ بالمعوذات عند النوم ٣٦٥
- شيء من صلاة الليل ٣٦٧
- دفع الشكوك والبعد عن مواطن الشبهات والريب ٣٦٧
- ترك كلمة لو المصحوبة بالاعتراض على القدر ٣٦٧

- ٣٦٨.....تقليل التأثرب وكظمه قدر الاستطاعة.
- ٣٦٨.....التصبح بسبع تمرات عجوة.
- ٣٦٨.....الرقية بأَمِّ القرآن.
- ٣٦٩.....لا تقل تعس الشيطان.
- ٣٦٩.....ذكر الله عند دخول البيت، وعند الخروج.
- ٣٧١.....التعوذ بالله من شرور النفس وسيئات العمل.
- ٣٧٢.....التعوذ بالله من نفس لا تشيع.
- ٣٧٣.....التعوذ بالله من شر ما عملنا، ومن شر ما لم نعمل.
- ٣٧٤.....التعوذ بالله من النار.
- ٣٧٤.....التعوذ بالله من كل صور العذاب.
- ٣٧٥.....التعوذ بالله من عذاب الدنيا.
- ٣٧٥.....التعوذ بالله من فتنة القبر وعذاب القبر.
- ٣٧٦.....التعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.
- ٣٧٧.....التعوذ من فتن الحياة الدنيا كلها.
- ٣٨٠.....التعوذ بالله من الجهل.
- ٣٨٠.....وتعوذ بالله ﷻ من الجبن والبخل وسيئ الأخلاق.
- ٣٨١.....ومن أسباب التعوذ من الجبن.
- ٣٨٢.....التعوذ بالله من أن نرد إلى أرذل العمر.
- ٣٨٢.....التعوذ بالله من فتنة الغنى ومن فتنة الفقر.
- ٣٨٣.....التعوذ بالله من المغرم والمأثم.
- ٣٨٤.....التعوذ بالله من فتنة المسيح الدجال.
- ٣٨٦.....التعوذ بالله من أن نظلم العباد أو يظلمونا.
- ٣٨٧.....ومن التعوذ بالله من أذى البشر.
- ٣٨٧.....التعوذ بالله من أن يأخذ شخص حق غيره.
- ٣٨٧.....التعوذ بالله من الابن الشرير.
- ٣٨٨.....وتعوذ بالله عند جدال المجادلين المبطلين.
- ٣٨٨.....ويشرع التعوذ بالله من شر الريح.
- ٣٨٨.....التعوذ من شرور الأمراض والآلام.

- ٣٨٩..... التعوذ بالله عند بدايات السفر من مشقة السفر وتوابعه
- ٣٨٩..... التعوذ بالله عند السَّحَر في السفر
- ٣٩٠..... التعوذ بالله من القذف والخسف
- ٣٩٠..... التعوذ بالله من الضلال
- ٣٩١..... الاستعاذة بالله من الحور بعد الكور
- ٣٩١..... التعوذ بالله من زوال النعم، وتحول العافية وفجاءة النقم وعموم السخط
- ٣٩٢..... التعوذ بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء
- ٣٩٢..... ومما يقوم مقام التعوذ عند الجماع
- ٣٩٢..... التعوذ بالله عند النوم
- ٣٩٣..... الاستعاذة بالله إذا نزلنا منزلاً
- ٣٩٣..... التعوذ بالله من أمور متعددة
- ٣٩٤..... التعوذ بالله من الشرِّ كُلِّهِ
- ٣٩٤..... شيءٌ عن المعوذتين وفضلهما وفضل التعوذ بهما
- ٣٩٥..... وبمنظرة سريعة لهاتين السورتين المباركتين، أقول، وبالله التوفيق:
- ٤٠٣..... التوكل على الله وَجَّكَ
- ٤٠٥..... الخاتمة ونسأل الله حسننها
- ٤٠٧..... الفهارس

